عبد ربّه إبراهيم الوائلي

تاريخ الإمارة البابانية

١٧٨٤ ـ ١٨٥١



تاريخ الإمارة البابانية

1851 - 1784

تاريخ الإمارة البابانية

عبد ربه ابراهيم الوائلي

الطبعة الأولى: 2008

الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا: ص . ب 5292

تلفاكس: 00963 11 5626009

00963 932 806808

E.mail: zeman005@yahoo.com

E.mail: zeman005@hotmial.com

الإخراج الداخلي: دار الزمان

تصميم الغلاف: م . جمال الأبطح

طبع بموافقة وزارة الإعلام رقم /97996/ تاريخ 12/ 5 /2008 م

تاريخ الإمارة البابانية

1784 - 1851

بحث قام به

عبد ربه إبراهيم الوائلي

دار الزمان

الفهرس

المقدمة

حظي تاريخ العراق في عصوره الإسلامية الزاهرة باهتمام كبير من الباحثين والمؤرخين، إلا أن تاريخ العراق الحديث، بوجه عام، والعراق العثماني، بوجه خاص، لم يحظ بهذا القدر من الاهتمام. والواقع أن تاريخ العراق في العصر العثماني، شأنه شأن تاريخ الأقطار العربية الأخرى، في هذا العصر، من الفترات التاريخية التي لم يهتم المؤرخون بها اهتماماً كافياً، لا في العالم العربي ولا في الدوائر العلمية في الغرب، وبالنسبة لتاريخ العراق العثماني، فقد تركزت الدراسات التي أُجريت حوله على تاريخ بغداد باعتبارها العاصمة ومركز الثقل في البلاد، وأعطت انطباعاً بأن تاريخ بغداد هو تاريخ العراق، وهذا انطباع غير صحيح بطبيعة الحال، وأدى إلى اهمال تاريخ أجزاء البلاد الأخرى.

ومن المعروف أن تدهور السلطة العثمانية في القرن الثامن عشر، وقيام ظروف محلية خاصة بالعراق، قد شجع على قيام حكم متوارث في كلٍ من بغداد والموصل، بالإضافة إلى ظهور قوى محلية في أجزاء العراق الأخرى، متمثلة في الأسر القوية المعتمدة على قوتها من جهة، وعلى مساعدة الغير من جهة أخرى، ومستغلة ضعف ولاة بغداد واضطراب أحوالها من جهة ثالثة. وقد عارضت تلك القوى المحلية وبشدة سياسة توحيد العراق تحت سلطة مركزية واحدة مقرها بغداد. وأهم الظروف المحلية في العراق تمثلت في كونه منطقة حدود بين الدولتين العثمانية والفارسية، وازدياد تسلط الإنكشارية في بغداد، والقبائل

البدوية في الريف. وتعرض العراق أكثر من مرة في القرن الثامن عشر إلى هجمات حكام بلاد فارس، والذين اختلفت هوياتهم ومذاهبهم بشكل متكرر، وإنعكس ذلك على أطماعهم في العراق.

وبحثنا هذا يتناول واحدة من تلك القوى المحلية، وهي الأسرة البابانية الكردية التي تمكنت من حكم المنطقة الشمالية من العراق ما بين أواخر القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر، والتي اسهمت في توتر العلاقات العراقية - الفارسية طوال فترة حكمها.

والواقع أن التصدي لدراسة مثل هذا الموضوع ليس بالأمر السهل، وذلك لما يكتنفه من صعوبات، ومن أبرز ما واجهت منها قلة المصادر العربية الأولية التي تتناول تاريخ الإمارة البابانية، وتاريخ العراق في العصر العثماني ككل، وتعدد أماكن توفر المصادر الأولية المدونة باللغات التركية والفارسية والكردية. ولذلك أضطررت لقضاء فترة من بعثتي الدراسية في بغداد والسليمانية (عاصمة الإمارة البابانية) واستانبول للرجوع إلى الوثائق غير المنشورة والمصادر الأصلية المنشورة. وتعدد لغات هذه الوثائق والمصادر اضطرني أيضاً للإستعانة ببعض المتخصصين لترجمة ما أنا بحاجة اليه من مادة علمية. هذا بطبيعة الحال قد أخذ من الوقت والجهد الشيء الكثير.

إن اختياري لتاريخ الإمارة البابانية الكردية (1784- 1851)، كموضوع للدراسة الجامعية، يرجع إلى عدّة عوامل، أهمها:

1. إن المنطقة الشمالية من العراق، والإمارات الكردية، بصورة خاصة، لم تدرس دراسة وافية.

2. موقع الإمارة البابانية الجغرافي وما نتج عنه من أحداث كبيرة من تعقيدات ومشاكل على حدود الدولتين العثمانية والفارسية طوال فترة حكم الإمارة، بالإضافة إلى ما سببته تلك الإمارة من مشاكل لولاة بغداد الذين تولوا السلطة قبل وبعد حكم المماليك.

3. محاولة الإمارة البابانية، في فترة قوتها وتوسعها، الاستقلال عن ولاية بغداد والاتصال المباشر بالباب العالي في الاستانة.

4. تدخل الإمارة في شؤون ولاية بغداد وقيام بعض الأمراء بالعمل على تعيين بعض ولاة المماليك على ولاية بغداد، ثم ما قدمته الإمارة البابانية من مساعدات عسكرية لأكثر ولاة بغداد من المماليك للقضاء على التمردات والثورات التي حدثت في داخل بغداد وخارجها.

ولابد من كلمه عن مصادر هذا البحث، قبل عرض محتوياته وفصوله. ولا شك أن أهم تلك المصادر هي الوثائق غير المنشورة والموجودة في أرشيف رئاسة الوزراء التركي في استانبول، والمصنفة بالخط الهمايوني، وهذه الوثائق عبارة عن مراسلات تمت بين مختلف أطراف النزاع الذي كان قائماً بين الدولتين العثمانية والفارسية، وتتضمن تلك الوثائق ما يلي:

1: مراسلات من ولاة بغداد المماليك إلى الصدارة العظمى في الأستانة، و هي في معظمها تتعلق بمشاكل كردستان و تدخل

الحكومة الفارسية لمساندة الأمراء البابانيين، و طلب ولاة بغداد من الصدارة العظمى عدم أستجابة مطالب الحكومة الفارسية القاضية بعودة الأمراء البابانيين لمناصبهم.

2: رسائل تهديد موجهه من الحكام الفرس إلى بعض اللاجئين من الفرس إلى الأراضي العراقية، يطلبون منهم العودة إلى الأراضي الفارسية.

3: رسائل من حكام الفرس إلى ولاة بغداد يطلبون فيها إعادة الأمراء البابانيين الفارين من السليمانية إلى مناصبهم في الإمارة البابانية.

4: رسالة من والي أرضروم إلى الصدارة العظمى في الاستانة، يطلب فيها تغيير والي بغداد الذي كان السبب في توتر العلاقات العراقية الفارسية، ويقدم بعض المقترحات لحل الأزمة الناشبة بين الدولتين.

5: رسالة من محمود باشا بابان إلى والي الموصل يبدي فيها استعداده لمساندة على رضا باشا في عزل والي بغداد داود باشا.

ومن المصادر العربية المهمة، مؤلفات ياسين العمري، مثل «غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام» و «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر» و «الآثار الجلدية في الحوادث الأرضية». وهذه المخطوطات محفوظة في مكتبة المتحف العراقي، وتتضمن معلومات مهمة عن أحوال الإمارة البابانية في عهد عبد الرحمن باشا بابان. ومؤلفات عباس العزاوي، وفي مقدمتها «تاريخ العراق بين إحتلالين» ويقع في ثمانية أجزاء، وهذا المؤلف على جانب كبير من الأهمية بالنسبة

لتاريخ العراق، ولكن الذي يؤخذ عليه هو عدم تحليله الحوادث تحليلاً علمياً، و كتابه الآخر «عشائر العراق الكردية». ومن المصادر الأخرى: «من عمان إلى العمادية أو جولة في كردستان الجنوبية» لمؤلفه علي سيد الكوراني، و«المماليك في العراق» لأحمد علي الصوفي، وكتابا عبد العزيز نوار «داود باشا والي بغداد» و«تاريخ العراق الحديث». وهذه المصادر تحتوي على معلومات عن الإمارة البابانية.

أما أهم المصادر المترجمة إلى اللغة العربية، فيأتي في مقدمتها «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء» لمؤلفه رسول حاوي الكركوكلي. وهو من التواريخ المهمة ويتضمن معلومات وافية عن الأمراء البابانيين وموقف ولاة بغداد منهم. وكتاب لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» و«رحلة ريج في العراق عام 1820م»، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة التي تكشف النقاب عن أوضاع كردستان عامة والإمارة البابانية خاصة. وكذلك مؤلفات محمد أمين زكي، وفي مقدمتها «تاريخ السليمانية وأنحائها» و «تاريخ الدول والإمارات الكردية»، ولاشك أن الأول من المصادر المهمة في تاريخ الإمارة البابانية، وهو يسجل حوادث الإمارة تسجيلاً متسلسلاً. وكتاب «الشرفنامه» لمؤلفه شرفخان البدليسي، وهو من المصادر الرئيسية للتاريخ الكردي، وقد استفدت منه في معرفة تاريخ حكم الأسر البابانية الأولى. وكتاب «تاريخ بغداد» لمؤلفه سليمان فايق.

أما المصادر الأجنبية غير المترجمة، فأهمها تاريخ جودت لمؤلفه أحمد جودت، ويقع في اثنى عشر جزء، وفيه معلومات

وافية عن تاريخ البابان، وكتاب «عثمانلي تاريخه» لأحمد راسم، وهو يقع في أربعة أجزاء ويكشف عن صراع الأمراء البابانيين من أجل الحصول على منصب الإمارة. وكذلك كتاب «كردلر» لمؤلفه الدكتور فريج، وفيه معلومات تخص الأسر البابانية الأولى، وأيضاً كتاب «تاريخ حكم بابان في قلاجوالان حتى بناء مدينة السليمانية» ويتضمن معلومات وافية عن تاريخ آل بابان. ومن المصادر الأخرى، كتاب Fredric Barth, Principals of social organization in Southern Kurdistan وهو يتضمن معلومات عن التنظيمات العشائرية الكردية.

وفيما يتعلق بمضمون البحث هذا، فأنه يشتمل على تمهيد وخمسة فصول. أما الفصل الأول، فقد تناولت فيه تنظيمات عشائر منطقة السليمانية، وأوضحت طبيعة العشيرة الكردية وطبقاتها وإنحدارها وكيفية تكوينها واشتقاق اسمها، كما بينت مميزات النظام العشائري الكردي المتمثلة في الحروب والرئاسة والالتزامات العشائرية، كما أوضحت دور الأمراء البابانيين وغيرهم من الأمراء في استقطاب تلك العشائر، للوقوف إلى جانبهم في مقاومة غزو جيش بغداد أو كرمنشاه، الذي كان يأتي به الأمير الباباني المطالب بمنصب باشوية السليمانية، أو عندما يعلن والي بغداد عزل الأمير الباباني الحاكم في ولاية البابان.

وفي الفصل الثاني، تطرقت إلى كيفية قيام الإمارة البابانية وأثر العامل الجغرافي في نشوئها وحالتها الإقتصادية، وأوضحت طبيعة حكم الأسر البابانية الأولى، واستعرضت حالتها الإقتصادية، وبينت علاقة تلك الأسر بالسلطان العثماني

سليمان القانوني وموقفه في ذلك الصراع. وتطرقت إلى العلاقة بين الأسر الأربع التي حكمت والأسرة الخامسة التي يعود اليها أصل البابان. ثم أوضحت نمو قوة الإمارة وتوسعها، ثم انتقال الإمارة البابانية إلى مرحلة جديدة من الحكم تعتمد على قوة ومساندة الفرس لها، حيث بدأ الأمراء البابانيون في الالتجاء إلى الحكومة الفارسية لطلب عونها ومساندتها في الحصول على منصب الإمارة، أو عندما يتعرض الأمير الباباني للعزل من منصبه من قبل ولاة بغداد، وأشرت إلى إنعكاسات ذلك على تطور العلاقات العثمانية الفارسية.

و تضمن الفصل الثالث عرضاً لأهم مراكز الإمارة البابانية قبل بناء مدينة السليمانية عام 1784م، والتي إتخذت كعاصمة للإمارة حتى سقوطها، كما أوضحت أهمية كل مركز من مراكزها، وأسباب انتقال العاصمة إلى هذه الأماكن، كذلك بينت بقاء قلعة جوالان كعاصمة للإمارة مدة طويلة قبل الانتقال نهائياً إلى السليمانية وأشرت إلى أسباب اختيار موقع السليمانية دون غيره من المواقع في شمال العراق، كما أوردت الآراء المختلفة عن سبب تسميتها بالسليمانية، وأوضحت رأيي في ذلك، وأتيت بوصف للمدينة بعد اتمام بنائها طبقاً لأقوال الرحالين الأوربيين الذين زاروها في فترات زمنية مختلفة.

وفي هذا الفصل أيضاً، تحدثت عن حركات التمرد العربية والكردية التي هددت ولاية بغداد في عهد الوالي سليمان باشا الكبير، وأهمها حركة العشائر العربية بقيادة سليمان باشا الشاوي، وتناولت دور القوات البابانية في القضاء عليها. ثم

حركة مصطفى آغا الكردي متسلم مدينة البصرة، والتي كانت أخطر من سابقتها، وعرضت الخطة التي وضعها مصطفى آغا، ثم مراسلاته مع كل من سليمان بك الشاوي وعثمان باشا بابان، ودور كل منهما في تلك الحركة، كما بينت طريقة إكتشافها، وموقف والي بغداد منها. كما تناولت في هذا الفصل كذلك العلاقات العراقية - الفارسية و أثرها على السليمانية.

وفي الفصل الرابع، تطرقت إلى ظهور عبد الرحمن باشا بابان كشخصية قوية على مسرح الأحداث وتأثيره على التطورات السياسية والعسكرية في كردستان، حيث أوصل الإمارة البابانية إلى أوج قوتها وتوسعها. وبينت كيف حكم الإمارة فترة طويلة وبصورة متقطعة، وكيف تمكن خلال حكمه من تحسين علاقته وتوطيدها مع الحكومة الفارسية، التي كانت السند الدائم لأمراء البابان. ونتيجة لدعم الفرس لعبد الرحمن باشا، فقد دخل هذا في عدة معارك وقام بثورات ضد سلطة ولاة بغداد. وكانت هذه المعارك والثورات تستهدف استقلال كردستان، إلا أن خيانة أمراء الأسرة البابانية له عاقت تحقيق هدفه. أشرت في هذا الفصل إلى مداخلات عبد الرحمن باشا في شؤون ولاية بغداد، وعلاقته بالشاهزادة حاكم كرمنشاه، وما أدت اليه وفاة عبد الرحمن باشا من وضع حد للتطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها كردستان في عهده.

وأوضحت في الفصل الخامس والأخير، مدى تأثير قوة سمعة عبد الرحمن باشا في اختيار ابنه محمود باشا ليخلفه في تولي السلطة في الإمارة البابانية، وكيف تدهورت أحوال بغداد

في عهد الوالي سعيد باشا وأثرها في خروج داود باشا إلى كردستان، وقيام محمود باشا باستقباله، ومن ثم اتفاقهما على تسوية المشاكل التي كانت تثير الصدام المسلح بين ولاة بغداد والبابانيين لكي يعم الهدوء كردستان، وعرضت لموقف محمود باشا من ذلك الاتفاق، كما بينت المحاولات التي قام بها من أجل توحيد الأسرة البابانية لمواجهة الأخطار التي تهددها بالفناء، ثم استعرضت اندلاع الحرب العثمانية الفارسية بسبب الأمراء البابانيين، وما سببته تلك الحرب من كوارث على كلا الجانبين، وأوضحت كذلك إستمرار محمود باشا في صراعه من أجل منصب الإمارة حتى سقوطها بيد العثمانيين.

كما استعرضت في هذا الفصل علامات تدهور الإمارة، ومحاولة بعض الأمراء المتأخرين استعادة ما كان عليها من قوة وسيطرة. وأوضحت كيف تقاربت وجهات النظر العثمانية والفارسية حول الاتفاق على إنهاء الأحداث القائمة على حدودهما، والتي كانت تسببها الإمارات والعشائر الكردية، وخاصة الإمارة البابانية. واختتمت الفصل بدراسة نهاية حكم الإمارة عام 1851م. وقد الحقت بالبحث خاتمة تعرضت فيها لما توصلت اليه من نتائج.

وبهذه المناسبة يسرني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور كمال أحمد مظهر أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة بغداد لما قدمه لي من مساعدة قيمة في ترجمة بعض المصادر من اللغة الروسية إلى اللغة العربية، فله جزيل الشكر. وأقدم شكري للأستاذ الدكتور معروف خزندار رئيس القسم الكردي في كلية

الآداب جامعة بغداد لما قدمه من عون وتوجيه، كما أشكر الدكتور كاووس قفطان أستاذ التاريخ الكردي بكلية الآداب جامعة بغداد لما قدمه من عون، وأشكر الدكتور علاء موسى نورس لمساعدته الكبيرة بما قدمه من بعض التراجم، ولا يفوتني أن أثني على الأستاذ المحامي جمال بابان، الذي أمدني بمعلومات وافية عن تاريخ الأسرة البابانية، وقد أعطاني من وقته الكثير، كما أشكر الأستاذ محمد الملا كريم عضو المجمع العلمي الكردي في بغداد لمساعدته في ترجمة بعض المصادر الفارسية، ولا أنسى فضل زميلي في الدراسة، طالب الدكتوراه بجامعة استانبول الأخ مهدي جواد حبيب، لمساعدته لي في الحصول على بعض الوثائق غير المنشورة من الأرشيف العثماني باستانبول.

وختاماً، أجد نفسي عاجزاً عن أن أجد الكلمات التي تعبر عما أشعر به من فضل وتقدير وعرفان بالجميل نحو أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور السيد رجب حراز أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة القاهرة، لقبوله الإشراف على هذا البحث، ففضل سيادته أجّل من أن يذكر، وتوجيهاته أعظم من أن تقال، فبعطفه الأبوي وإرشاده العلمي، جاء هذا البحث بالصورة التي هو عليها الآن. فلا يسعني إلا أن أكرر لسيادته خالص الشكر والتقدير.

وأملي كبير في أن أكون قد وفقت في عملي هذا.

وما التوفيق لإ من عند الله

عبد ربه سكران إبراهيم الوائلي

تمهيد

العراق الجنوبي

ظل العراق مدة طويلة بعد فتح الأتراك العثمانيين له عام 1534 م ميداناً للصراع بين العثمانيين والفرس. فقد استرد الفرس بغداد وحكموها بضع سنوات (1623 – 1638م) في عهد ملكهم الشهير عباس الأكبر، ثم استردها العثمانيون، وبقيَ العراق تحت الحكم العثماني حتى الحرب العالمية الأولى.

ولم يكن الأسلوب الذي جرى عليه العثمانيون في حكم العراق يختلف عن اسلوبهم في حكم الولايات العربية الأخرى، فقسموا العراق إلى عدة باشويات أو أيالات: باشوية بغداد تشرف على العراق الأوسط، و باشوية الموصل و تشرف على العراق الأعلى، و باشوية البصرة و تشرف على العراق الأدنى. واقرّ العثمانيون العشائر البدوية في مناطقها الكردية في الشمال، و العربية في الوسط و الجنوب، و لكن زعماء العشائر كانوا نزاعين إلى الحرية و الأستقلال، و كثيراً ما أنتهزوا فرص النزاع بين العثمانيين والفرس ليتأرجحوا في الولاء بين الجانبين. كما أمتنعوا في حصونهم الجبلية، أو خرجوا إلى الصحراء حتى لا تصل اليهم قوات الحكومة.

وهكذا قاسى أهل العراق مثل ما كان يقاسيه سكان الولايات الأخرى تحت الحكم العثماني، من كثرة تبديل الولاة واحتلال جنود الحامية العثمانية وفقدان الأمن واندلاع الثورات العسكرية الموجهة ضد السلطة العثمانية، والتي كانت أكثر عنفاً مما جرى في الولايات العربية الأخرى، وقد حاولت فارس

استغلال تلك الأوضاع لاستعادة سيطرتها على العراق أو جزء منه، مما أدى إلى ازدياد أحوال العراق سوءاً [1].

والواقع أن العراق ظلّ يعاني في القرن السابع عشر من الفتن الداخلية والثورات الإنكشارية والتمردات العشائرية والتهديدات الفارسية والأزمات الإقتصادية، ومن الأوبئة والفيضانات، إلا أنه ما لبث أن تمتع في القرن الثامن عشر بشئ من الهدوء والإستقرار تحت حكم باشوات من المماليك الذين جلبهم حسن باشا، والي بغداد (1704 – 1723م)، والذي تمكن من إخضاع العشائر البدوية وفرض عليهم هيبة الحكومة. وعندما توفي ابنه أحمد باشا عام 1747م، حاول الباب العالي التخلص من الحكم الوراثي شبه المستقل الذي قام في العراق، فعين والياً من قبله على بغداد إلا أن المماليك عارضوه، ووقفوا وراء كتخدا أحمد باشا وصهره، وهو سليمان باشا المعروف بأبو ليلة، الذي زحف من البصرة على بغداد، فطرد واليها العثماني وتولاها، بالإضافة إلى البصرة، واعترف السلطان بالأمر الواقع، منتظراً الفرصة المناسبة لاستعادة حكمه المباشر. وبتعيين سليمان باشا والياً على بغداد، انتقل العراق إلى مرحلة جديدة من الحكم[2]، إذ أصبح إصدار أمر التعيين السلطاني يعتمد على قوة المرشح وكثرة أعوانه، بعد أن كان يصدر من الباب العالي مباشرة[3].

---

1 – سليمان فائق: تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1962م، ص 27 – 28.

2 – علاء موسى نورس: حكم المماليك في العراق 1749–1831 بغداد 1975.

3 – علي الوردي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث (ج 1)، بغداد 1969، ص 150.

لقد واجه سليمان باشا خلال سنوات حكمه الأولى بعض حركات التمرد العشائرية العربية والكردية على حد سواء[١]. ومع أنه أستطاع بحملاته السريعة الحاسمة أن يقضي عليها ويفرض سلطته على العشائر، وأن ينال بفضل انتصاراته تقدير البلاط العثماني، إلا أن معظم العشائر العربية ما لبثت أن بدأت في تغيير مناطق سكناها، بعد أن زال الضغط المسلط عليها، وأخذت تتنقل من غرب نهري دجلة والفرات إلى شرقيهما، وذلك للحصول على المراعي. وأصبح التنقل فيما بعد يزيد الضغط العشائري على العاصمة بغداد[٢]، وكثيراً ما كان يضطر ولاة بغداد إلى طلب مساعدة الأكراد[٣] لفك الحصار العشائري عنها[٤]. يضاف إلى ذلك، أن تنقل تلك العشائر كثيراً ما كان يؤدي إلى حصول تصادم بينهما، وبالتالي إلى فقدان الأمن في أطراف بغداد[٥].

ومع ذلك، فلم تقم الحكومة العثمانية أو باشواتها في بغداد، بعمل حاسم يعيد الهدوء و الإستقرار إلى تلك المناطق. وكل ما كانت تقوم به، هومحاولات لتهدئة ثورات وتمردات تلك العشائر،

---

[1] – رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء، في تاريخ وقائع بغداد الزوراء. ترجمة موسى كاظم نورس. بيروت 1963، ص 97

[2] – ستيفن هبمسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بيروت 1949. ص 189-190.

[3] – أنظر الفصل الثالث.

[4] – ياسين العمري: غاية المرام في محاسن تاريخ بغداد دار السلام. مخطوط في المتحف العراقي رقم 6295 ص 213.

[5] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، القاهرة 1968. ص 144.

وعندما يعود الهدوء المؤقت إلى تلك الأنحاء، تركن الحكومة العثمانية وباشواتها في بغداد للهدوء أيضاً[١]. وتقوم الحكومة بعد ذلك بتوزيع الأراضي بطريقة الإلتزام على بعض رؤساء العشائر، الذين يتحملون قسطاً من مسئولية حفظ الأمن داخل العشيرة، حتى تتمكن الحكومة العثمانية بالتالي من فرض سيطرتها عليها[٢].

وغني عن القول إن هذه السياسة الخاطئة من قبل ولاة بغداد، قد أدت إلى تفكك العراق إلى وحدات عشائرية، وأخذت كل منها تعتمد على نفسها وتحاول أن تفرض سيطرتها على غيرها من العشائر الأخرى الضعيفة.

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها بعض ولاة بغداد، أمثال سليمان باشا أبو ليلة (1750-1762م) في إعادة سيطرة الحكومة المركزية على أنحاء العراق، إلا أن تلك الجهود ذهبت سدى في عهد الوالي عمر باشا (1764-1775م)[٣] الذي شهد عصره أحداثاً كبيرة من جانب العشائر العربية لما كانت عليه من ثورات وتمردات، كما اجتاح العراق مرض الطاعون الذي أهلك الكثير من الناس[٤]، إضافة إلى قيام قوات كريم خان زند (1758-1779م) باحتلال مدينة البصرة. وكان كريم خان قد

---

1 - عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد. القاهرة 1986، ص 96-97

2 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق.

3 - أحمد جودت: تاريخ جودت (ج 1)، استنبول 1302 هـ، ص 271.

4 - شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق و إيران، بغداد 1966، ص 50.

تمكن من فرض سيطرته على الأوضاع المضطربة في بلاد فارس، بعد وفاة نادر شاه عام 1747م[1]. و لم تمض مدة على تسلمه السلطة، حتى توترت العلاقات بينه وبين حكومة بغداد، بسبب الأمراء البابانيين[2]. فقام كريم خان الزند عام 1775م بإرسال ثلاثة جيوش إلى العراق من الشمال والجنوب في آن واحد[3]. وكان على رأس الجيش الذي سار باتجاه الجنوب شقيقه صادق خان، حيث تمكن من فرض الحصار على مدينة البصرة مدة ثلاثة عشر شهراً[4]. وقد دافعت المدينة ضد المهاجمين، بقيادة متسلمها سليمان بك (سليمان باشا الكبير)، دفاعاً مستميتاً. وفي خلال ذلك الحصار طلب سليمان بك مساعدات من والي بغداد والدولة العثمانية، إلا أنه لم يتلق مساعدة من أي منهما، وذلك بسبب تهاون الوالي[5] من جهة وإنشغال الدولة من جهة أخرى في عهد السلطان عبد الحميد الأول (1773-1789م) بالحرب مع روسيا[6].

و بعد أن يئس سليمان بك متسلم البصرة من وصول النجدات العسكرية من بغداد والأستانة، والتي كان يتوقع مجيئها

1 - محمد أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان (ج1)،ترجمة سانحة أمين زكي، بغداد 1945، ص 30.

2 - جعفر خياط: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت 1971 ص 30.

3 - محمد رشيد السعدي: قرّ العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين، بومبي 1335هـ، ص 123.

4 - أحمد على الصوفي: المماليك في العراق. الموصل 1952، ص 37.

5 - علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدولة الفارسية في العراق، بغداد 1927، ص 115.

6 - عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية. القاهرة 1974، ص 21.

لفك الحصار الذي ضربته قوات كريم خان زند عليها، فقد قرر بعد التشاور مع كبار شخصيات المدينة أن يسلمها لصادق خان، شريطة أن يحافظ على أرواح أهلها وأموالهم، لكن صادق خان لم يراع ذلك بعد دخوله المدينة عام 1776م، فاستباح الأهالي وسلب أموالهم وأخذ المتسلم بعد ذلك أسيراً إلى مدينة شيراز في بلاد فارس[1].

وهكذا سقطت البصرة بيد الفرس، بسبب عبث الولاة وتردي الحالة في ولاية بغداد نفسها، وأضطراب الأمور في معظم أنحاء العراق.

ويعزو المؤرخون تلك الحملة التي أرسلها كريم خان الزند إلى العراق وانتهت باحتلال البصرة إلى أسباب عدة، أهمها ما يلي:

1: محاولة كريم خان الزند إشغال جيشه عن سوء الأوضاع داخل بلاد فارس[2].

2: رواج الحركة التجارية في ميناء البصرة، بعد انتقالها من مينائي بندر عباس وبوشهر الفارسيين[3].

3: تمسك الفرس بحجج المعاملة السيئة التي يلاقيها زوار العتبات المقدسة من الفرس في كربلاء والنجف[4].

---

1 - أمين حسن المدني: خمسة و خمسون عاماً من تاريخ العراق 1188-1242هـ، و هو مختصر مطاع السعود بطيب أخبار الوالي داود. للشيخ عثمان بن سند البصري، القاهرة 1371، ص 11.

2 - Sykes P.: A history of Persia, London 1969, P. 281

3 - لونكريك: المصدر السابق ص. 77

4 - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 31.

وقد ظلت مدينة البصرة تحت سيطرة الفرس حتى عام 1779م ولم يبذل خلال تلك الفترة أي وال من ولاة بغداد جهداً يذكر لإنقاذها[1]، بالرغم من الأوامر الصادرة اليهم من الأستانة بهذا الشأن، وذلك لإنشغالهم بتثبيت مراكزهم[2]. إن هذا الإهمال المتعمد، قد شجع الفرس على إخضاع عشائر المنتفق التي كانت سببت لهم كثيراً من المتاعب[3] بما كانت تقوم به من هجمات على الجيش الفارسي، فجهز صادق خان جيشاً سار به عليهم، بينما استعدت تلك العشائر لمواجهته. وكانت القوات الفارسية قد تمركزت في مكان جنوبي العراق يسمى (الفضيلة)، فتمكنت قوات العشائر من صد الهجوم وإلحاق الهزيمة بالمهاجمين. وعندئذ كرر صادق خان هجومه وسلم قيادة القوة المهاجمة إلى محمد علي خان، فكان مصيرها أسوأ من مصير الحملة الأولى وقتل قائدها[4].

ومن هنا، فقد وصلت أنباء عن وفاة كريم خان زند، واضطراب الحالة في بلاد فارس، فأراد صادق خان أن يتسلم السلطة خلفاً لأخيه، فانسحب بمن معه من الجيش الفارسي من البصرة، لكنه فشل في الحصول على السلطة؛ بسبب منافسة ابن عمه زكي خان الذي كان حوله كثير من الأعوان والأنصار[5].

---

1 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 210.

2 – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 210.

3 – علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدولة الفارسية في العراق، ص 116

4 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 12.

5 – سليمان فائق: تاريخ المماليك الكوله، ترجمة محمد نجيب الشامي، بغداد 1921، ص 15.

وقد اطلق زكي خان سراح سليمان بك، وسمح له بالعودة إلى البصرة لتسلم منصبه، لكن الحكومة العثمانية كانت قد أصدرت أمراً بتعيين نعمان أفندي متسلماً على البصرة. وقد وقف الشيخ ثامر، شيخ المنتفق، إلى جانب نعمان أفندي ضد سليمان بك ورفض عودته إلى حكم البصرة بسبب ما كان بينهما من خصام. غير أن اندلاع النزاع بين عشيرتي الخزعل والمنتفق ومقتل الشيخ ثامر، ومجيء الشيخ ثويني لمشيخة المنتفق، والذي كانت تربطه بسليمان بك صداقة، ما لبث أن تمخض عن عودة الأخير إلى حكم اليصرة[1]، ومن الملاحظ أن عودة البصرة إلى حظيرة العراق، لم تكن إلا نتيجة الظروف التي سادت بلاد فارس، وحركات العشائر العربية في جنوبي العراق، أما ولاة بغداد المماليك، فلم يكن لهم أي دور في ذلك.

ونتيجة لإستمرار الفوضى في بغداد، ومقتل الوالي حسن باشا (1778-1780م)، أتيحت لسليمان بك الفرصة لكي ينال باشوية بغداد. فبعث إلى الباب العالي مطالباً بمنصب ولاية بغداد ومتعهداً بإعادة الهدوء والأمن إلى كافة أنحاء العراق. وقد وقف إلى جانب سليمان بك في طلبه هذا المقيم البريطاني في البصرة لاتوش (Latouch) لما كانت بينهما صداقة قديمة[2]. وقام لاتوش بإرسال مبلغ من المال إلى السفير البريطاني في الأستانة ليقوم بصرفه على بعض رجال الدولة هناك، بغية الحصول على موافقتهم على تعيين سليمان بك في منصب والي

---

1 - علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 44.

2 - زكي صالح: بريطانيا والعراق حتى عام 1914، بغداد 1968، ص 127.

بغداد، وقد تم له ذلك عام 1780م، وأصبح يطلق عليه سليمان باشا الكبير(١).

ومما يجدر ذكره، أنه بعد أن أصبحت بريطانيا القوة الوحيدة المتحكمة في الهند دون منازع على أثر صلح باريس عام 1763م، شرعت في توطيد نفوذها في الأقطار الواقعة على طريق الهند، فكان من الطبيعي أن يأتي العراق في مقدمة تلك الأقطار(٢)، لما كان يتمتع به من موقع جغرافي وثروات طبيعية. ومن ثم، فقد أخذت بريطانيا تثبت أقدامها وتنشر نفوذها في العراق بالاعتماد على شركة الهند الشرقية الإنكليزية التي كانت قد أنشأت لها منذ عام 1643م محطة أو وكالة ثابتة في البصرة(٣). ويعتبر تأسيس الوكالة التجارية البريطانية في بغداد عام 1755م بداية لتوسع النفوذ البريطاني في معظم أنحاء العراق(٤)، وجاء تعيين المستر كلوديوس جيمس ريج مقيماً في بغداد عام 1808م ليدعم النفوذ البريطاني في العراق، بسبب نشاطه الواسع واتصلاته الكثيرة(٥)، وقد تكفلت شركة لنج للملاحة عام 1826م بتسيير البواخر في نهر دجلة، بعد أن

---

[1] – لونكريك: المصدر السابق، ص 184

[2] – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 88.

[3] – أحمد عزت عبد الكريم: "العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر" بحث ضمن كتاب دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة. القاهرة بدون تاريخ، ص 229.

[4] – ريجاد ركوك: بغداد دار السلام (ج2)، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، بغداد 1967، ص 90.

[5] – لونكريك: المصدر السابق، ص 233.

حصلت على امتياز بذلك من الحكومة العثمانية، ثم قامت الشركة بتوسيع دائرة عملها على عهد تايلور (Taylor) الذي حل محل ريج في المقيمية البريطانية في بغداد[1].

والواقع أن علاقات العراق مع دول أوروبا الغربية، قد ازدادت توطداً واتساعاً منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أخذت البعثات الفرنسية والإيطالية واليونانية وغيرها تتردد على العراق لزيارة معالمه المختلفة ودراسة أحواله الإقتصادية[2]. وقد اكتسب العراق أهمية كبيرة بالنسبة لفرنسا التي سعت من أجل تأمين مرور قواتها عبر الأراضي العراقية إلى مستعمراتها، ولذلك فقد عقد عملاؤها في العراق اتفاقية مع الوالي علي باشا (1802-1807) تقوم فرنسا بموجبها بتدريب الجيش المملوكي وتسليحه بأحدث الأسلحة، بالإضافة إلى تكوين وحدة عسكرية نظامية على طراز الجيوش الأوربية، لكي يستخدمها الوالي في ضرب حركات التمرد والعصيان التي تقوم بها العشائر العربية والكردية[3].

و بعد مقتل الوالي علي باشا عام 1807م، حاولت الدولة العثمانية التخلص من حكم المماليك في العراق، فأصدرت أمراً بتعيين الصدر الأعظم السابق ضياء باشا لولاية بغداد[4]، إلا أن تدخل السفير الفرنسي في الأستانة الجنرال سباستياني

---

1 - أحمد عزت عبد الكريم: المصدر السابق، ص 233.

2 - لونكريك: المصدر السابق، ص 240.

3 - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة الدكتورة عفيفة البستاني. موسكو 1971، ص 78و79.

4 - عباس العزاوي: تاريخ العراق بين الاحتلالين (ج6)، بغداد 1954، ص 182.

(Sebastiani) لدى السلطان العثماني وطلبه منه تعيين سليمان باشا الصغير، حيث كانت هناك علاقة بين سليمان والسفير الفرنسي، قد أحبط محاولة الدولة العثمانية في استعادة سيطرتها المباشرة على العراق[1]. ويعود ذلك لتغيير الأحوال في الدولة العثمانية، إذ كان النفوذ الفرنسي في هذه الفترة متفوقاً على نفوذ أية دولة أوروبية أخرى في العاصمة العثمانية نظراً لأن السلطان مصطفى الرابع (1807-1808م) كان معجباً بالإمبراطور نابوليون الأول[٢].

إن تدخل السفير الفرنسي الصريح في الشؤون الداخلية للحكومة العثمانية، كما فعل من قبل المقيم البريطاني، يدل دلالة واضحة على مدى التنافس الإستعماري بين الدول الأوروبية وتسابقها على فرض سيطرتها وكلمتها على الدولة العثمانية[٣].

وبينما كان ذلك التنافس الأوروبي على أشده، ظهرت الدعوة الوهابية في نجد كقوة جديدة في المنطقة أخذت تهدد العراق وبلاد الشام بين حين وآخر[٤]، حيث لم يكن أولئك الوهابيون يعترفون بسيادة السلطان العثماني على البلاد العربية، فأرادوا من ثمّ اخضاعها لسيطرتهم، وعلى أساس تعاليمهم الدينية. غير أن قوتهم العسكرية لم تكن كافية لتحقيق هدفهم، فاقتصروا في عملياتهم العسكرية على تنظيم الغارات

---

1 - أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 105- 106.

2 - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 47.

3 - أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 106.

4 - لونكريك: المصدر السابق، ص 256.

المفاجئة على المناطق التي يتمكنون من الوصول اليها والتي تكون قريبة من حدود شبه الجزيرة العربية[١].

ففي عام 1801م شن الوهابيون هجوماً على مدينة كربلاء ونهبوا ما فيها من نفائس ثمينة، كان يقدمها ملوك الفرس كهدايا لضريح الحسين، كما قتلوا عدداً كبيراً من سكان المدينة[٢]. وقد وصلت أخبار تلك الحوادث إلى الأستانة وفارس، إلا أن كلا الجانبين لم يكونا في وضع يساعدهما على تقديم المساعدة والأخذ بالثأر[٣]. ولهذا فقد اعتمد معظم ولاة بغداد على مساعدات العشائر العربية والكردية لمواجهة الغارات والغزوات الوهابية على مناطق الحدود العراقية[٤].

غير أن أسوأ ما حدث كان الهجوم الذي شنه الوهابيون عام 1802م للمرة الثانية على مدينة كربلاء، بينما كان معظم الناس يؤدون الزيارة في مدينة النجف. ولذا فقد خلت المدينة من أهلها الذين كان بمقدورهم مواجهتهم، فوقع من بقى منهم بأيدي الوهابيين وقتل معظمهم. وقد ذكر الرحالة الهندي مرزا أبو طالب، الذي وصل كربلاء بعد مدة من وقوع الهجوم، أن الناس اتهموا عمر آغا حاكم المدينة، بأنه كان متواطئاً مع الوهابيين ولم يعمل شيئاً لحماية المدينة منهم، وأنه ما أن علم بالخطر

[1] – لوتسكي: المصدر السابق، ص 80.

[2] – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 74.

[3] – ستين لويد: الرافدين، موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن. ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس. بغداد 1943، ص 249– 250.

[4] – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 75– 76.

حتى هرب إلى قرية قريبة من كربلاء بدلاً من أن يعمل على مقاومتهم[1].

ومهما كانت حقيقة هذا الإتهام، فأن اضطراب الأحوال في ولاية بغداد، والتدخل الأجنبي في شؤون العراق الداخلية، والهجمات الوهابية، قد أضعفت من سيطرة الولاة والدولة العثمانية وقدرتهما على فرض السلطة المركزية في معظم أنحاء العراق، وبالتالي اتيحت الفرصة لظهور أسر كردية قوية في شمال العراق، استطاعت تكوين إمارات كردية قوية، مستغلة إنشغال الولاة باضطراب الأحوال وتثبيت مراكزهم، وقد تمكنت تلك الإمارات من إدارة شؤون أفرادها والمناطق المحيطة بها، وحاولت الاستقلال النهائي عن سلطة بغداد المركزية، كالإمارة السورانية في راوندوز والإمارة البابانية في السليمانية.

---

[1] – مرزا أبو طالب: رحلة أبي طالب إلى العراق و أوروبا سنة 1213هـ – 1779م، ترجمة مصطفى جواد، بغداد، 1970، ص 385– 386.

العراق الشمالي

كان لتطور النظام الإقطاعي العشائري الكردي، دور بارز في نشأة وتطور إمارات كردية عديدة في كردستان[1]، اصبح لها شأن كبير في الأحداث التي وقعت بين الدولتين العثمانية والفارسية، خاصة بعد معركة جالديران عام 1514م بين السلطان سليم الأول (1512- 1520م)[2] والشاه إسماعيل الصفوي (1500- 1525م). و قد استغلت الدولتان وجود تلك العشائر على حدودها، فاستخدمتهما بمثابة حراس للحدود بينهما، وعهدت إلى رؤسائها بحكم المناطق النازلة بها عشائرهم. وقد جمع أولئك الرؤساء حولهم عدداً من الرجال القادرين على حمل السلاح، وذلك لتنفيذ المهام التي يكلفون بها من الدولتين[3]، ودأب شاهات الفرس والسلاطين العثمانيين على النظر إلى العشائر الكردية باعتبارها جيشاً إحتياطياً يساعد الجيش النظامي في الحفاظ على سلامة الحدود[4].

واختلف المؤرخون حول أصل الأكراد وعما إذا كانوا يؤلفون جنساً مستقلاً بذاته أم أنهم من أصل فارسي[5] أو عربي. ويتفق بعض الكتاب المسلمين القدماء على أن الكرد إنفردوا من قديم

---

[1] – محمود الدرة: المصدر السابق، ص 74

[2] – بلهج شيركوه: القضية الكردية، ماضي الكرد وحاضرهم. مصر 1930، ص 34.

[3] – باسيل نيكتين: الأكراد، ترجمة طائفة من الكتاب، بيروت 1958، ص 61- 62.

[4] – خالفين: الصراع على كردستان، ترجمة أحمد عثمان أبو بكر، بغداد 1969، ص 41.

[5] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج2)، بغداد 1947، ص 3. أمين زكي: خلاصة تاريخ كرد وكردستان.

الزمان عن العرب لوقائع ودماء كانت بينهم، أو لأنهم اعتصموا بالجبال طلباً للماء والمراعي[١]، لكن بعض الكتاب المحدثين يرون أن الأكراد ولو أنهم شعب مستقل عن الشعوب الأخرى، إلا انهم تأثروا بمن جاورهم من عرب وفرس، فضلاً عن اختلاط بعضهم بالعرب[٢].

وقد عرف الكرد قبل الإسلام، وأطلق عليهم سكان الجبال[٣]. وفي العصر الإسلامي أصبح الأكراد من العناصر النشطة الفعالة، وأخذ تاريخهم يتضح أكثر منذ أن بدأت الفتوحات الإسلامية في الإمبراطوريتين القديمتين الفارسية في الشرق، والرومانية في الغرب. وراح الأكراد يكتسبون العادات والتقاليد الإسلامية، بعد أن نبذوا تقاليدهم السابقة، وأصبح تعلقهم بالدين الإسلامي والصحابة كبيراً[٤].

وعلى العموم، فأن الأكراد يعتبرون من أقدم الشعوب التي سكنت منطقة الشرق الأدنى، وقد تمكنوا على مر العصور، وفي ظروف الحرمان من الاستقلال، من الاحتفاظ بكيانهم وقيمهم الروحية، وظلوا يتطلعون بشدة للحصول على الاستقلال وتكوين الدولة الكردية، كما لعب الأكراد دوراً مهماً في الحياة السياسية والعسكرية للشرق الأدنى[٥].

---

1 – يحي الخشاب: كرد وكردستان، القاهرة 1958، ص 3.

2 – عباس العزاوي: نفس المصدر (ج2) ص 19. أمين زكي: نفس المصدر، ص 231.

3 – يحي الخشاب: نفس المصدر، ص 12.

4 – أمين زكي: خلاصة كرد وكردستان، ص 130 و 232. عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج 2)، ص 231.

5 – جليلي جليل: أكراد الإمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، موسكو 1973، ص 22.

وقد قسم الأكراد من الناحيتين الثقافية والإجتماعية إلى أربعة أقسام، يرجع اليها أصلهم، وهي:

1: الكرمنــج.

2: اللـــر.

3: الكلهــر.

4: الكـوران[١].

وقد سكن هؤلاء الأكراد في منطقة كردستان التي تعني بلاد الأكراد، وهي لفظة هندو- أوربية وكردستان منطقة واسعة ليست لها حدود سياسية تجمع بين سكانها[٢]. وكان أول من أطلق لفظة كردستان، هو الملك سنجر آخر ملوك السلاجقة، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد أطلقها على إحدى مقاطعات مملكته، عندما اقتطع جزءاً من مقاطعة كرمنشاه، وعين عليها ابن أخيه سليمان شاه[٣].

وتشكل كردستان، بفضل موقعها الجغرافي ممراً استراتيجياً بين بلدان الشرق الأدنى، وكذلك جسراً اقتصادياً وسياسياً بين الشرق والغرب[٤]، وهي تؤلف جزءاً من مختلف الإمبراطوريات التي تعاقبت على الشرق منذ القدم[٥]. وبعد معركة جالديران

---

1 – شرفخان البدليسي: الشرفنامه، ترجمة محمد علي عوني (ج 1) القاهرة 1948، ص 12.

2 – باسيل نيكتين: المصدر السابق، ص 25.

3 – محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد، ص 132.

4 – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 17.

5 – كاظم حيدر: الأكراد من هم و إلى أين، بيروت 1959، ص 14.

عام 1514م، أصبح القسم الأكبر من كردستان ضمن أراضي الإمبراطورية العثمانية والقسم الآخر ضمن أراضي الإمبراطورية الصفوية الفارسية[1]. وفي عام 1629م قسمت كردستان طائفياً إلى منطقتين، أحدهما شيعية تحت السيطرة الفارسية، والإخرى سنّية تحت السيطرة العثمانية[2].

ومما يذكر أن الصراع الذي بدأ منذ القرن السادس عشر بين العثمانيين والفرس من أجل السيطرة على هذه المنطقة، إستمر حتى القرن التاسع عشر، الذي أعتبر فترة انحلال كلّي بالنسبة للإمبراطورية العثمانية، وذلك لأن ظروف الحياة السياسية والإقتصادية للدولة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، قد حركت وبشكل ملحوظ النضال التحرري لجميع الشعوب الداخلة في الإمبراطورية العثمانية، والتي أدى ضعفها إلى ارتباطها السياسي والإقتصادي بالدول الأوربية الكبرى[3].

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918م وتكوين الحكومة العراقية عام 1912، وبضم ولاية الموصل إلى العراق، التي كانت الحكومة التركية الناشئة تدعي بتبعيتها لها، انتقل جزء من كردستان إلى الأراضي العراقية، وهو أقل من ربعها بقليل، وبقى أكثر من نصفها داخل الأراضي التركية والبقية في

---

1 – جليلي جليل: نفس المصدر، ص 22.

2 – كاووس قفطان: ملاحظات حول الإمارة البابانية، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 19 سنة 1976، ص 160

3 – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 24 – 25.

إيران والإتحاد السوفيتي[١].

وجدير بالملاحظة أن الحدود المشار اليها، هي جديدة بالنسبة للأكراد الذين تمكنوا من تكوين إمارتهم قبل وأثناء الصراع العثماني الفارسي.

ففي القرن الرابع عشر الميلادي، نشأت إمارة بهدينان العباسية إلى الشمال من نهر الزاب الكبير، وتمكنت بعد ذلك من ضم مقاطعات العمادية ودهوك وزاخو[٢]. وبحكم موقعها الجغرافي في شمال العراق، وتكوينها العسكري والإداري، وطبيعتها الجبلية، أصبحت أقوى قوة سياسية في المنطقة الشمالية من العراق، وصارت تهدد ولاية الموصل[٣].

وينتسب البيت الحاكم لهذه الإمارة، إلى أحد أبناء المستعصم آخر خلفاء بني عباس في بغداد[٤]، وهو الأمير بهاء الدين. وقد سميت الإمارة البهدينانية باسمه[٥].

ومما يستلفت النظر أن معظم توسعات الإمارة البهدينانية، قد حدثت في القرن السادس عشر الميلادي، واستفادت من ظروف الصراع العثماني الصفوي. وبعد انتصار العثمانيين على

---

1 – كاظم حيدر: المصدر السابق، ص 17.

2 – محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني، مصر 1945، ص 27.

3 – عماد عبد السلام "الموصل في العهد العثماني". النجف الأشرف 1975، ص 159- 160.

4 – شرفخان: المصدر السابق (ج 1)، ص 102.

5 – محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية. الموصل 1969، ص 9.

الصفويين في معركة جالديران عام 1514م، خضع أميرها السلطان حسن إلى سلطة الدولة العثمانية[١]. ومنذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، نال الأمراء البهدينانيون ألقاباً كالبك والباشا[٢].

ولم يكن لتلك الألقاب سوى أهمية تشريفية فقط، فقد بقيت التشكيلات الحكومية للإمارة البهدينانية صورة مصغرة للحكم العباسي في بغداد[٣]، إلا انها كانت بسيطة وقوية. فكان الأمير يسكن العمادية عاصمة الإمارة، ويساعده أحد علماء الدين، الذي يمثل دور قاضي القضاة، وواجبه أن يصدر الفتاوي ويحسم الدعاوي. وكان يحكم كل مدينة رئيسية من مدن الإمارة أحد الأمراء من الأسرة المالكة. كما كان لكل قبيلة رئيس منوط أمر تعينه بالأمير الأعلى للإمارة. أما الدعاوي الشرعية والحقوقية في الإمارة، فتكون من اختصاص علماء الدين[٤].

وزادت أهمية إمارة بهدينان في السياسة العثمانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، إلى حد أنَّ تلك الإمارة أعتبرت وحدة سياسية قائمة بذاتها لا ترتبط إلا مع الباب العالي مباشرة. وعلى ذلك، كان الأمراء البهدينانيون يرجعون في نزاعهم من أجل تولي مناصب الإمارة إلى الأستانة مباشرة[٥]،

[1] – شرفخان: المصدر السابق (ج 1)، ص 104. صديق الدملوجي: إمارة بهدينان، الموصل 1952، ص 16

[2] – محفوظ العباسي: نفس المصدر، ص 69.

[3] – محفوظ العباسي: نفس المصدر، ص 121.

[4] – أنور مائي: الأكراد في بهدينان، الموصل 1960، ص 178- 170.

[5] – محفوظ العباسي: المصدر السابق، ص 73.

ومنها يتسلمون الأوامر والنواهي، كما ساهموا في الحملات العثمانية العسكرية [1].

ولقد حاول الأمراء البهدينانيون في ذروة مجدهم وقوتهم أن يضموا بعض المقاطعات التابعة للإمارات الكردية المجاورة، مثل الإمارة السورانية والإمارة البابانية [2]، إليهم، كما تمكنوا بالفعل من مد نفوذهم إلى ولاية الموصل [3].

غير أن الإمارة البهدينانية تأثرت فيما بعد، بسياسة توحيد العراق التي بدأها والي بغداد حسن باشا (1704- 1723م) وابنه من بعده، أحمد باشا (1724- 1747م). وقد نجح أحمد باشا من استمالة الأمير البهديناني بهرام باشا الملقب بالكبير وإخضاعه لنفوذه، فأصبحت العمادية عاصمة الإمارة من توابع ولاية بغداد، وتعين على الأمراء البهدينان أن يدفعوا الضريبة السنوية المقررة عليهم إلى ولاة بغداد، مقابل إصدار الأوامر بتعيينهم في منصب الإمارة [4].

ولقد كان خضوع الإمارة البهدينانية لسيطرة ولاية بغداد، هو بداية دخول تلك الإمارة في صراعات أسرية بين أمرائها حول منصب الإمارة، وازداد بالتالي تدخل الإمارات المجاورة لها في شؤونها الداخلية، وصار بإمكان الأمير البهديناني اللاجئ إلى

---

[1] – مرتضى نظمي زادة: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف الأشرف 1970، ص 305.

[2] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 70.

[3] – علي سيدو الكوراني: من عمان إلى العمادية أو جولة في كردستان الجنوبية، مصر 1939، ص 53.

[4] – ياسين العمري: غاية المرام، ص 93.

إحدى الإمارات ان يحصل على المساعدات العسكرية التي تمكنه من إعتلاء منصب الإمارة[١].

ويمكن تفسير وصول الأسرة البهدينانية العباسية الغريبة (جنساً ولساناً) عن أهل البلاد إلى الحكم وإستقرارها فيه لمدة قرون، إلى طبيعة المجتمعات الكردية العشائرية في المناطق الشمالية من العراق، والتي تعيش حياة قبلية بعيدة عن كل تنظيم حضري تعترف به وتلتزم بقيمه، كما يرجع ذلك أيضاً للافتقار إلى عشيرة كردية بمقدورها أن توحد العشائر في إطار حكم واحد، لأسباب يعود أغلبها إلى تكافوء تلك العشائر من حيث القوة العسكرية، وعدم وجود ما يفضل بعضها على بعض. ومن ثم فأن مجيء أسرة دينية، ذات تراث حافل، إلى حكم البلاد، كان من شأنه أن يخضع جميع العشائر الكردية إلى قيادتها، ويجعل لها مركزاً أساسياً يعلو على الزعامات العشائرية المتناحرة[٢].

وبالفعل، فقد نجحت الأسرة العباسية طيلة فترة حكمها في الاستئثار بالسلطة السياسية والإدارية في منطقة واسعة دون أن يشاركها في ذلك أحد من أبناء البلاد ذاتها. فتحولت بذلك إلى طبقة حاكمة ارستقراطية تتولى بنفسها حكم جميع مدن الإمارة.

غير أن الصراع بين الإمارات الكردية المجاورة، ومحاولة إحداها ابتلاع الأخرى، سرعان ما كان يؤدي إلى ضعف الواحدة

---

[1] – محمود الدرة: المصدر السابق، ص 89. محفوظ العباسي: المصدر السابق، ص 59، 60، 80.

[2] – عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان عهد المماليك 1749–1831م. رسالة دكتوراه، القاهرة 1976، ص 130– 131.

منها لتحل الأخرى محلها وتقوم بالاستيلاء على أراضي ومقاطعات الإمارة الضعيفة[١]. ثم ترى الإمارة القوية الناهضة نفسها تواجه أقوى قوة في البلاد، وهي ولاية بغداد مركز العراق. والجدير بالذكر أن الإمارة البهدينانية بعد ما دخل أمراؤها في صراع من أجل منصب الإمارة، كانت الإمارة السورانية تنمو ببطء بجانبها وتحاول السيطرة عليها[٢].

والإمارة السورانية اسسها رجل من بغداد يدعى كولوس[٣] في القرن الثاني عشر الميلادي[٤]. وكان له ثلاثة أبناء، هم عيسى وإبراهيم وشيخ ادريس. فتمكن الأول من تولي السلطة بعد والده، واستطاع بعد ذلك أن يوسع رقعة الإمارة في المناطق المحيطة بها، وإتخذ من مقاطعة حرير مركزاً لإمارته[٥].

ويبدو أن السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566م) خشي من تفوق نفوذ الأسرة السورانية في بداية نشأتها، فضربها بالعشائر اليزيدية المقيمة في منطقة جبل سنجار غرب ولاية الموصل، ومن ثم نصَّب على الإمارة أميراً يزيدياً، لكن السوارنيين سرعان ما استرجعوا إمارتهم ونقلوها إلى منطقة شقلاوة[٦]، ثم إتخذوا راوندوز مركزاً لعاصمة الإمارة، وذلك بعدما سيطر البابانيون على حرير[٧].

---

1 - عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 99 – 100.

2 - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 118.

3 - شرفخان: المصدر السابق (ج 1)، ص 268.

4 - محمود الدرة: المصدر السابق، ص 84.

5 - أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص 400.

6 - من المصايف المهمة في لواء أربيل في شمال العراق.

7 - محمود الدرة: المصدر السابق، ص 84- 85.

ومما يجب التنبيه إليه أن الإمارة السورانية لم تستطع التوسع والظهور كإمارة قوية، إلا بعد أن ضعفت الإمارة البابانية التي كانت أقوى قوة في كردستان الجنوبية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، حيث أدى الصراع الأسري بين أمرائها وقيام الجيوش الفارسية والعثمانية باجتياح أراضيها، إلى تدهور قوتها، فساعد ذلك الإمارة السورانية على أن تعمل بهدوء في سبيل تقوية نفسها في مقرها الجديد راوندوز[1]، حتى أصبح لها كيان واضح في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي[2].

غير أن الإمارة السورانية، كسواها من الإمارات الكردية، نكبت بالصراعات الجانبية بين أمرائها من أجل تولي منصب الإمارة، ولم تستطع أن تتخلص من ذلك الصراع إلا على يد أميرها محمد باشا، الذي تولى السلطة فيها بعد وفاة والده مصطفى بك عام 1826م[3]. وتعتبر وفاة الأمير السوراني مصطفى بك بداية جديدة لإعادة قوة وتوسع الإمارة على عهد الأمير محمد باشا الملقب بميركور[4]، فقد تمكن هذا الأمير من القضاء على معارضيه في داخل الإمارة ليتخلص من منافستهم أولاً، ثم بدأ بعد ذلك بالفتوحات خارج إمارته لاستعادة المقاطعات التي كانت خاضعة من قبل لسلطتها من جهة وللسيطرة من جهة أخرى على مناطق جديدة. فتمكن من

---

1 – علي سيدو الكوراني: المصدر السابق، ص 130.

2 – محمود درة: نفس المصدر، ص 86.

3 – محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية و أنحائها، ترجمة محمد جميل بندي الروزبياني، بغداد 1951، ص 151.

4 – أي الأمير الأعور لإصابته بعلة في إحدى عينيه.

إخضاع عشائر السيروان وعشائر البرادوست في شمال راوندوز. ثم طرد حكام البابان من مقاطعتي كوسينجق وحرير، كما استولى على رانية والتون كوبري، وقام بمحاصرة عقرة وطرد حاكمها البهديناني إسماعيل باشا. كذلك أصبحت دهوك وزاخو، في اقصى شمالي العراق، من توابع ولايته، ثم غزا منطقة سنجار التي يقيم فيها اليزيدية، والواقعة غرب ولاية الموصل واحتل جزيرة ابن عمر وهدد مقاطعتي نصيبين وماردين، وبعد سيطرته على كل تلك المناطق، نصَّب عليها حكاماً من أقاربه(١)، وقد أصبحت الإمارة السورانية بعد تلك الفتوحات والإنتصارات أقوى إمارة كردية في كردستان، ولم يبق أمام محمد باشا ميركور للسيطرة على جميع كردستان سوى القضاء على الإمارة البابانية في السليمانية، والتي كانت منشغلة بالصراعات الأسرية(٢).

وهناك إمارات كردية أخرى، كان لها أيضاً تأثيرٌ على الأحداث في كردستان، وأهم تلك الإمارات، هي إمارة الحكارية، والإمارة البوتانية وإمارة أردلان في الأراضي الفارسية.

فالإمارة الحكارية الواقعة جنوب بحيرة وان في الشمال من نهر الزاب الكبير في العراق(٣)، قد تمكنت من تأسيس إمارة قوية في كردستان الوسطى(٤)، بعد أن فتح تيمورلنك دياربكر في

---

[1] – لونكريك: المصدر السابق، ص 271– 272.

[2] – زبير بلال إسماعيل: أربيل في أدوارها التاريخية، النجف الأشرف 1970، ص 326

[3] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 73.

[4] – محمد أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص 381.

القرن الرابع عشر الميلادي. وكان تيمورلنك قد منح حكم دياربكر إلى شخص يدعى أمير قره عثمان، حيث تمكن من انتهاج سياسة أعانته على فرض سيطرته على ما يحيطه من المقاطعات، خاصة بعد جلاء قوات تيمورلنك عن كردستان[١]، ومما ساعد أمراء الحكارية، بعد أمير قرة عثمان، على توسيع رقعة إمارتهم، قيام القوات العثمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي بالقضاء على الإمارات الواقعة إلى الشمال من الإمارة الحكارية، وإزالة عدد من قلاع الأمراء الأكراد هناك، فأتيحت للأمراء الحكاريين بذلك الفرصة للتوسع في تلك المناطق وفرض سيطرتهم عليها.

والجدير بالملاحظة أن الحياة السياسية في المنطقة الممتدة بين بحيرتي وان وأورميا، كانت تتأثر إلى حد كبير بموقف أمراء الحكارية، حيث كان باستطاعة الأمير الحكاري أن يجهز عند الحاجة قوات مسلحة تقدر بأربعين الف رجل[٢]. ولما كان أمراء الحكارية لا يخشون قوة الدولة العثمانية، فقد قاموا بعقد عدة محالفات مع العشائر المجاورة لهم[٣].

وقد سعت الحكومة الفارسية لاستمالة أمراء الحكارية، مستخدمة في ذلك شتى الأساليب كالتهديد والإغراء. وكان أكثر حكام فارس إندفاعاً لاحتواء أمراء الحكارية والعشائر المنضوية

---

1 - الميجر سون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان (ج 2)، ترجمة فؤاد جميل، بغداد 1971، ص 150.

2 - جليلي جليل: المصدر السابق، ص 73- 74.

3 - الميجر سون: المصدر السابق (ج 2)، ص 150- 151.

تحت سيطرتهم، هو الشاهزادة عباس ميرزا ولي العهد وحاكم أذربيجان الذي تمكن فيما بعد من استمالة إسماعيل بك الأمير الحكاري وبعض العشائر الأخرى. وقد اعترف عباس ميرزا بالأمير إسماعيل بك أميراً على الإمارة الحكارية، وبعد وفاة الأخير وتسلم مصطفى بك الإمارة الحكارية، عمل الشاهزادة أيضاً على استمالته، وتمكن من ذلك، كما كسب ولاء العشائر الحدودية في كردستان الوسطى[1].

وفي منطقة الجزيرة العراقية، تقع إمارة بوتان الكردية الصغيرة، والتي احتلت مكاناً بارزاً في التقاليد والثقافة الكردية. وقد إنحدر اسم الإمارة من اسم العشيرة المشهورة والمعروفة باسم بوتان، وأمتازت هذه العشيرة بالشجاعة[2]، مما جعل بعض العشائر الكردية مثل رشكي ودالان وشيروان، تخضع لسيطرة الإمارة البوتانية، بالإضافة إلى الأكراد كان يعيش في هذه الإمارة العرب والأرمن.

ومع أن المعلومات عن هذه الإمارة خلال الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت قليلة، إلا أن من المعروف إنَّ الإمارة برزت على المسرح السياسي والعسكري بعد أن تسلم مقاليدها الأمير بدرخان عام 1821م. وقد عمل هذا الأمير على إنقاذ كردستان من الخصومات القائمة بين الأمراء أنفسهم والإمارات الكردية فيما بينها، وحاول تخليصها من السيطرة العثمانية.

1 – جليلي جليل، المصدر السابق، ص 75– 76.

2 – شرفخان: المصدر السابق (ج1)، ص 271.

هناك الإمارة الأردلانية التي كانت لها دور كبير في أحداث كردستان. وكان بابا أردو في الجهة الشرقية من الحدود العراقية، ولان هو أول أمير لإمارة أردلان، قد تمكن من تأسيسسها في الأراضي الفارسية في حوالي القرن الثاني عشر الميلادي. ومن المحتمل أن هذه الأسرة قد تفرعت من إحدى الأسر النبيلة في دياريكر، وأنها هاجرت منها إلى الأراضي الفارسية وإتخذت سنّة مقراً لها(١). وفي حوالي القرن الرابع عشر الميلادي، وبمساعدة عشيرة كوران الكردية، تمكنت من فرض سيطرتها على معظم العشائر الكردية في منطقة شهرزور(٢)، حيث لم تكن هناك في تلك الفترة حكومة قوية تستطيع منافسة الحكومة الأردلانية، على الرغم من وجود الكثير من العشائر القوية كالجاف والزنكنة والهماوند(٣).

وقد إستمرت الإمارة الأردلانية، بمساعدة الحكومة الفارسية، تحكم في عاصمتها سنّة حتى القرن التاسع عشر ميلادي(٤)، وقد استغل حكام الفرس موقع الإمارة القريب من الحدود العراقية، للتدخل في شؤون كردستان، وذلك خلال الفترة التي كانت فيها الإمارة البابانية تحكم السليمانية. وأصبحت الإمارة الأردلانية وعاصمتها سنّة ملجأً أميناً للأمراء

[1] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 77.

[2] – محمود الدرة: المصدر السابق، ص 73.

[3] – محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص 276، 278..

[4] -.Arfa H.: The Kurd> A Historical and Political study, Tehran 1965, P. 18

البابانيين الفارين من السليمانية نتيجة لضغط جيش ولاة بغداد المماليك، والجيش العثماني.

والإمارة الأردلانية، كبقية الإمارات الكردية لم تسلم من داء الصراع الأسري من أجل منصب الإمارة، وهذا ما أتاح الفرصة للدولة العثمانية لكي تتدخل في شؤونها الداخلية وتحاول فرض سيطرتها عليها. ولذلك فقد كانت الجيوش العثمانية تندفع من حين لآخر في أراضيها لتحقيق هدفها ذلك، مستغلة ضعف الإمارة العسكري[١].

وعلى العموم، فأن موقع الإمارات الكردية بالقرب من حدود الدولتين العثمانية والفارسية قد فرض عليها أن تقوم بحماية العشائر الكردية اللاجئة من الأراضي الفارسية إلى أراضي الدولة العثمانية أو العكس، وفي الوقت نفسه، اعتمدت الإمارات الكردية على مساندة قوة العشائر الكردية في صد الهجمات المتوقعة عليها والتي تشنها الجيوش العثمانية والفارسية. وقد استخدم العثمانيون أيضاً فيما بعد قوة تلك العشائر للقضاء على الإمارات الكردية. وهكذا لعبت العشائر الكردية دورين متناقضين، أحدهما مؤيد والآخر معارض.

---

[1] - محمد أمين زكي: المصدر نفسه، ص 281.

الفصل الأول

تنظيمات عشائر السليمانية

العشيرة

لكي نفهم أصول التنظيم العشائري الكردي، لابد من تحديد مميزات وطبيعة العشيرة الكردية. فالنموذج الشائع هو الذي يقوم على أساس «النسب المشترك». وهناك نموذج آخر، لكنه أقل شيوعاً، ويستند في تكوينه إلى «الإشتراك في الموضع» ولهذا يعتمد النموذج الأول من العشيرة على «وحدة النسب» بينما يقوم النموذج الثاني على «وحدة المكان» وتنتمي العشيرة الكردية إلى الشكل الثاني، وهو في الواقع عبارة عن إتحاد مجموعات ترتبط برابطة النسب وتخضع لسلطة مركزية، أي سلطة رئيس العشيرة[١]. وينقسم الأكراد بصورة عامة إلى عشائر، وهي تتكون من طبقتين:

1: الطبقة الأولى: هي طبقة الرؤساء وأصحاب الأراضي وخدمهم.

2: الطبقة الثانية: هي طبقة المزارعين الذين يشبهون عبيد الأرض[٢].

أما عن تكوين العشائر الكردية، فكان يتم بالطريقة التالية: تقوم مجموعة قوية ترتبط بصلة النسب بغزو منطقة معينة تسكنها مجموعات أخرى أقل عدداً من الأولى وترتبط كذلك بصلة النسب، فتخضع تلك المجموعات الصغيرة والضعيفة،

---

[1] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية. بغداد 1972، ص 246.

[2] – مينورسكي: الأكراد ملاحظات وانطباعات. ترجمة الدكتور معروف خزندار، بغداد 1968، ص 35.

بطبيعة الحال، لسيطرة المجموعة الجديدة القوية التي غزتها وتؤدي الضرائب وما عليها من واجبات إلى رؤسائها الجدد. وتظهر من هذه الرابطة «عشيرة»، فتتخذ اسم المكان الذي تشغله، ويعاهد أفرادها على العيش بوئام وسلام ضمن منطقتهم، وعلى الدفاع المشترك ضد أي إعتداء(١).

وتختلف اسماء العشائر الكردية من حيث إنحدارها. ففي بعض الأحيان تنحدر أسماء عشائر المناطق الجبلية في كردستان الوسطى والجنوبية من الأسماء الجغرافية لمناطق سكناهم، وفي حالات أخرى ينحدر أسم العشيرة من أسم مؤسسها(٢)، كما أن هناك فروعاً للعشيرة الأم تأخذ اسمها أيضاً من رئيسها(٣).

ولم نجد ما يثبت أن العشيرة الكردية تنتسب إلى جد واحد، بل إنها على الأكثر ترجع انتسابها إلى مكان سكنها أو القرية التي تكونها، وكأن هذه القرية هي الجد والأصل، إلا أنه من غير المقبول أن نعتبرها من جد واحد، بل أن كل من يساكنها يعد نفسه منها وينسى الأصل الذي درج منه.

والجدير بالذكر، أن كثيراً من الأكراد لا يعلم شيئاً من أصله، سوى أنهم من سكان هذه القرية، ولا يعرفون إلا رؤساءهم

---

[1] - شاكر خصباك: المصدر السابق، ص 347- 348.

[2] - جليلي جليل: أكراد الإمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، موسكو 1973، ص 18.

[3] - "Notes on the tribes of Southern Kurdistan between the greater Zab and the Dialah", (On Kurd Tribes Iraq). Baghdad 1919, P.12

وأكابرهم، وهناك عشائر عربية مثل هؤلاء لا يعرفون غير شيخ القرية وسكانها فقط(١).

وهكذا يبدو أن العشيرة الكردية عبارة عن وحدة سكنية سياسية تشتمل على طبقتين منفصلتين لا ترتبطان برابطة النسب وإنما يربطهما المكان، كما لا ترتبط طوائف(٢) الطبقة العامة بروابط النسب وهذا النموذج للعشيرة الكردية، يعد في الحقيقة مثال لتأثير العامل الجغرافي. فمن المعلوم أن المنطقة الكردية وعرة التضاريس وذات شتاء قارص، وقد أدت صعوبة المواصلات، لا سيما أثناء فصل الشتاء الطويل، إلى فرض حالة من العزلة واعتماد سياسة الإكتفاء الذاتي في الحقل الإقتصادي، وإلى ميل نحو «المحلية» في العلاقات الإجتماعية. وقد عمقت النزعة المحلية العلاقات بين أبناء القرية الواحدة، وزادت من متانتها روابط القرابة والمصاهرة.

إنَّ العلاقات القوية لا يمكن عملياً أن تتسع وتمتد خارج القرية، لذلك فحينما يضطر جزء من المجموعة المرتبطة بصلة النسب إلى النزوح إلى قرية أخرى بسبب الضغط الإقتصادي، أو لأسباب أخرى، فأن روابط القرابة مع القرية الأم تضعف، ويفرض العامل الجغرافي ظاهرة «محلية» على المجموعة الصغيرة المرتبطة بصلة النسب في علاقاتها الإجتماعية الجديدة. وبهذا يتضح لنا أن العامل الجغرافي يعرقل نشوء عشيرة عرقية في المنطقة الكردية(٣).

---

[1] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، بغداد 1947 (ج 2)، ص 13– 14.

[2] – الطوائف: (مفردها طائفة) تتكون العشيرة من عدة جماعات تسمى بالطائفة، ورئيس الطائفة يخضع أيضاً لسلطة الرئيس الأعلى للعشيرة.

[3] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية اثنوغرافية، ص 348 – 349.

وهناك مميزات أخرى للتنظيم العشائري، تتمثل في الرئاسة العشائرية والحروب العشائرية، والإلتزامات العشائرية.

فالرئاسة تمتاز بمؤهلات ومزايا فرضتها الظروف الجغرافية لمنطقة كردستان، كالقوة الحربية والثروة واللياقة الشخصية، وقد نشأت الرئاسة نتيجة لحاجة العشيرة إلى التنظيم وتوجيه النشاطات المختلفة للعشيرة.

وأعتبرت القوة الحربية ميزة ضرورية للغاية، إن لم تكن شرطاً أساسياً لرئاسة العشيرة الكردية، وذلك لأن القتال يعتبر وجهاً مهماً من نشاطات العشيرة كما أن نواة هذه القوة التي يحتفظ بها الرئيس، ليست سوى أتباعه، والثروة التي يمتلكها، هي الأخرى صفة مهمة للرئاسة، فكلما اتسع «مضيف»[1] الرئيس وكَثُرَ عدد زواره، ارتفعت سمعته وازداد نفوذه. أما اللياقة الشخصية التي لابد للرئيس من التحلي بها، فتتمثل في توفر صفات متعددة، أهمها الشجاعة والتدين والذكاء وغيرها.

وكانت الحروب صفة مميزة للحياة العشائرية الكردية لعوامل سياسية وجغرافية. ويقصد بالعامل السياسي، فشل العثمانيين في السيطرة على الإمارات الكردية، حيث لم تستطع الدولة العثمانية أن تفرض حكاماً عثمانيين على تلك الإمارات، كما كانت هذه الإمارات تتمتع - في بعض الأحيان - بالاستقلال عن سيطرة الحكومة العثمانية. أما العامل الجغرافي، فيتمثل في وعورة المنطقة وصعوبة المواصلات، مما دفع العشائر إلى

---

[1] – المضيف: أو ما يسمى المسكن الرسمي لرئيس العشيرة، و به يستقبل ضيوفه، و به أيضاً تقام الدعوات والولائم لأبناء العشيرة.

الحروب من أجل السيطرة على الأراضي الخصبة الزراعية. وهناك عوامل ثانوية أخرى للحروب العشائرية، كالإنتقام الشخصي والثأر.

ومما يجدر ذكره هنا أن رئيس العشيرة كان يقوم بنفسه بقيادة الحروب الهامة، وذلك بعدما يهيأ أتباعه المسلحين القادرين على خوض غمار تلك الحروب.

والإلتزامات العشائرية تقوم على الارتباط العام بين الطوائف التي تسكن منطقة مشتركة وتخضع لرئاسة مركزية(١).

ورئيس العشرية هو أب لها، لا حدود لسلطانه، ويستطيع التصرف كما يشاء بملكية أي واحد من أفرادها(٢).

ورئاسة العشيرة تنتقل إلى الأشخاص بالوراثة. فعندما يموت الرئيس، يتولى سلطاته من بعده مباشرة أكبر شخص من أقاربه، ويبايعه الجميع. وقد يحدث أن يغتصب أحد أفراد العشيرة السلطة بالقوة، أو يبايعه الجميع دون أن يكون ذلك الشخص هو الوريث الشرعي. ولكن هذه حالات استثنائية تجري داخل العشيرة.

وترتفع خيمة الزعيم فوق جميع الخيام في القرية، وفيها تتم الإجتماعات العامة والهامة، ويقصدها الغرباء، كما أنها تستخدم بمثابة محكمة عليا للعشيرة، وهي مجلس النواب والشيوخ التي تناقش فيها الأحداث اليومية. وفيها يستطيع كل فرد أن يقابل الرئيس دون أية قيود وأن يتحدث بكل صراحة.

---

[1] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية اثنوغرافية، ص 378- 384.

[2] – باسيل نيكتين: الأكراد، ترجمة طائفة من الكتاب، بيروت 1958، ص 118.

ومع أن سلطة الزعيم مطلقة، إلا أن كبار رجال العشيرة يشكلون نوعاً من الرقابة عليه، ولأصواتهم وزن لا يمكن تجاهله. ويعقد مجلس لهؤلاء الكبار ليلاً في خيمة الرئيس لمعالجة القضايا التي تهم المصلحة العامة(١).

وتقوم بين رؤساء العشائر معاهدة «تبادل المجرمين» مما كان يحول دون هرب أي فرد من أفراد العشيرة من قبضة رئيسها. كذلك لم تهتم الحكومة بالحد من سلطة هؤلاء الرؤساء، خصوصاً وأن الدولة العثمانية كانت تسمح لهم بأن يمارسوا سلطتهم شريطة أن يدفعوا بعض المال إلى خزينة الدولة سنوياً(٢).

وعندما وطدت الدولة العثمانية أقدامها في المناطق الكردية، بعد تخليصها من النفوذ الفارسي، قسمت تلك المناطق إلى إمارات وويلايات صغيرة وضعتها تحت حكم رؤساء العشائر، الذين أصبحوا، فيما بعد، يملكون القرى والضياع، بينما كان الفلاحون الذين يعملون في هذه الأراضي، بمثابة أقنان يشتغلون لقاء حصة معينة من الغلال. لهذا، اصطبغ التنظيم السياسي للعشيرة بالصبغة الإقطاعية.

ومع تعاظم قوة السلطة المركزية في كل من الدولة العثمانية والفارسية، بدأت هذه الإمارات تختفي واحدة تلو الأخرى، وذلك وفق الإتفاقات التي تبرم بين الدولتين على إنهاء حالة الفوضى والإضطراب التي سببتها تلك الإمارات على حدودهما،

[1] – باسيل نيكيتين: المصدر السابق، ص 117- 119.

[2] – باسيل نيكتين: نفس المصدر، ص 117.

وظهور السلاطين الأقوياء والمصلحين في الدولة العثمانية الذين عملوا على إعادة السلطة المركزية على أجزاء الإمبراطورية المختلفة. غير أن العشائر ظلت قائمة، وكان رؤساؤها غالباً ما يعينون من قبل الحكومة المركزية حكاماً على المناطق التي تسكنها قبائلهم، بعد أن وجدت هذه الحكومات أن من الأسهل لها التعامل مع العشائر من خلال رؤسائها الوارثين[١]. وهؤلاء الرؤساء كانوا يميلون إلى أن يضفي عليهم الغير القاباً دينية وسياسية، ويقومون بالدعاية لأنفسهم كلما مرَّ بهم رحالة من الرحالين الأجانب[٢].

تنظيمات عشائر الجاف

الجاف اتحاد عشائري قوي[٣] قديم، تحولت زعامته من الإطار الديني إلى الرئاسة العشائرية في زمن سابق غير محدد[٤]. وقد ورد ذكر الجاف لأول مرّة في المعاهدة العثمانية الفارسية عام 1639م[٥]، ولم يسمع عنهم قبل ذلك التاريخ. والظاهر أن هذه العشيرة لم يكن لها شأن يستدعي التدوين

1 - Arfa H.: Op. Cit, pp 16 – 17.

2 - Layard A. H.: Nineveh and its remains with an account of a visit to the Chalden Christion of Kurdestan and Yazidis. London 1849, Vol 1, P. 74

3 - Barth F.: Principals of social organization in southern Kurdistan. Oslo 1953, P. 35.

4 – عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان عهد المماليك. ص 281.

5 – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج 2)، ص 28.

عنها، إنما أصبح لها شأن أيام النزاع بين الدولتين العثمانية والفارسية(١) عام 1730م، إبان عهد نادر شاه(٢).

وكان الجاف من العشائر المتنقلة التي سكنت منطقة كرمنشاه في بلاد فارس، ويرجع أصلها إلى منطقة جوانرو في كردستان الفارسية(٣). وتمتعت بشهرة حربية واسعة في وسط كردستان الجنوبية، وكانت حتى عام 1700م تحت سلطة حكام أردلان في بلاد فارس، الذين حاولوا فرض سلطتهم على منطقة جوانرو وذلك لسببين:

1: طمعهم في أراضي المنطقة الخصبة.

2: قلقهم من قوة عشيرة الجاف المتزايدة في تلك المنطقة.

ولذا، وبسبب إستمرار ضغط حكام أردلان ومضايقاتهم لهذه العشيرة، فقد هاجر عدد من رؤسائها مع أتباعهم إلى منطقة بابان في الأراضي العراقية(٤)، ولم يبق منها إلا أعداداً قليلة، ثم بعد مدة قصيرة من الزمن، هاجرت البقية الباقية إلى «الكوران»(٥) وإتخذوا اسم الكوران أيضاً(٦). وكان الباشا البابانى خالد باشا، قد رحب بهؤلاء اللاجئين إليه، وأصبحوا تحت

---

[1] – عبد المجيد فهمي: دليل مشاهير الأولية العراقية، بغداد 1947 (ج 2)، ص 64.

[2] – محمود الدرة: القضية الكردية، بيروت 1966، ص 78.

[3] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية اثنوغرافية، ص 368.

[4] – باسيل نيكتين: مصدر سابق، ص 166.

[5] – الكوران: هو اسم أحد الفروع الأربعة للشعب الكردي: الكرمانج، اللور، الكلهور، الكوران. ويسكن الكوران في منطقة لورستان (إيران) التي تقع على الحدود مع العراق. أنظر: أمين زكي، تاريخ السليمانية وأنحائها . ص 52.

[6] – الميجرسون: المصدر السابق (ج2) ص 160.

حمايته ورعايته، ومنحهم بعض المقاطعات لرعي مواشيهم[١].

وعاشت عشيرة الجاف حياة البداوة، فهي تكره الإنقياد والخضوع للأنظمة والقوانين، وتميل بطبعها إلى الشر والفتن، كلما سنحت لها الفرصة بذلك. هي لا تتصادق مع غيرها أو تعقد حلفاً ما لم تدعها إلى ذلك حاجة. وعدم الإنقياد هذا، دفع فرقاً منها إلى التجوال والترحال لئلا يضعفوا، حسب اعتقادهم، أمام العشائر الأخرى[٢].

ومما يجدر ذكره أن أول من هاجر من رؤسائها إلى البلاد البابانية عام 1737م، هما طاهر بك وأخوه ظاهر بك، واستقرا في قضاء كفري[٣]. وقد توفي ظاهر بك عام 1751م، أما طاهر بك فقد هاجر إلى بلاد الشام وأقام هناك[٤].

ويظهر أن مؤسس الأسرة كان رجل دين يدعى السيد أحمد ابن حفيد بك[٥]. وقد تمكن أولاد طاهر بك، وهما سليمان بك وقادر بك من تنظيم عشائرها والهجوم على العشائر الساكنة في منطقة شهرزور، حيث أزاحوهم من مواقعهم وأقاموا بها[٦]. كما جاءت عشائر أخرى من الجاف من منطقتها الأولى جوانرو وشاركوا أولئك في سكنى منطقة شهرزور[٧]. وكانت الأخيرة

---

1 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان (ج2) ترجمة سانحة أمين زكي، مصر 1947، ص 197.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 175.

3 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان (ج 2)، ص 277.

4 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 177-178.

5 – إدموندز: كرد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد 1971، ص 132.

6 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 177.

7 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان (ج 2) ص 290.

تسكن من قبل عشائر الجلالي وكلباخي وكلهر وبلباس[١].

وأعتبرت منطقة حلبجة وماجاورها من المناطق القريبة من الحدود العراقية الإيرانية[٢] وطناً للجاف، وهي أحد أقضية السليمانية، وتقع في سهل صالح للزراعة[٣]. وقد ارتبط سكانها مع سكان السليمانية بروابط تجارية وأدبية[٤]. ونشأ فيها علماء وأدباء وأعلام كالشيخ خالد النقشبندي[٥].

وأدت الأوضاع السياسية والعسكرية على حدود الدولتين العثمانية والفارسية إلى تقسيم عشائر الجاف الكبيرة إلى مجموعتين:

1: الأولى، وتدعى جاف العراق، ويطلق عليها جاف مرادي.

2: الثانية، جاف إيران، وتدعى جاف جوانرودي[٦].

---

[1] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج2) ص 31.

[2] – ظلت فارس تستخدم هذا الاسم (فارس) حتى قرر الشاه محمد رضا بهلوي عام 1935 الى تغييره إلى مسمى جديد هو إيران، أنظر: Bullard Sir R.: Britain & the Middle East. P. 126.

[3] – علي سيدو الكوراني: المصدر السابق، ص 45.

[4] – إبراهيم فصيح الصفوي البغدادي: عنوان المجد في أحوال بغداد وبصرة ونجد. مخطوط في المتحف العراقي رقم 6294، ص 77.

[5] – كان خالد النقشبندي يتمتع بمنزلة محترمة عند الأكراد. وتمكن من نشر الطريقة النقشبندية (وهي إحدى الطرق الصوفية في كردستان). وكان قد ارتحل إلى الهند ليحصل على أصول الطريقة النقشبندية. وبعد عودته من الهند استقر في مدينة السليمانية، ثم سافر إلى بغداد وأقام فيها مدة خمسة شهور عاد بعدها إلى السليمانية، حيث توفي فيها عام 1827م. أنظر: محمود شكري الآلوسي: تاريخ مساجد بغداد وآثارها. بغداد 1346هـ ص 26-27.

[6] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج 2)، ص 43.

ويهمنا بالدرجة الأولى في بحثنا دراسة القسم الأول من العشيرة، الذي قدم إلى الأراضي البابانية في عهد السلطان العثماني مراد الرابع (1623– 1640) من مقاطعة جوانرو، حيث استقر فترة من الزمن، ثم عاد جزء منه إلى موطنه الأصلي[١].

وانفصلت أقسام من العشيرة الأصلية واستقرت في مناطق أخرى مكونة عشيرة قائمة بذاتها، ويرجع ذلك لعدة عوامل، منها الظروف الإقتصادية. فنتيجة لكثرة عدد الجاف، لم تكن الأراضي التي يسكنونها تكفي لسد حاجاتهم. ويضاف إلى ذلك، طموح بعض الرؤساء الثانويين، ممن لهم قوة يعتمد عليها، ومقدرة، لقيادة أفراد عشيرتهم[٢].

غير أن أهم الفرق التي استقرت في العراق، وانفصلت عن بقية الأقسام التي تفرعت عن العشيرة الأصلية، كانت فرقة الشرفبياني[٣]. ونتيجة لقوتها، فقد خضعت لحمايتها الكثير من العشائر الساكنة في لورستان وكردستان فارس[٤].

وكان لأمراء الجاف سلطة عامة على كافة فروع قبائلهم، إلا إن إنفصال أجزاء منها أدى إلى ضعف تلك السلطة[٥]. ويستحوذ على هذه السلطة طبقة تسمى البكزادة، لكن لا

---

1 – الميجرسون: المصدر السابق (ج 1)، ص 277.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 176– 177.

3 – نفس المصدر السابق.

4 – كلوديس جيمس ريج: رحلة ريج في العراق عام 1820م، ترجمة بهاء الدين نوري، بغداد 1951، ص 200.

أدموندز: المصدر السابق، ص 129.

5 – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية (ج2)، ص 31.

يمارس السلطة الفعلية منهم إلا الرئيس الأعلى. أما بقية أعضاء البكزادة فيؤلفون طبقة النبلاء فيها، حيث يمتلكون الأراضي الزراعية الواسعة. وينحصر دورهم في الحكم في كونهم مستشاري الرئيس الأعلى. ومركز الأخير يتأثر بعوامل خارجية وداخلية، فالخارجية تستمد أهميتها من الموقع الجغرافي لمنطقة الجاف بين الدولتين العثمانية والفارسية، اللتين كانتا في نزاع مستمر وتحاولان أن تضمنا بقاء رئيس العشيرة إلى جانبها، أما الداخلية، فترتبط بدرجة توفر صفات الرئاسة في الشخص المرشح، كالثروة والمقدرة الشخصية[١]. وكانت قوة الرئيس تأتي من تأييد النبلاء ورؤساء الفروع الأخرى للعشيرة له[٢]. ويوجد ما بين الرئيس الأعلى وبين بقية فروع العشيرة، وسيط يسمى بالريس. وهذا المنصب أيضاً يتطلب شروطاً ليصبح وراثياً.

ولقد كان التغيير في التنظيم السياسي للعشائر مميتاً لها، إذ أدى إلى تناثرها إلى أجزاء صغيرة، تقاسم السلطة فيها كبار رجالها، وأصبح كل جزء منها مستقلاً عن العشيرة الأم. وهذا التفسخ أمر طبيعي، بعد أن كاد الدافع الحربي يتلاشى، وهو الذي كانت تقتضيه حياة العشيرة الرعوية لضمان حياة المراعي، إضافة إلى فرض السلطة المركزية حكمها عليهم[٣].

ويرجع أصل طبقة البكزادة إلى قادر بك ابن ظاهر بك. وكان أحمد باشا بن سليمان بن خالد باشا بابان[٤] قد قتل

[1] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية واثنوغرافية. ص 369– 373.

[2] – علي سيدو الكوراني: المصدر السابق، ص 47.

[3] – شاكر خصباك: المصدر نفسه، ص 373– 375.

[4] – كان أميراً على قلعة جوالان مركز الإمارة البابانية قبل بناء السليمانية.

ظاهر بك، بعد أن اتهمه بتزعم عصابة تقوم بأعمال قطع الطرق والسطو. وقد عوضَ قادر بك من الأمير الباباني نتيجة لما أصابه من ظلم بمقتل والده، بمقاطعات كبيرة، ونزحت إلى تلك المقاطعات الكثيرمن البيوت من عشيرة الجاف وغيرها للسكن فيها، وذلك لتشجيع الأمير الباباني لهم[١].

ولقد أثر وجود الجاف البكزادة كقيادة سياسية تأثيراً كبيراً على التنظيم الداخلي لمختلف فروعها، وذلك قبل استقلال تلك الفروع فعلياً. فقد كان حلاً توفيقاً - في الحقيقة - بين التنظيمات النسلية الحقيقية وبين التنظيمات غير المعروفة والمحتمية بها[٢]. غير أن طائفة البكزادة هذه فقدت أهميتها السياسية بعد إنسلاخ الكثير من فروعها، حيث لم تعد تلك الفروع تعترف بأسرة معينة منهم كزعيمة للعشيرة، واقتصر ولاء الفرد العشائري على الأسرة المالكة لأرضه. ولم تعد هناك أية التزامات سياسية تقع على عاتق أي فرع من فروع العشيرة نحو البكزادة، واقتصرت تلك الإلتزامات على العلاقات الشخصية بين الرئيس الأعلى ورئيس الفرع[٣].

وكان التنظيم الإجتماعي لعشائر الجاف يقوم على قاعدة النظام النسبي، الذي صاحبه تضامن وتعاون إجتماعي وسياسي وإقتصادي. لذلك إنعدمت الطبقية ضمن فرع العشيرة. وهذا أمر طبيعي نتيجة لروابط النسب المتينة التي ربطت ما بين

---

1 - إدموندز: المصدر السابق، ص 131. محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها. ص 178.

2 - Barth F.: Op. Cit. P 44

3 - شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية واثنوغرافية، ص 375.

أعضاء الفرع[1].

ويقبع على رأس الجاف أسرة أرستقراطية حاكمة، بينما ينحدر من العشيرة عدد من الفروع التي تمتهن الفلاحة، وكل فرع مجزأ إلى عشائر صغيرة، وكل عشيرة فلاحية لها رئيس[2]. وغالباً ما تسمى تلك العشيرة الصغيرة بأسماء رؤسائها الأقدمين. وتكون غالباً الرئاسة وراثية[3].

ولقد أثر إتجاه العشيرة نحو الإستقرار في بنائها الإجتماعي، وإن كان أقل من تأثيره السياسي. واختلف هذا التأثير حسب نوع وطبيعة الإستقرار وحسب طوبوغرافية المنطقة، فإذا كانت الفروع تحتل منطقة ذات تضاريس مفتوحة سهلة، فان تضامنها يظل قوياً وفعالاً. أما إذا كانت تضاريسها وعرة، فيحدث العكس وتضعف العلاقة أو تتلاشى بين الفروع[4].

وسكن الجاف على شكل مجموعات من الخيم تتراوح بين (عشرين إلى ثلاثين) 20–30 خيمة، وفي حالة زواج أحد الأبناء وكان والده مقتدراً من الناحية المالية، فأنه يقوم ببناء وحدة سكنية خاصة للإبن المتزوج. أما الفقراء فلا يتمكنون من ذلك. والزواج من الأقارب هو المفضل، أما الزواج من خارج العشيرة فيكون نادراً. واختلف مهر الزواج من نقود إلى مواد عينية[5].

---

1 - شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية واثنوغرافية، ص 376.

2 - أدموندز: المصدر السابق، ص 134.

3 - Barth F.: Op. Cit. P. 36

4 - شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية، ص 376- 377.

5 - ريج: المصدر السابق، ص 78.   Barth F: Op. Cit. pp 39 – 38

والرئاسة عادة وراثية، ولكن في حالة وفاة الرئيس، وكان ابنه صغيراً، فلا يخلفه في الرئاسة إذ لا يحكم العشيرة غلمان. وفي مثل هذه الحالات، يشغل المنصب أخو الرئيس أو عمه أو خاله[١].

واستطاعت عشائر الجاف صيانة إستقرارها الداخلي، قبل سيطرة الدولتين العثمانية والفارسية على معظم العشائر على حدودهما، وذلك بإتخاذ التدابير الحاسمة لذلك[٢].

ومن الجدير بالذكر أن عشائر الجاف كانت تتنقل بين العراق وإيران. ففي فصل الشتاء تهاجر من إيران إلى العراق، وتنزل في أنحاء السليمانية، وبالعكس في فصل الصيف، حيث تنتقل إلى سِنّة ومريوان وملخور في الأراضي الإيرانية[٣].

وكان إستمرار تنقل عشائر الجاف خلال فصول السنة بين العراق وإيران، من العوامل التي جعلت اقتصادها ذا طابع بدوي بالضرورة، وهو يقوم على أساس إستئجارالمراعي من القرويين، وذلك بعد دفع مبلغ من المال يتفق عليه مقدماً. وتعتبر المواشي هي المصدر الرئيسي للثروة، وأي فرد من العشيرة يتمتع بحقوق مطلقة لرعي مواشيه، وليس هناك حدود قانونية لزيادة الثروة ويكون الراعي عادة من داخل العشيرة، والأسلوب المتبع هو إستخدام الفقراء لهذا الغرض[٤].

وكان الأمير البابانی أحمد باشـــا قد منح عشـــائر الجاف

---

[1] - ريج: نفس المصدر، ص 78.

[2] - باسيل نيكتين: المصدر السابق، ص 178.

[3] - فلاح شاكر أسود: الحدود العراقية الإيرانية، بغداد 1970، ص 112.

[4] - Barth F.: Op. Cit. pp 35-39.

الأراضي لرعي مواشيهم أيضاً، كما يملك بعض رؤسائهم المقاطعات الواقعة ضمن أراضي الإمارة البابانية كناحية حلبجة(١). ومقابل ذلك، كانت هذه العشائر بفروعها تدفع للأمير الباباني ما عليها من ضرائب(٢).

ولقد عملت الإمارات الكردية في شمال العراق على استقطاب العشائر الكردية حولها، وذلك في الفترة التي سبقت قيام المماليك في بغداد عام 1749م، وبعد وفاة واليها أحمد باشا عام 1747م، وكان هدف تلك الإمارات من جمع العشائر حولها، هو عرقلة مساعي ولاة بغداد لإعادة سيطرتهم على المناطق الشمالية. واستطاع الأمراء البابانيون ضم عشائر عديدة تحت لوائهم، سواء في الأراضي العراقية أو الأراضي الفارسية. في عهد المماليك تحالفوا مع عشائر الجاف. وأفادهم هذا التحالف في القضاء على مناوئيهم من العشائر والإمارات الأخرى، وفي مقدمتهم إمارة السوران وعشائر البلباس، التي كانت في غاية الكثرة والشجاعة(٣).

ورغم الإختلاف بين الجاف والبابان في بعض الأحيان كالمظهر واللهجة، إلا أنهم كونوا قوة مساندة لهم، على استعداد لتقديم العون عندما تستدعي الضرورة(٤). فمثلاً عندما هجم

1 – الميجرسون: المصدر السابق، ص 161.

2 – تقرير درويش لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، بغداد 1953، ص 30.

3 – عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان عهد المماليك، ص 281 -282.

4 – ريج: المصدر السابق، ص 77 – 78.

الجيشان الفارسي والأردلاني على الإمارة البابانية، كان سليمان بك يرأس عشائر الجاف حينذاك، فأرسل أخاه عبدالله بك لمساعدة سليمان باشا بابان، رغم أن قوته تلك لم تنتصر، وأصيب هو بطعنة قاتلة.

ومهما كانت العلاقة جيدة بين الجاف والبابان والقائمة على المصلحة العامة، إلا أن سوء الفهم وسوء العلاقة بينهما أمرٌ وارد في كثير من الأحيان أثناء حكم الإمارات، وهذا ما حدث بين أحمد باشا بابان وبين محمد بك رئيس الجاف، إذ أراد الأمير البابانى، هذا، عزل أخيه من منصبه، وتعيين أحمد بن ولد، وكان خاله، بدلاً عنه، فدعا أحمد باشا رئيس الجاف إلى السليمانية، إلا أنه أرسل بكزادة من أقاربه لعاصمة الإمارة، فما كان من أحمد باشا إلا أن سجنهم في كويسنجق، فقام محمد بك بالمثل، فقبض على أحمد بك بن ولد وهجم على بيته، ثم هاجر مع جماعته من الجاف إلى أردلان، خوفاً من غضب الباشا، ولكن صلة القرابة بين والي أردلان وأحمد بك بن ولد حالت دون إستقراره، فرجع إلى بغداد، فأكرمته حكومة المماليك نكاية بالبابانيين، وسمحت له أن يسكن مع بقية عشائر الجاف في مندلي.

وبعد مدة من الزمن، تصالح مع أحمد باشا بابان الذي دعاه إلى شهرزور، وظلت هذه العشيرة فيها حتى إنقراض الحكومة البابانية، محافظة على وضعها[1].

---

[1] - محمدأمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 178- 179.

ومن جهة أخرى، كانت الحكومة العثمانية تعمل على استقطاب العشائر حولها، وتحاول إبعادها من التحالف مع الإمارات الكردية، التي عزمت على القضاء عليها. هذا ما تم لها، فيما بعد (اي بعد سقوط الإمارات الكردية)، حيث عملت على تقوية قبضتها على عشائر الجاف وغيرها من العشائر التي تقع على حدود الدولتين العثمانية والفارسية، والتي سببت لهم الكثير من الأزمات، خاصة قبل معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م، لتحديد وتثبيت الحدود بين الدولتين الإسلاميتين الكبيرتين. ومع ذلك، يبدو أن عشائر الجاف قد حافظت على هدوئها النسبي بعد عقد المعاهدة المذكورة ويعود ذلك إلى ميلها نحو الزراعة والإستقرار[١].

وهناك عشائر إضطرت إلى الإستقرار بسبب ما أصابها من كوارث أقعدتها عن التجول والتنقل، كنهب مواشيها من قبل أعدائها أو هلاكها بوباء، أو مطاردة الحكومة المركزية لها بإستمرار. ولكنها إذا تمكنت، بعد إستقرارها، من إعادة ما كان لديها من مواشي، فأنها قد تعود من جديد إلى الحياة الرعوية غير المستقرة[٢].

ومما ساعد الحكومة المركزية على السيطرة على عشائر الجاف، أنها لم تكن تحت رئاسة واحدة[٣]، بل كانت تحكم من قبل ثلاثة أمراء من أبناء محمد بك، وهم: (عثمان، ومحمود،

---

[1] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 120– 121.

[2] – أدموندز: المصدر السابق، ص 33.

[3] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 121.

ومحمد علي)، الذين اقتسموا إدارة العشيرة، ومع أن محمود أصبح المسؤول الرسمي عن العشيرة[1]، إلا أن كل واحد من الإخوة الثلاثة كان يقيم في مقاطعته. فعثمان، يقيم على الدوام في حلبجة، حيث أن معظم أملاكه تقع في تلك الجهات، كما أصبح فيما بعد قائمقام لقضاء حلبجة، لذلك كانت الأمور الإدارية والسياسية منوطة بيده. أما محمد علي فقد كان في قزلرباط، حيث يقيم مثل أخيه بالقرب من أملاكه. وتولى أيضاً منصب القائمقام. أما محمود، فأن معظم ممتلاكاته كانت تقع حوالي خانقين[2].

ومقابل الأملاك التي حصل عليها أمراء الجاف من الدولة العثمانية، قدموا المساعدات الكثيرة للسلطة المركزية، وقد كوفئوا لجهودهم تلك بأن منحو الألقاب كـ «البـك» و «الباشا»[3]، الأمر الذي كان يزيد من إرتباط أولئك الأمراء بالحكومة العثمانية.

ولكن عشيرة الجاف، شأنها شأن بقية العشائر، عندما كانت تتعرض لضغط الحكومة العثمانية عليها، كمطالبتها بالضرائب أو الكف عن أعمال السلب والنهب، كانت تلجأ إلى بلاد فارس أو تثير الفوضى على الحدود. فمثلاً خلال حرب القرم (1854- 1856) كانت الدولة العثمانية تعمل على أن تبقى بلاد فارس على الحياد، لكن عشيرة الجاف لم تراع سياسة

---

[1] - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 47.

[2] - محمدأمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 183- 184.

[3] - باسيل نيكتين: المصدر السابق، ص 167.

الدولة، بل قامت قوات مسلحة منها بمهاجمة أراضي فارسية مسببة لها الارتباك. ونتيجة لذلك، سمحت الدولة العثمانية لحكام فارس بضربها طالما كانت داخل حدودها[١].

ومقابل منح الحكومة العثمانية الألقاب لرؤساء الجاف، اعترف هؤلاء بدورهم بالسلطان العثماني، على أن لا يمس هذا الاعتراف استقلالهم الداخلي وإدارتهم الداخلية[٢]، وترتب على ذلك أن اتفقت الحكومة في العراق مع أمرائهم، على جباية رسوم منهم، كانت تُحَصل على دفعتين[٣].

ولقد استحوذت عشائر الجاف، بسبب موقعها على الحدود مع غيرها من العشائر، على مكانة مهمة للغاية، إذ كانت بمثابة حارس ومشرف على الحدود، من أي اعتداءٍ قد يحصل من قبل العشائر الساكنة في الإراضي الفارسية، والتي كانت تحاول انتهاك الحدود بإستمرار. وساعدت العلاقات الجديدة بين العراق وإيران على استتباب الأمن في المنطقة[٤]، وأسهمت العشائر في تسهيل الإتصالات التجارية بين القطرين[٥].

---

[1] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث ص 121.

[2] – علي سيدو الكوراني: المصدر السابق ص 47.

[3] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2 ص 29- 30.

[4] – عباس العزاوي: نفس المصدر ج 2 ص 45.

[5] – خالدة رشيد السعدون: تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وإيران، رسالة ماجستير، بغداد، 1970، ص 4.

تنظيمات عشيرة پشدر

پشدر إحدى أقضية السليمانية المهمة[1]، وبها نشأت الأسرة البابانية[2] التي أقام أفرادها أكبر وأقوى إمارة كردية في شمال العراق في بداية القرن التاسع عشر الميلادي[3]. وپشدر معناها الحرفي في اللغة العربية «خلف المضيق» ويقصد به مضيق دربند دوكان[4] في السليمانية.

ولقد إتخذت العشائر الساكنة خلف المضيق المذكور ذلك الاسم، أما الاسم الأصلي لعشائر پشدر ، فهي نور الديني[5]، وتعتبر تلك العشائر من العشائر العريقة في العراق والمشهورة بشجاعة أفرادها وبسالتهم في الحروب والغزوات، التي كانوا يقومون بها بين حين وآخر ضد جيرانهم، وضد السلطة المركزية، دفاعاً عن كرامتهم[6].

وقد سكنت عشيرة پشدر في «قلعة دزة» في السليمانية بالقرب جداً من الحدود الإيرانية، وضمت تحت لوائها العديد من عشائر العراق وفارس[7]، وامتدت سيطرتها إلى أربيل في

---

[1] - Waheed, S. A.: The Kurds and their Country. Rowalpindi. 1955. P. 180

[2] – شرفخان: المصدر السابق ص 276.

[3] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد ص 121.

[4] – دوكان من السدود الكبيرة في العراق لخزن مياه من نهر دجلة لتوليد الطاقة الكهربائية. ويقع على الزاب الصغير.

[5] – أدمزندز: المصدر السابق ص 198.

[6] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية ج 2 ص 27.

[7] – خالدة رشيد سعدون: المصدر السابق ص 27.

شرقيها، وإلى داخل الأراضي الفارسية أيضاً[١].

ولقد تمتعت عشيرة پشدر بالاستقلال لفترة من الزمن بعيداً عن سيطرة الإمارة البابانية والسلطة المركزية[٢]. ومما ساعدها على ذلك، وعورة المنطقة التي أدت إلى عزلها عن بقية المناطق، المحكومة مباشرة، مما عزز استقلالها[٣]، غير أن الحكومة العثمانية لم تتركها تنعم بذلك الإستقلال، فقد كانت ترسل إليها الجيوش لمحاربتها، إلى أن تمكنت من القضاء على إستقلالها و احتلال قلعة دزة مركزها[٤].

واشتملت عشيرة پشدر على طبقتين متميزتين، هما: طبقة الرؤساء والطبقة العامة[٥]، وكل من هاتين الطبقتين تتقسم بدورها الى فروع متعددة، ولكل فرع منها رئيس يتحكم فيها[٦].

ورؤساء پشدر، هم من سلالة الأمراء الذين ملكوا الأراضي الواقعة على أطراف بحيرة «وان»، حيث ينتهي نسبهم الى آمر جزيرة بوتان المدعو عبد الله الكردي، أحد أحفاد القائد الإسلامي خالد ابن الوليد.

ومن الجدير بالذكر أن نفوذ أولئك الرؤساء، امتد إلى مناطق پشدر، حيث تمكنوا من السيطرة على معظم الأراضي المجاورة، وغالبية العشائر المتاخمة لهم، وقد دان لهم بالطاعة

---

[1] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 96.
[2] – عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً. صيدا 1948، ص 205.
[3] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية ص 353.
[4] – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق ج 2، ص 153.
[5] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية، ص 346.
[6] – عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، ص 200.

والخضوع حوالي خمسمائة أسرة. كما أن هناك قسم من عشيرة پشدر ينزل في مناطق كردستان الفارسية[١].

أما العامة والأهالي، فكانوا يخضعون بالطبع للرؤساء الذين يديرون شئونهم ويتحكمون فيهم. ومع ذلك، فقد كان بعض العامة الأقوياء يرفضون الظلم إذا وقع عليهم[٢].

ومن الناحية العسكرية، كان بإمكان العشيرة أن تجهز أكثر من ألف من الفرسان عند الضرورة[٣]. ولكن عدد أفراد العشيرة لم يكن ثابتاً بصفة عامة بل كان يتضخم ويتقلص حسب قوة أو ضعف السلطات الحاكمة في الدولة العثمانية أو الدولة الفارسية[٤].

ومن الناحية الإقتصادية، كانت عشائر پشدر تميل إلى حرفة الزراعة وتربية المواشي[٥]، ولكن طبيعة الأرض الصخرية التي تسكنها لم تكن تصلح للزراعة، مما اضطرها إلى التنقل والارتحال سعياً وراء الأرض الصالحة للزراعة أو الرعي. ومع ذلك، فقد تخللت أراضي پشدر بعض المناطق القليلة التي تسقى بالأمطار أو العيون والينابيع، ولم تكن هذه المناطق كافية لرعي مواشيها[٦].

---

[1] – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق ج 2، ص 52– 53.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 185.

[3] – أدموندز: المصدر السابق ص 199.

[4] – شاكر خصباك: الأكراد دراسة جغرافية أثنوغرافية ص 347.

[5] – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق ج 2 ، ص 53.

[6] - Waheed, S. A.: Op. Cit. P. 180

عشيرة البلبا س

البلباس أصلها بلبيس، وهي إحدى قرى إمارة حكاري[١] الكائنة في جنوب بحيرة وان[٢]. وقد إتخذت الجماعات الساكنة فيها اسمها، وأصبحت تدعى بعشائر البلباس. وفي عهد السلطان سليمان القانوني (1520- 1566م) هاجرت هذه العشائر من موطنها الأصلي، بسبب ما تعرضت له من مضايقات من السلطة العثمانية، إلى بلاد فارس. وبعد إستقرارها هناك فترة من الزمن، التجأت إلى الأراضي العراقية وتوزعت[٣] بين السليمانية و أربيل[٤].

وتعد عشيرة البلباس من العشائر الكبيرة في العراق، ولها تاريخ حافل بالأحداث والوقائع في تلك الأنحاء التي سكنتها، حتى صارت تخشاها الأطراف المحيطة بها، وبالأخص أمراء البابان الذين استعانوا بقوة الحكومة المركزية في بغداد للقضاء على إتحادهم الذي أثار كثيراً من الفوضى والإضطراب في المنطقة البابانية[٥].

ولما كانت حكومة بغداد ترغب في تقوية سلطتها على العشائر الكردية في شمال العراق، فقد ساندت الأمراء

---

[1] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية ج 2، ص 103.

[2] – جليل جليلي: المصدر السابق ص 73.

[3] – عباس العزاوي: المصدر السابق، ج2 ص 117.

[4] – أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية. ص 381.

[5] – عباس عزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2 ص 101.

البابانيين ضد عشيرة البلباس، مما إضطرها إلى الهجرة إلى الأراضي الفارسية، إلا أن قسماً منها بقي في العراق[١].

ولم تتعرض عشيرة البلباس لمضايقات العثمانيين فقط، بل شاركهم في ذلك محمد باشا الراوندوزي أمير السوران، الذي أصبحت إمارته أقوى إمارات كردستان الجنوبية[٢].

وتنتسب البلباس إلى القائد العربي الإسلامي خالد ابن الوليد، وهم من المذهب الشافعي. وكبقية العشائر الكردية الأخرى، فهم رحالون متجولون بين الحدود العراقية الفارسية، وتسببت تنقلاتهم في إثارة الكثير من المنازعات بين العثمانيين والفرس.

وقد تفرعت عشيرة البلباس إلى عدة فروع، وكل واحد منها أصبح يعد نفسه عشيرة قائمة بذاتها[٣].

تنظيمات عشيرة الهماوند

هاجرت عشيرة الهماوند في بداية القرن الثامن عشر الميلادي من جوار سنة في الشمال الغربي من بلاد فارس[٤]، واستقروا في هضبة بازيان غرب السليمانية[٥] التي

---

[1] – ياسين العمري: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر. مخطوط في المتحف العراقي رقم 1329ص 22-23.

[2] – حسين حسني المكرياني: موجز تاريخ أمراء السوران. ترجمة محمد ملا كريم، بغداد بدون تاريخ، ص 50.

[3] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 102.

[4] – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق، ج 2 ص 61. عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2 ص 78.

[5] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ج 2، ص 78.

احتلوها[١] بالقوة. ورغم امتهانهم عمليات السلب والنهب، فقد كانوا، كما يروى عنهم، يؤدون الفرائض من صوم وصلاة[٢] وهم شافعيوا المذهب، ويتعصبون دينياً إلى حد كبير[٣].

ويبدوا أن سبب هجرتهم، أن اخوين من رؤسائهم تخاصما، فأدى ذلك إلى انتقال أحدهما بمن معه من أفراد عشيرته إلى جهات العراق فاستوطنوها، ومنحتهم الحكومة العثمانية أراضي ليسكنوها. ومما يذكر عنهم، أنهم هم الذين أطلقوا اسم «جمجمال» [٤] على المنطقة التي نزلوا بها في الشمال الشرقي من كركوك[٥].

ولقد قدّم الهماونديون العون والمساعدة لأمراء البابان، وقاتلوا العثمانيين من أجلهم[٦]. ففي سنة 1787م، حاربوا جيش والي بغداد سليمان باشا الكبير (1780- 1802م) المرسل لمحاربتهم، كما أيدوا عبد الرحمن باشا بابان (1788- 1813م)[٧] في ثوراته من أجل استقلال كردستان، ووقفوا إلى جانب سليمان باشا بابان (1827- 1838م) ضد الأمير السوراني محمد باشا الراوندوزي. وفضلاً عن ذلك، فقد دخلوا في معركة مع والي

---

[1] – أدموندز: المصدر السابق، ص 43. أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 189.

[2] – المس غيرترود بيل: فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الخياط، بغداد 1971، ص 137. عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2 ص 77.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 188.

[4] – معنى جمجمال: وادي الجمال، أو الأرض الجميلة الناظرة.

[5] – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق، ص 62.

[6] – أدموندز: المصدر السابق ص 43.

[7] – تميز حكم أمراء البابانيين بعدم الإستقرار في السلطة مدة طويلة، والسنوات أعلاه من حكمهم لم تكن بصورة مستمرة، بل متقطعة.

بغداد نجيب باشا (1842- 1847م) بالقرب من كويسنجق، تأييداً لأحمد باشا بابان (1838- 1842م) أمير السليمانية. لكن تلك المعركة شتتت قواهم، حيث لم يستطع الأمير البابانـي الصمود أمام جيش بغداد، فانسحب بقواته إلى هضبة بامو في بلاد فارس. ولما حلت سنة 1839م، أخذت العشيرة الهماوندية تتقرب من الأسرة البابانية من جديد وترتبط بها[١].

وكان من الأمور المعتادة أن يهجر الهماونديون ديارهم لبضع سنوات، فينتقلون عبر الحدود العراقية الفارسية إلى منطقة قصر شيرين في زهاب الفارسية لغرض السلب والنهب، وقد فعلوا ذلك عدة مرات، وقد أمن لهم انحيازهم إلى إحدى الدولتين، العثمانية أو الفارسية، ضد الأخرى، ثم الإنقلاب عليها والتزام جانب الثانية، الإستمرار في إيجاد حالة فوضى وعدم الإستقرار في المنطقة الممتدة من الموصل إلى بغداد، ومن كركوك إلى كرمنشاه[٢].

ويبدوا أن سوء العلاقات العثمانية الفارسية، كان وراء تنقل عشيرة الهماوند بين مناطق متعددة[٣]، وهناك سبب آخر، وهو أن معظم الأراضي التي تسكنها كانت مقفرة. ويضاف إلى ذلك، ضخامة عدد أفرادها[٤]، حيث ضمت حوالي الف أسرة[٥].

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 156، 190.

[2] – أدموندز: المصدر السابق ص 43.

[3] - Barth, F.: Op. Cit. P. 45.

[4] – محمود الدره: المصدر السابق ص 18، عبد المجيد فهمي: المصدر السابق، ج 2 ، ص 61.

[5] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 187.

وتعتبر عشائر الهماوند في الأصل من عشائر الجاف الفرعية، إلا أنها أصبحت فيما بعد قائمة بذاتها[١]. وتعود نواة تكوينها إلى أسرتهم الحاكمة التي ترجع إلى جدهم الأعلى المدعو (حمة أو همة)، والذي إتخذت العشيرة اسمه. كنا قد ذكرنا سابقاً أن معظم العشائر تتخذ اسمها من مؤسسها أو من مكان سكنها[٢]. ويرجع الهماوند أنفسهم إلى الكرمانج من الناحية العرقية واللغوية، والكرمانج أحد الفروع الأربعة للشعب الكردي[٣].

وتتقسم الأسرة الحاكمة إلى أربعة فروع، انحدرت من الجد الأعلى للعشيرة[٤] وقد إتخذت تلك الفروع اسمها من أحد أولئك الأبناء، وهي[٥]:

1: رشاوند من اسم رشيد.

2: صفروند من اسم صفر.

3: روماوند من اسم رمضان[٦].

4: أما الفرع الرابع فقد إتخذ اسم يادكار، وهو أكبر وأوسع نسل في العشيرة، وعرف باسم بكزادة الهماوند، اي الطبقة العليا فيها[٧].

---

1 – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 187.

2 – أدموندز: المصدر السابق ص 44.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها ص 188. عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص78.

4 – أدموندز: نفس المصدر ص 44.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 188.

6 – عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً ص 200.

7 - Barth, F.: Op. Cit. P. 46

وهناك عدد من العشائر الصغيرة التي رافقت الهماوند في هجرتها إلى الأراضي البابانية[1]، كفرقة سيتابسر التي كان أصلها أيضاً من الجاف، لكنها إندمجت مع الهماوند[2]. ومعظم العشائر التي هاجرت مع الهماوند، كانت تسكن قرب الحدود العراقية الفارسية، وهم بالأساس من النمط البدوى الكردي[3].

وكان التنظيم السياسي لعشيرة الهماوند أبسط من تنظيمات العشائر الأخرى، وذلك لأن كل شئ عندهم ممكن السيطرة عليه بسبب قلة أعدادهم، حيث يقوم الأفراد بانتخاب شخص يكون واسطة بين أفراد القرية التي يسكنها الهماوند وبين السلطة العليا، سواء كانت عثمانية أو فارسية. وقد يعين شخص من قبل السلطة العليا حتى يوازن بين سلطة القرويين والسلطة العليا. ويكون هذا أيضاً، وسيطاً بين الإقطاعيين في القرية والمزارعين[4].

وقد أعتبر التنظيم السياسي للهماوند أكثر وضوحاً بالنسبة للجاف، حيث كان يعتمد على التكاثر النسلي والمصاهرة. لكن لا توجد قيادة موحدة لفروع الهماوند، فالمشاكل التي تظهر تحل بواسطة مجموعة من كبار أفراد العشيرة، وتتكون هذه المجموعة من فروعها الأربعة، ولم يكن هناك تعاون بين مختلف القرى في المنطقة الواحدة، والمثال على ذلك قرى هزارمرد والديكون

[1] - أدموندز: المصدر السابق ص 44

[2] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 188.

[3] - Waheed S.A.: Op. Cit. P. 48.

[4] - Barth F.: Op. Cit. P 48.

والداريورد في وادي السليمانية.

وكانت سلطة رئيس القرية تأتي من شخصيته أولاً كرجل دين، ومن إيمان جماعته به ثانياً. وفي الأحيان التي كان الرئيس لا ينجب ولداً صالحاً لوراثة منصبه، كان يتم الإنتخاب لاختيار الشخص المناسب. ويقوم الرئيس بمساندة أتباعه والدفاع عنهم لكي يقوي من سلطته(١).

ولقد عُرفَ عن الهماوند القوة واليقظة والقيام بالأمور المناطة بهم علَى أكمل وجه، وكانوا يأنفون من الزراعة والفلاحة ويرون أنها ليست سوى هروباً من الأعداء. ولم يكن يجدون ما يشرف المرء غير الخيل والسلاح والمغامرات واللقاءات في ساحة الوغى، لذا كان جيرانهم يخشون بأسهم ويعملون لهم حساباً(٢)، ولا يجرؤ أحد على التعدي عليهم أو القيام بالإغارة بهدف السلب والنهب ضمن أراضيهم(٣).

وكان الهماوند يبدأون في تدريب أبنائهم على أعمال القتال والفروسية في سن السابعة، وهذا يدل على عدم إستقرار المجتمعات القبلية وتعرضها للقلاقل. وكان الرجل الهماوندي الذي يقتل أحد أعدائه يعتبر فارساً، ويمنح هدية من رئيسه قد تكون حصاناً أو أي شيء آخر.

ويقوم رئيس الهماوند بتعيين أحد أقاربه على القرى التي تخضع لسلطته، ويقوم هذا الشخص بجمع الضرائب منها(٤).

---

1 - Barth F.: Op. Cit. P. 47.

2 – الميجرسون: المصدر السابق، ص 266.

3 – باسيل نيكتين: المصدر السابق، ص 156.

4 - Barth F.: Op. Cit. PP. 54 -55.

عشائر الهورامان

هاورامان هي سلسلة من الجبال الوعرة تبدأ من قضاء حلبجة في الجنوب الشرقي لمدينة السليمانية، وتسير شمالاً حتى الحدود التركية. ويمر على امتدادها خط الحدود العراقية - الإيرانية، وقد عرفت العشائر التي تقيم على جهتي الجبال بهذا الاسم، كما هو الحال بالنسبة لعشيرة پشدر [١].

وتاريخ هذه العشيرة يعود إلى زمن قديم[٢]، إلى عهد مملكة ميديا القديمة في بلاد فارس[٣]. وظلت محافظة على وحدتها حتى بداية القرن الحادي عشر ميلادي، حيث تعرضت لبعض الانحلال والتفكك، ثم عادت بعد ذلك للتماسك من جديد. وتوالى أمراؤها على حكمها واحد تلو الآخر[٤]. وقد حاول الأردلانيون السيطرة وفرض نفوذهم عليها، فلم يفلحوا[٥].

وبعد اتفاقية الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية عام 1639م، انشطرت عشائر الهاورامان بينهما[٦]. ومع ذلك، فقد كانت سيطرة إحدى الدولتين لا تتعدى جباية الضرائب، وتركت الأمور السياسية بيد أمراء الهاورامان، الذين لم يعترفوا لا بالسيادة العثمانية ولا الفارسية بصورة فعلية[٧].

وخلافاً لكثير من الأسر الحاكمة لعشائر كردستان، لم

---

1 - علي السيد الكوراني: المصدر السابق ص 50.
2 - عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 86.
3 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 199.
4 - علي سيد كوراني: نفس المصدر ص 50.
5 - الميجرسون: المصدر السابق، ص 182.
6 - عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 86- 87.
7 - علي سيد كوراني: المصدر السابق، ص 50.

يحاول بكزادات الهاورامان إيجاد صلة نسب لهم بأحد الصحابة[١].

و تقسم عشائر الهاورامان إلى قسمين:

1: هاورامان تخت: يسكن نصفهم العراق، والقسم الآخر في الأراضي الفارسية. ويتكون الساكنون في العراق من أقسام متعددة مثل حسن ساني وبهرلم بكى ومصطفى ساني، وهذه التسمية تعود إلى الأجداد القدماء لكل أسرة حاكمة[٢].

أما الساكنون في القرى التي تخضع لسيطرة العشيرة، فهم ليسوا من البيت الحاكم، بل من الرعايا الذين يقومون برعي المواشي التابعة للبكزادات[٣]، وتمتد تلك المراعي بين الحدود العراقية الفارسية، وهي منطقة طويلة[٤] وقد اشتهر الهاورامان والتابعون لهم من الرعايا، بالعمل الجدي والإنتاج الكبير[٥].

2: هاورامان لوهور: ويسكن هذا القسم من العشيرة في جوانرو وجبال بامو في الأراضي الكردية. وتتفرع أيضاً إلى عدة فروع، منها كاكوي وقبادي وتاكوزي وباخلي[6]، ويسكن بعض هؤلاء في العراق، خاصة على الحدود[٧].

ويبدو أن عشائر الهاورامان، كانت أكثر العشائر هدوءاً على الحدود بين العراق وبلاد فارس، حيث اختلطت مع عشائر

---

1 - أدموندز: نفس المصدر، ص 140.
2 - أدموندز: نفس المصدر ص 140.
3 - عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 87.
4 - فلاح شاكر أسود: المصدر السابق ص 112.
5 - جمال بابان: أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد 1976، ص 34.
6 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 198.
7 - عباس عزاوي: عشائر العراق الكردية، ج 2، ص 86.

الهماوند وپشدر[1].

أما ما قيل عن اسم هاورامان واشتقاقه، فكثير، وأهم الآراء هي أن كلمة «هاورامان» إما تعني:

1: هــاو – را: تعني الشريك بالرأي.

2: هه ور – أمان: أي الحذر من الأخطار.

3: هاوار – أمان: أي طلب الاستغاثة والأمان.

4: هه واری – أمان: معناها المنزل أو الملجأ الأمين[2].

وهناك عشائر أخرى تسكن أنحاء السليمانية، إلا أن أهميتها ليست كبيرة قياساً إلى العشائر التي مرَّ ذكرها. ومن هذه العشائر، عشائر إسماعيل عزيري، وعشيرة جنكي.

وعاشت عشيرة إسماعيل عزيري في أطراف السليمانية، وساكنت عشائر الجاف وعاشت معها. ولكن لا يمكن القول أنها متفرعة منها[3]. ويقدر عدد أفرادها بحوالي ستمائة أسرة، وقوتها حوالي مائتي فارس وخمسمائة راجل. وهي ذات بأس وقوة، كما أنها من القبائل المتجولة التي لا تحترف الزراعة، وتهاجر صيفاً إلى الأراضي الفارسية. وقد تنقلت في عدة مناطق من أطراف السليمانية[4].

وأما عشيرة جنكي، فهي الأخرى من العشائر المتنقلة والقوية والتي تميل إلى السلب والنهب، ولم تؤد الضرائب إلى الحكومة العثمانية. وقد هاجرت من نواحي سنة في بلاد

---

1 - Waheed S.A.: Op. Cit. P. 180.

2 – جمال بابان: أصول اسماء المدن والمواقع العراقية، ص 341.

3 – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 92.

4 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها، ص 197.

فارس. ويبلغ عدد أفرادها حوالي ثلاثمائة أسرة، وقوتها تقدر بحوالي مائتي فارس وثلاثمائة راجل وتقضي شتاءها في وديان السليمانية، أما الصيف فتقضيه في الأراضي الفارسية[١].

لقد اتسمت حياة العشائر الكردية بعدم تمكنها من العيش بسلام مع بعضها، وهو الطابع التي اتصفت به شعوب المناطق الجبلية عامة، ولولاه لكانت حالة العشائر عكس ما كانت عليه آنذاك، ولتعرضت الدولتان العثمانية والفارسية لأخطار الهجمات الكردية[٢]. غير أن هذه العشائر لم تعرف كيف تستفيد من بلادها الواقعة بين الدولتين المتخاصمتين، فتكون جبهة متحدة تقاوم، وبإخلاص، تلك الغارات والهجمات الأجنبية على بلادها، بل على العكس من ذلك، فقد كان التناحر قائماً بين أمراء في العشيرة الواحدة، كذلك الخصام بين أمراء العشائر الأخرى. هذا بطبيعة الحال مما سهل على كلا الدولتين أن تفرض سيطرتها عليهم[٣].

إن عدم تمكن العشائر من إزالة خلافاتها وتسوية مشاكلها والعيش بوئام مع جيرانها، قد أفسح المجال لبعض العشائر التي كانت تملك القوة العسكرية والعدد الكبير من الرجال لكي تفرض سيطرتها على المناطق المحيطة بها. وأدى ذلك إلى نشأة الإمارات الكردية القوية التي أصبح لها شأن كبير في كردستان، خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كالإمارة البابانية والإمارة السورانية.

---

[1] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 197- 198.

[2] - باسيل نيكتين: المصدر السابق، ص 169.

[3] - أنور مائي: الأكراد في بهدينان، الموصل 1960، ص 178.

الفصل الثاني

قيام الإمارة البابانية

العامل الجغرافي والإقتصادي

كانت الإمارة البابانية التي ظهرت في القرن السابع عشر الميلادي، كقوة جديدة في منطقة كردستان الجنوبية، قد لعبت دوراً مهماً فيها، وساعدها على ذلك موقعها الجغرافي بين الدولتين العثمانية والفارسية، فقد نمت من إمارة صغيرة متنقلة بين عدة مواقع إلى أن أصبحت إمارة يحسب لها الحساب من قبل الدولتين المذكورتين، فامتدت إلى رقعة واسعة من المنطقة الشمالية الشرقية من العراق إلى حدود زنكآباد[١]، ومندلي وبدرة، وجصان[٢] وإلى آلتون كوبري، وأربيل وسنة، في عهد خانة باشا بابان[٣]. وسنة ولاية كردية تخضع لنفوذ الفرس في الغالب[٤].

ولقد أدى توسع إمارة بابان إلى تصادمها مع جيرانها من الدول والإمارات، والعشائر الكردية في المنطقة. وكان أقوى اتحاد عشائري في ذلك الوقت، هو اتحاد عشائر البلباس، الذي ضايق كثيراً الإمارة البابانية، ومن ثم أدى بها إلى طلب المساعدة من والي بغداد حسن باشا، حيث تمكن من القضاء على ذلك التحالف[٥].

وفي السنوات التي لجأ فيها البابانيون إلى بلاد فارس، لطلب مساعدتهم، ضد ولاة بغداد تارة، ولطلب تولي منصب الإمارة تارة

---

1 – احد السناجق التابعة لولاية بغداد حسب التقسيمات الإدارية والعثمانية.

2 – أقضية تابعة لسلطة والي بغداد، وتقع قريبة من الحدود العراقية الإيرانية.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 171.

4 – ريج: المصدر السابق، ص 153.

5 – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 101.

أخرى، زاد تصادمهم مع السورانيين في راوندوز، ودخل البابانيون مع السورانيين في صراع، وإستمر ذلك الصراع إلى أن تمكنت الدولة العثمانية، فيما بعد، من فرض سيطرتها عليهما[1].

كذلك اشتبك البابانيون مع البهدينانيين في العمادية[2]. وأما صراعهم مع ولاة بغداد وشاهات الفرس، فقد إستمر إلى أن تمكنت الدولتان العثمانية والفارسية من عقد معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م، والتي بموجبها فرضت الدولتان سلطانهما على جميع الإمارات الكردية الواقعة على حدودهما، خاصة إمارة بابان، حيث استغلت الدولة العثمانية تخلي الدولة الفارسية عن مطالبتها بلواء السليمانية فقضت على الإمارة.

وأدى هذا الوضع، بطبيعة الحال، إلى تأخر الحالة الإقتصادية، فرغم غنى كردستان بالثروات الطبيعية، فقد ظل

---

[1] – نصت معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م على أن يمتنع كل من الطرفين العثماني والفارسي عن أية مطالب مالية أو إقليمية، وعلى تقسيم منطقة زهاب المختلف عليها، وتعهدت إيران بعدم التدخل في شؤون منطقة السليمانية الداخلية، وتنازلت عن كل حقوقها فيها. وأخذت الدولة العثمانية تعهداً مماثلاً بالنسبة للمحمرة والشاطئ الأيسر لشط العرب.

وقد نظمت المعاهدة العلاقات المتبادلة بين الدولتين في مجال التجارة وضمنت امتياز زيارة الأماكن المقدسة، وكذلك نصت على وقف غارات العشائر الرابضة على الحدود، وتحديد أماكن تنقلاتها وسكنها. ولأجل تنفيذ تطبيق المعاهدة وتحديد الحدود، شكلت لجنة من ممثلي الدولة العثمانية والفارسية والروسية والبريطانية.

خالفين: الصراع على كردستان، ترجمة أحمد عثمان أبو بكر، بغداد 1969 ص 63- 64.

[2] – محمد سعدالله الوري: المخابرات السياسية بين الدولة العثمانية وإيران، مخطوط في المتحف العراقي رقم 9291، ص 39.

اقتصاد العشائر الكردية بدائياً، في حين وجدت مناطق ذات إنتاج تجاري النوعية، ومن أسباب عرقلة التطور الإقتصادي، خاصة التجارة الخارجية، بعد كردستان عن الطرق التجارية العالمية والطبيعة الجبلية للبلاد، وفقدان الأمن والطرق الصالحة. كما أن حكومتي الشاه والسلطان لم تعيرا أي اهتمام يذكر لتحسين طرق المواصلات بسبب إنشغالهما بالحروب، وبمشاكلهما الداخلية. يضاف إلى هذا كله أن التطور الإقتصادي والإجتماعي والسياسي والثقافي للشعوب الخاضعة للدولة العثمانية والدولة الفارسية، قد لاقى الكثير من العوائق. فتحكم سلطة الشاه والسلطان البالغة القسوة الممتزجة مع قيود الإقطاعيين المحليين، أدى إلى استنفاذ الطاقة الإنتاجية للشعب الكردي، وإلى إعاقة توسيع التجارة وتحسين الإنتاج. وكان الإرهاب الذي يمارس ضد الأكراد من قبل العثمانيين والفرس، من عوامل عرقلة التطور الإقتصادي[1].

ومن الجدير بالذكر هنا أن الأمراء البابانيين وقفوا على رأس الطبقة الإقطاعية الموجودة خلال فترة حكم الإمارة، فتملكوا القرى الزراعية، وتصرفوا فيها مع أبنائهم. وكانوا يتقاضون من فلاحي تلك القرى نسبة معينة من المحصول، وإستمر أولادهم من بعدهم يجمعون الضرائب من مزارعي هذه القرى. وفضلاً عن هذا كله، كان الأمراء البابانيين يمنحون لأتباعهم الضياع والقرى الزراعية. وهذا، بطبيعة الحال، كانت

---

1 - خالفين: الصراع على كردستان. ترجمة الدكتور أحمد أبو بكر. بغداد 1969، ص 16- 20.

تعفى من رسوم الضرائب، مقابل خدماتهم لباشوات البابان. ولاشك أن هذه الأمور قد أثرت على الحالة الإقتصادية للإمارة[١].

حكم الأسرة البابانية الأولى

حكمت الإمارة البابانية أربعة أسر[٢]، قبل أن تتولى الأسرة الخامسة زمام الأمور فيها، والتي قيل عن منشأها وأصلها روايات شتى[٣]. فإلى الأسرة الأخيرة، يرجع أصل البابان الذين بنوا مدينة السليمانية وحكموا فترة طويلة[٤].

وكانت بداية حكم الأسرة الأولى[٥] بالأمير بيربوداق عام 1501م، في قرية دارشمانة في قضاء پشدر من لواء السليمانية[٦]. وقد جمع قوة حربية تمكن بها من الإستيلاء على مساحة كبيرة من البلاد المجاورة، فاستولى على ولاية لارجان

---

[1] – تقرير درويش لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية وإيران. بغداد 1953، ص 27، 29.

[2] – شرفخان: المصدر السابق ص 276.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 53.

[4] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق ص 56.

[5] – يذكر حمدي بك بابان نقلاً عن عباس العزاوي: «كان بداية تاريخ البابان هو عام 1400 ميلادية، لكن لم يكن لهم شأن ما يستدعي التدوين عنهم، غير إنهم تمكنوا عام 1500ميلادية من تكوين إمارة تتمتع بقوة لا بأس بها، وإستمرت تلك الأسر تحكم إلى حوالي 1556م». عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 99.

[6] – ريج: المصدر السابق ص 208.

من عشيرة زرزت وسيوى ومشياكرد من السوران، وأخذ من القزلباش ولاية سلدوز[١]، كما جدد قلعة ماران ونصب عليها حاكماً[٢]، وأخضع عشيرتي مكري وبانة بالقوة والمصاهرة، وانتزع ولاية شهربازار من حاكم أردلان ثم توجه إلى كركوك التابعة لسيطرة والى بغداد، فتمكن أيضاً من الاستيلاء عليها. وقد أرسل إلى هذه المناطق الأمراء، والحكام، ومنحهم سلطات الحكم، وقد أبدع في فن الحكم والإدارة ووضع بعض القواعد والأصول لنظام الحكم لم تكن موجودة من قبل، ولم يسبق لأحد من حكام كردستان السابقين له وضعها.

وحاول أخوه رستم اغتياله لكنه فشل في ذلك. ثم سار بيربوداق على رأس جيش، لمحاربة إمارة سوران، فلم يتمكن أميرها سيدي بن شاه علي، من الصمود في وجه قوته، فلجأ إلى قمم الجبال هارباً، ومترقباً الفرصة للأخذ بالثأر، حيث أتته عندما خرج بيربوداق للصيد مع بعض رجاله، فهجم عليه سيدي بن شاه علي، عام 1514م فقتله هو ورجاله. ولما لم يكن له ابن يخلفه، فقد خلفه ابن أخيه، بوداق بن رستم[٣]. وكان بيربوداق مستبداً برأيه، فلم يكن يأخذ بمشورة أحد عندما يتخذ قراره، أو يعين الحكام على مناطق كردستان[٤].

وتمكن بوداق بن رستم من حكم الإمارة لمدة سنتين،

---

[1] – شرفخان: نفس المصدر، ص 277.

[2] – فريج: كردلر، استانبول 1334هـ ، ص 259.

[3] – شرفخان: المصدر السابق، ص 278.

[4] – فريج: نفس المصدر، ص 259.

(1514- 1516م)، لم يستطع خلالهما إخضاع الرعية كما يريد، كما أن أعيان الجيش لم يخضعوا له، كما تمرد عليه أتباع عمه. لذا لم يحتمل هذه الأحوال، فأدى ذلك إلى موته[١].

أما الأسرة الثانية فقد حكمها أحد خدام بيربوداق، المدعوا بيرنظر، حيث تولى السلطة ثلاث سنوات (1516- 1519م) لما كان يتمتع به من الشجاعة والسجايا الحميدة، فقد رضى الناس بحكمه، وقام بنشر العدل والمساواة بينهم، كما استولى على ناحية كفري التابعة لسيطرة باشوية بغداد، وضمها إلى ما حصلت عليه من مقاطعات على عهد أمير الأسرة الأولى.

والأسرتان الثالثة والرابعة كانتا متداخلتين ببعضهما. فبعد وفاة بيرنظر عام 1519، انقسمت الإمارة بين رجلين، أحدهما يدعى سليمان، والأخر مير إبراهيم. وكانا حاكمين على مقاطعتين في عهد الأمير بيربوداق، وأصبح كل واحد منهما يمثل أسرة. وقد حكما الولاية مدة متفقين، إلى أن نشب الخلاف بينهما، فتبدلت الصداقة الحميمة التي كانت تربطهما سابقاً بالعداء والمودة بالنضال، حتى ظفر سليمان بخصمه مير إبراهيم فقتله، وذلك عام 1528م، وضم ما يخص أملاكه إلى ما في حوزته من ولاية البابان[٢].

وتمكن سليمان من تكوين إتحاد لبيكات البابان وعائلاتهم تحت حكمه رغم أن سليمان ومير إبراهم لم يكونا من سلالة البابان، ثم توفي سليمان بعد حكم دام إحدى عشر سنة

---

[1] - فريج: نفس المصدر ص 360.

[2] - شرفخان: المصدر السابق، ص 279.

(1519- 1530م) تاركاً أربعة أولاد، هم: حسين، ورستم، ومحمد، وسليمان. أما مير إبراهيم، فقد حكم تسع سنوات (1519- 1528م) وخلف ثلاثة أولاد، هم حاجي شيخ، وأمير، وميرسليمان[1].

وهكذا بدأ الصراع بين الأبناء، الذين هم أيضاً يمثلون بدورهم رؤساء هذه الأسر. وكان حاجي شيخ أكبر أولاد مير إبراهيم، قد ترك وطنه بعد مقتل والده والتجأ إلى الشاه طهماسب (1524- 1576م) في بلاد فارس، إلا أنه لم ينل مساعدته، فعاد مع أتباعه يائساً. وفي طريق عودته، تمكن من وكلاء ميرعزالدين شقيق سليمان الذي قتل والده، واستولى على أملاكهما في نارين وديالى. وبعد وفاة سليمان عام 1530م، تمكن من السيطرة على جميع ولاية البابان، وصار حاكمها المستقل، وذلك عام 1531. وقد ظهرت منه آثار العداء والتحدي للشاه الفارسي طهماسب، الذي ساق عليه جيوش القزلباش ثلاث مرات كانت الغلبة فيها لحاجي شيخ، بالرغم من عدم مساعدة أحد أمراء كردستان وحكامها له[2].

علاقة السلطان سليمان القانوني بالأسرة البابانية

بعد أن فتح السلطان العثماني سليمان القانوني بغداد عام 1534، كان حاجي شيخ حاكماً على ولاية البابان، فبادر بالحضور إلى بغداد لتقديم الطاعة والتهاني للسلطان، فلما

---

1 - فريج: المصدر السابق، ص 262.

2 - شرفخان: المصدر نفسه، ص 279- 280.

وصل إلى ناحية مركة في قضاء پشدر من لواء السليمانية، تصدى له سكان تلك الجهات من الأكراد لمقاومته، فقتلوه مع أخيه مير، وقد خلف من بعده ولدان هما بوداق وصارم. وكان الأخير قد توفي.

وقد شاع نبأ مقتل حاجي شيخ، حتى وصل إلى مسامع السلطان سليمان القانوني وهو في بغداد، فأصدر أمراً بتعيين ابنه بوداق على ولاية البابان، فقام بإدارة الولاية على أحسن ما يرام، ناشراً العدل والمساواة مدة ستة عشر عاماً (1535- 1551م) إلى أن حرض بعض المفسدين حسين بك بن سليمان أن يثور عليه، ويطالب بحكومة البابان لنفسه، فصدر الأمر بذلك التعيين من السلطان العثماني، فتوجه حسين بك يسانده سلطان حسين حاكم العمادية نحو ولاية بابان. فلم يتمكن بوداق من الصمود في وجه تلك القوة، فهرب إلى الشاه طهماسب في بلاد فارس.

وأمضى بوداق مدة مقيماً في بلاد الشاه إلى أن استقدمه الوزير الأعظم رستم باشا إلى استانبول، واستصدر مرسوماً بإسناد ولاية البابان إليه، فلما سمع حسين بك بذلك، تصدى لمقاومته، لكنه خسر المعركة وهرب إلى استانبول، وأطلع السلطان على ما حل به. وقد أمر السلطان بإعادته إلى منصبه. وعند اشتداد المعركة بين الطرفين على أثر مجيء حسين بك لتسلم منصبه، قتل مع أخيه رستم، مما أغضب السلطان سليمان القانوني عند سماعه بذلك النبأ، فطلب من الأكراد المجاورين لولاية البابان القضاء على بوداق لسوء تصرفه. فلما ضيقت عليه تلك القوات، هرب إلى السلطان حسين حاكم

العمادية، الذي يبدو أنه أصبح ملجأ للمدعين بالولاية. وقد رفع حاكم العمادية التماساً إلى السلطان يطلب فيه العفو عما بدر من بوداق من سوء تصرف، فعفى عنه لكنه لم يسند منصب ولاية البابان إليه، بل إلى رجل يدعى «ولي بك».

وحدث أن نشب نزاع حول ولاية قونية بين ولدي السلطان سليمان القانوني، وهما سليم و بايزيد، فوقف بوداق إلى جانب بايزيد في نزاعه مع أخيه، وكان بوداق قد ذهب إلى كوتاهية ليكون بجانب بايزيد، فأمر السلطان بايزيد بقتل بوداق، وأرسال رأسه إلى البلاط السلطاني، مقابل إصدار عفو عن بايزيد لجريمة العصيان التي ارتكبها، فما كان من بايزيد إلا أن أقدم على تنفيذ ما أُمر به لإنقاذ نفسه من الهلاك وأرسل رأسه إلى استانبول. وكان السلطان قد أعتبر بوداق من الذين يحثون بايزيد على الثورة والتمرد[1].

وقد خلف بوداق أربعة أولاد، هم حاجي شيخ وحسين بك وميرسيف ومحمد بك. وكان الإثنان الأولان قد ذهبا مع الأمير بايزيد إلى بلاد فارس حيث قام الشاه الفارسي طهماسب بقتلهما خوفاً من غضب السلطان العثماني. وكان الشاه يعاني ضعفاً في السيطرة على أوضاع بلاده[2]. أما ميرسيف فقد مات، ومنح الرابع حكم سنجق كستانة بأمر من السلطان.

ولقد ذكر سابقاً أنه حين تولي حاجي شيخ بن مير إبراهيم زمام الأمور في كردستان، ولم يستطع حسين بك بن سليمان

---

1 – شرفخان: المصدر السابق، ص 280– 282.

2 – فريج: المصدر السابق، ص 265.

مقاومته، هرب إلى بلاط الشاه طهماسب، مستنجداً به، فأمده ثلاث مرات بجيوش القزلباش إلا أنه لم يتمكن من استرداد إمارة البابان، فغضب الشاه على الأمير حسين لسوء تدبيره، وألقى القبض على أخويه رستم ومحمد وسجنهما. وبعد فترة، أطلق سراحهما، فبادرا بالهرب من بلاد الشاه إلى استانبول لاجئين لدى السلطان سليمان القانوني، فأكرمهما وعين ما يقوم بأودهما في ولاية الروملي، فذهبا إليها.

ومن ثم توسط سلطان حسين حاكم العمادية في أمرهما وتمكن من استدعائهما من الروملي، وأسند منصب ولاية البابان إلى رستم بك يساعده في الإدارة شقيقه محمد، وقد رافق تلك الحوادث السابق ذكرها أن قتل حسين بك بن سليمان على يد بوداق بك بن حاجي شيخ، فترك حسين بك ولداً واحداً يدعى خضر بك، كان قد تولى ناحية مركه من توابع ولاية البابان في فترة من الزمن.

وصادف أن رجع في ذلك الوقت أمير بك المكري إلى بلاط السلطان مستاءً من القزلباش، فرحب به رجال الدولة العثمانية وبادروا إلى أخذ ناحية مركه من حاكمها خضر بك بن حسين بن سليمان، ومنحها إلى أحد أولاد أمير بك المكري المذكور إكراماً لأبيه. وقد قاوم خضر بك ذلك العمل، إلا أن المنية أدركته[1]. فظلت الإمارة البابانية مهملة لا يتولى أمرها أحد وترك فيها من القوة ما يقدر بأربعة آلاف فارس لا يدينون بالطاعة لأحد، فبقيت كل ناحية من نواحيها

[1] - شرفخان: المصدرنفسه، ص 183.

تدين لرئيس من رؤسائها[1]، ثم بعد ذلك حكمت من قبل جماعات غير منظمة، إلى أن تمكنت الحكومة العثمانية من جعلها تحت إمرتها[2]، حيث صار الأمراء يدفعون الضرائب السنوية لخزانة شهرزور[3]، وعادت ولاية البابان داخلة في الأملاك الهمايونية[4].

الأسرة البابانية الخامسة

بعد وفاة خضر بك آخر الأمراء البابانيين الذين حكموا في منطقة بابان، انتهى حكم الأسرة الرابعة[5] التي ظهرت في أوائل

---

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 52.

2 - فريج: المصدر نفسه، ص 265.

3 - شهرزور من الولايات العراقية المهمة، وتسمى الآن بالسليمانية. وقد سكن شهرزور الكثير من العشائر الكردية، التي اعترف العثمانيون بسلطة رؤسائها على عشائرهم، مقابل الأموال التي كانوا يقدمونها للحكومة العثمانية. وقد خضعت شهرزور كبقية أنحاء العراق لهم عام 1534م. كانت شهرزور تحكم من قبل حكام أردلان، الإمارة الكردية في بلاد فارس، لكن السلطان سليمان القانوني تمكن من طرد حكام أردلان، ومن تسليم ولاية شهرزور إلى ولاة بغداد. فأصبحت منذ ذلك الوقت خاضعة لسلطتهم، وإتخذت كركوك قاعدة لها.
غير أن ولاية شهرزور لم تعمر طويلاً، وذلك بسبب ظهور الإمارة البابانية في القرن الثامن عشر الميلادي كقوة كبيرة في شمال العراق وسيطرتها على معظم أنحاء كردستان وتلقب حكامها بلقب باشا كردستان وبعد بناءهم مدينة السليمانية عام 1784م، تم إتخاذها مقراً لهم، مما أدى إلى الغاء ولاية شهرزور من التقسيمات الإدارية العثمانية، وحلت محلها الإمارة البابانية. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج4، ص 57- 63.

4 - عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان حكم عهد المماليك، القاهرة 1976، ص 128.

5 - شرفخان: المصدر السابق، ص 283.

القرن السادس عشر الميلادي في المنطقة المجاورة لبحيرة أورمية والتي تمكنت من ضم أجزاء عديدة من كردستان تحت لوائها[١].

وفي منتصف القرن السابع عشر ميلادي، ظهرت إمارة بابان الخامسة في شمال العراق[٢]، والتي بدأ نجمها يلمع عندما منح السلطان العثماني محمد الرابع (1648- 1687م) مقاطعة قلاجوالان (قلعة جوالان) إلى أحد أحفاد الأمير البابانى الذي تنسب إليه هذه الإمارة[٣]. وهناك روايات عديدة عن نشوء الإمارة الخامسة[٤]، ولكن ليست ثمة نصوص تكشف عن حقيقة الصلة بين الإمارات السابقة والإمارة الأخيرة. وأغلب الظن أن سلالة البابان الخامسة، التي نحن بصدد دراستها الآن، إنحدرت من بعض قواد أو أتباع البيت البابانى الأخير[٥]، ممن كانوا يقيمون في دارشمانة في پشدر ، حيث كان مركز البابانيين قديماً، وكل سكانها تقريباً من البيت البابانى[٦].

وأبرز الأشخاص الذين نسب اليهم تأسيس الإمارة الخامسة، بعد نهاية الأسر السالفة الذكر، والذي رويت عنه القصص والأساطير، هو الفقيه أحمد[٧] الجد الأكبر لأمراء

[1] – عماد عبد السلام: المصدر السابق، ص 127.

[2] – عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، ص 201.

[3] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 112.

[4] – جعفر الخياط، المصدر السابق، ص 41.

[5] – عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق، ص 128.

[6] – ريج: المصدر السابق، ص 208.

[7] – أحمد جودت: تاريخ جودت، ج1، استانبول 1302هـ ص 273.

البابان الأكراد[1]. والفقيه أحمد هذا، يعتبر من علماء الدين في كردستان، ويظهر أن أهم العوامل التي ساعدته على تأسيس الإمارة، هو العامل الديني. فقد كان يتمتع بنفوذ ديني كبير في كردستان ولذلك لقب «بابا»، ومعناها باللغة الكردية (الأب الروحي).

ومن الجدير بالذكر أن الشعب الكردي كان ينقاد ويرضخ إلى العلماء ومشايخ الطرق الدينية[2]، وقد استغل الفقيه أحمد ذلك، وجمع حوله أناس كثيرون حتى زادت شوكته[3]، وظهر بمظهر الزعماء الأشداء الأقوياء، فهابته العشائر الأخرى[4]. وقد ورثت سلالته من بعده حكم الإمارة البابانية[5]. والفقيه أحمد هو ابن كاكه شيخ ابن بوداق بك[6].

وبوداق بك، كما تروى عنه رواية في پشدر ، وهو الذي تسلسلت منه الأسرة البابانية هذه، كان له ولدان أحدهما بابا مير حكم في پشدر والآخر كاكه شيخ حكم في مركه. وبسبب الطمع والحسد والوشاية، قتل بابا مير أخاه كاكه شيخ واستولى على مركه، ففرت زوجته تحمل ولدها إلى قرية اسمها خدران، وكان

---

1 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ترجمة كريمته، مصر 1947، ص 108.

2 – أحمد علي الصوفي: المماليك في العراق، الموصل 1952، ص 21.

3 – أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ترجمة محمد علي عوني، مصر 1945، ص 417.

4 – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 56.

5 – لونكريك، المصدر السابق، ص 77.

6 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 108.

يرأسها أحد معتمدي زوجها كاكه شيخ. فعنيت بتنشئة طفلها وأسمته فقيه أحمد. ولما بلغ رشده صار يعي الوقائع التي جرت بين أبيه وعمه، وأخذ يفكر في الثأر لأبيه، وذات ليلة باغت عمه ومعه بعض رجال المعتمد، فقتله واستولى على تلك الأنحاء[١].

وفي أثناء الحملات العسكرية التي كان يقوم بها السلطان محمد الرابع (1648- 1687م) على الدول الأوربية، خاصة النمسا والولايات الإيطالية، شارك الفقيه أحمد عام 1663م في تلك الحملات إلى جانب الجيش العثماني[٢]. وبعد عودته، كافأته الحكومة العثمانية ومنحته حكم أنحاء پشدر . ويروى أنه خلال المعارك التي خاضها الفقيه أحمد تمكن من أسر فتاة تدعى كيغان، وهي ابنة أحد القادة العسكريين على ما قيل[٣]، فجاء بها إلى البلاد وعقد عليها. وقد رزق منها ولداً، وسمى خان بوداق، وهو الذي تقلد زمام الحكم بعد وفاة أبيه في پشدر ومركه وأرجاء سلومت وسردشت، ثمَّ أدركته المنية، فكان بابا سليمان نجل هذا الأمير[٤].

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 58- 59.

[2] – محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر 1896م، ط2، ص 133- 134.

[3] – روى تامستر ريج قصة غرام الفقيه أحمد مع كيغان. ريج: المصدر السابق، ص 208- 212.

[4] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 59.

توفيق قفطان: تاريخ حكام بابان في قلاجوالان حتى بناء مدينة السليمانية، بغداد 1969.

وهناك رأي مخالف يقول (إن ماوند هو ابن فقي أحمد الذي تسلم حكم الإمارة بعده وتمكن من الإستيلاء على شهريازار والمناطق المجاورة وأن سليمان بك هو ابن ماوند).

قـوة الإمارة وتوسعها

بدأت قوة الإمارة البابانية تظهر عندما تسلم بابا سليمان عام 1669م منصب ولاية البابان، بعد وفاة الفقيه أحمد[١]. وتعتبر ولايته بداية تاريخ منطقة السليمانية الحديث[٢]، حيث تمكن من وضع أسس الإمارة البابانيـة[٣] . فنظم شؤون بلاده، التي ورثها من سلفه . واحتل بعض قرى وأرياف كركوك[٤]، واستغل ضعف أمير أردلان، وانتشار الفوضى في عاصمتها سنة. فأخذ يوسع حدود إمارته في أراضي شهرزور التي كانت بيد الأردلانيين، فغزا سنة عام 1694م. وقد شجعه على تلك الأعمال، بُعدَ السلطتين العثمانية والفارسية من مركز نشاطه[٥]، مما مكنه من احتلال الكثير من المقاطعات التي كانت بحوزة الأمراء التابعين لأردلان[٦].

لقد جوبهت أعمال بابا سليمان أمير ولاية البابان بمقاومة شديدة من جانب الدولتين العثمانية والفارسية. فقد وقف دولار باشا متصرف كركوك وأمراء الجزيرة والعمادية ضد زحفه هذا، رغم فشلهم في إيقافه، ثم جهزت الدولة العثمانية

---

[1] – أدموندز: المصدر السابق، ص 55.

[2] – جعفر الخياط: المصدر السابق، ج1، ص 44.

[3] – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ص 109. لونكريك: المصدر السايق، ص 105.

[4] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 62. ريج : المصدر السابق، ص 213.

[5] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق ص 56.

[6] – لونكريك: نفس المصدر، ص 77.

جيشاً عام 1699م مؤلفاً من قوات بغداد وديار بكر وحلب[1]. كذلك أرسل الشاه قوة كبيرة لمساعدة أمير أردلان ضد الأمير الباباني، مما أضطره للاستسلام بعد أن تكبد خسائر كبيرة في الأرواح، فالتجأ إلى استانبول. هناك قوبل بحفاوة، ومنحه السلطان ولاية البابان ثانية، التي ضمت رسمياً إلى باشوية كركوك، وذلك تقديراً لشجاعته وأعماله في كردستان[2]. وكانت عاصمة الإمارة هي قلعة جوالان، ثم عاد إلى استانبول من جديد، حيث توفي فيها.

وانتهزت عشائر الزنكنة[3] فرصة وفاة سليمان بك فهجمت على قسم من بلاده[4]، كما اختلف بيكات البابان فيمن

---

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 62- 63.

2 - لونكريك: المصدر نفسه، ص 77- 78.

3 - زنكنة: أسم لإحدى العشائر الكردية، تمكنت على عهد الدولة الصفوية من تشكيل إمارة عاشت حقبة من الزمن. ثم توترت العلاقة بينها وبين الدولة الفارسية، فانهارت إدارتها، وهجرت ديارها وسكنت في الأراضي العراقية بين كفري ولواء السليمانية. وكانوا يعدون من أثرياء العشائر الكردية وهم على المذهب السني. وتمتعت بمكانة كبيرة بين العشائر الكردية. وقد ملكوا القرى الزراعية والأراضي المحيطة بها، وأصبحوا قوة تخشاهم العشائر المجاورة لهم. ومن أشهر رؤسائهم عبد الكريم خان وجلال خان. وفي عهد الإمارة البابانية الأولى، ظهر فيهم رئيس قوي يدعى أحمد خان الزنكني استغل وفاة بكر بك الباباني وانضمام الإمارة البابانية ثانية لحكم الدولة العثمانية، فهجم على أجزاء كبيرة من أراضيها وفرض سيطرته عليها، إلا أنه جوبه بمقاومة من قبل حكام بابان. أنظر: عباس عزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 175- 176. شرفخان : المصدر السابق، ص 16.

4 - علي سيدو كوراني: المصدر نفسه، ص 16.

يخلف حكم الإمارة[١] . بعد وفاة تيمور خان الذي عين مكانه بعد سفره إلى استانبول[٢] . فتدخلت الحكومة العثمانية في الأمر، وحكمت الإمارة البابانية مباشرة إلى أن فاز بكر بك بمنصب الإمارة فتخلوا له عنها[٣].

لم يكن سليمان بك (بابا سليمان) فقط رئيساً لعشيرة البابان في عاصمته قلاجوالان، بل أميراً لقسم كبير من كردستان الجنوبية[٤]. ولذلك لم تستطع الدولة العثمانية أن تحكم الإمارة البابانية طويلاً. فقد اشتهر البابان والعشائر المنضوية تحت لوائهم بالشجاعة والفروسية وبإجادتهم استخدام السيف والرمح. ويعتبر خالد بن الوليد بالنسبة للبابان رمزاً مقدساً، لأنهم يقولون بأن له الفضل في إنقاذهم من الوثنية ومن عبادة النار[٥]. والبابانيون الذين لم تتمكن الدولة العثمانية من حكمهم فترة طويلة، جنس يختلف، كما تشير تقاليدهم، عن سكان الجبال الداخليين وسكان مناطق البحيرات، حيث يحملون شبهاً في زيهم مع الأكراد الجنوبيين منحصراً في غطاء الرأس[٦].

---

[1] – محمود الدرة: القضية الكردية. بيروت 1966، ص 77.

[2] – توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 31.

[3] – علي سيدوا كوراني: المصدر السابق، ص 57.

[4] – توفيق قفطان: المصدر نفسه، ص 19.

[5] - Sykes M.: The Caliph's last heritage. A short history of the Turkish Empire. London 1915, pp 555-556.

[6] - Sykes M.: Ditto, p 431.

ولهذا، فعندما سافر بابا سليمان إلى استانبول ثانية، أناب عنه أخاه تيمورخان لإدارة حكم الإمارة[١] التي كانت تضم أراضي واسعة وهي قضاء پشدر وشهربازار والعاصمة قلاجوالان[٢]. ولكن تيمورخان توفي في عام 1703م، تاركاً ثلاثة أولاد صغار السن، هم فرهاد بك وخالد بك وخانة بك. فتولى الإمارة أخوه الأكبر بكر بك، الذي تمكن من إبعاد تدخل العثمانيين في شؤون الإمارة، حيث أرادوا استغلال الخلافات الناشبة بين الأمراء البابانيين[٣]. فشعر البابانيون بوطأة وقسوة الحكم العثماني، حين انضمت الإمارة تحت سيادة باشا كركوك عاصمة شهرزور[٤]. وتمكن بكر بك من نشر سلطاته بعد أن أزال النفوذ العثماني منه، فأصبحت تمتد من السيروان (ديالى) في الجنوب إلى الزاب الصغير في الشمال، وأصبح بإمكانه حماية عشائر الجاف القادمة إلى جوانرو. ومن جهة أخرى، فقد ضيق الخناق على كركوك[٥].

وإلى جانب حرصه على توسيع رقعة الإمارة، فقد اهتم بالناحية الإقتصادية، خاصة الزراعة. فقام بحفر الترع ومجاري الأنهار لتوصيل المياه إلى الأراضي الزراعية، وما تزال بعض أعماله في مجال الزراعة باقية حتى الآن كـ (ساقية بكرجو في مدينة السليمانية الحالية)[٦].

---

[1] – توفيق قفطان: المصدر نفسه، ص 31.

[2] – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 21.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 64.

[4] – لونكريك: المصدر السابق، ص 78.

[5] – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 138.

[6] – توفيق قفطان: المصدر نفسه، ص 32.

وكانت الإصلاحات الداخلية والحروب الخارجية التي قام بها بكر بك من أسباب شهرته[1]، في الوقت الذي بدأت فيه حملات والي بغداد حسن باشا التأديبية عام 1714م من أعالي ولايته إلى أسفلها وإلى خارجها أيضاً. وبسبب حملاته ومضايقاته[2]، أثار بكر بك السلطة في كركوك التي كانت تابعة لوالي بغداد، فطارده الوالي إلى الجبال التي تحصن بها، ودارت بينهما معركة أسفرت عن نجاته مؤقتاً من الموت بعد هروبه، ولكنه عاد بعد فترة إلى بغداد، فأمر الوالي بأن تغمد أنفاسه[3]. كما قتل الكثير من أعوانه، ومن بقى منهم على قيد الحياة هام في الوديان والجبال[4].

وبوفاة بكر بك، عادت الإمارة البابانية ثانية لسلطة الحكم العثماني، حيث عين متسلم جديد من غير أسرة البابان لإدارة شؤون الإمارة، غير أن هذا المتسلم قد أضر كثيراً بها، لعدم كفاءته لتلك المهمة المنوط بها. وفضلاً عن ذلك، فقد ضمت الإمارة البابانية إلى كركوك[5]. وظهر في هذه الآونة أحمد خان الزنكني، وأخذ يلتهم البلاد البابانية دون رادع، فأقتطع منها

---

[1] – كاووس قفطان: «ملاحظات حول الإمارة البابانية». مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 19، بغداد 1976، ص 159.

[2] – زبير بلال إسماعيل: أربيل في أدوارها التاريخية. النجف الأشرف 1970، ص 286.

[3] – عبد الرحمن السويدي: تاريخ بغداد، مخطوط في المتحف العراقي رقم 3228، ص 45– 46.

[4] – نظمي زاد مرتضى: كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد بدون تاريخ، ص 328.

[5] – توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 35.

الكثير من الأنحاء. وكان بكر بك قد خلف ولدين لم يتمكنا من تسلم حكم الإمارة، وهما سليم بك وشيريك[١].

ولم يستطع خانة بك بن تيمورخان أن يسكت على ما يقوم به أحمد خان الزنكني، فألف جيشاً صغيراً قابل به الزنكنة، وبعد أن عرقل زحفهم استطاع أن يهزم أحمد خان الزنكني وينجح في اجلائه عن الأراضي البابانية. وهكذا أعاد الحياة للإمارة من جديد عام 1721م، وأرجع الأسرة البابانية إلى الحكم[٢].

وبعد إستقراره في حكم الإمارة، نجح خانة بك - بفضل رجاحة عقله وحسن تدبيره - في تنمية صداقته مع والي بغداد حسن باشا ومتصرف كركوك عبد الرحمن باشا[٣]، فبدأ نفوذ البابان يتعاظم في عهده، وعهد خالد باشا الذي ساهم في حكم الأملاك البابانية معه، وتولى الحكم في قلاجوالان[٤]. وكان خانة باشا قد عين من قبل القيادة العليا للجيش العثماني للاستيلاء على أردلان عام 1723م، حيث استغل والي بغداد إضطراب الأحوال في بلاد فارس على أثر الغزو الأفغاني لها عام 1722م[٥]. وأسرع علي قُبلي خان حاكم أردلان، بتقديم فروض الولاء والطاعة للعثمانيين[٦]

[1] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 66- 67.

[2] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 67.

[3] - أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 196.

[4] - لونكرك: المصدر السابق، ص 149.

[5] - محمد سعيد المدرس: كلشن معارف، ج2 أستانبول 1252 هـ، 1301.

[6] - أمين زكي: خلاصة تاريخ كرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، مصر 1939، ص 222.

حقناً للدماء[1]. وهكذا احتل العثمانيون أردلان وأصبح خانة باشا والياً على سنة عاصمة أردلان[2]. فانتشر بذلك النفوذ الباباني، وتوسع من كركوك في العراق إلى همدان في الأراض الفارسية[3].

ولقد امتد حكم خانة باشا في أردلان لمدة أربع سنوات[4]، تمكن خلالها، بمساعدة القائد العثماني إبراهيم باشا، من الإنتصار على جيش الأمير لطف ميرزا الصفوي بالقرب من همدان[5]، ثم تولى علي بك الباباني بن خانه باشا إمارة أردلان مدة ثلاث سنوات، وكان يعد كلاهما من الحكام العادلين العقلاء. غير أن زحف نادر شاه عام 1730م، أنهى سيطرة البابانيين في أردلان[6].

ويبدو أن خانه باشا الباباني لم يحافظ على إستمرار صداقته مع والي بغداد، فقد اتفق سراً مع أشرف خان الأفغاني المتربع على عرش الإمبراطورية الفارسية ضد والي بغداد أحمد

---

1 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج2، ص 75.

2 – عندما عزل علي قبلي خان والي أردلان استاء من الحكومة الفارسية فأرسل إلى والي بغداد يعلن إنضمامه إلى العثمانيين ويطلب مساعدتهم. أنظر: حلاصة تاريخ كرد وكردستان، ص 222، لمؤلفه أمين زكي.
أما محمد مردوخ فيقول: اتفق جماعة من الأردلانيين ضد علي قبلي خان وأرسلوا يدعون خانة باشا للإستيلاء على سنة فلم يستطع علي قبلي خان المقاومة وهرب إلى أصفهان فخرج العلماء والأعيان لاستقبال خانة باشا. أنظر: تاريخ مردوخ، ج2، ص 79 لمؤلفه محمد مردوخ الكروستاني.

3 – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 79.

4 – لونكريك : المصدر السابق ص 149.

5 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 196.

6 – لونكريك: المصدر السابق، ص 149. علي سيدو كوراني: المصدر نفسه، ص 79.

باشا أثناء قيام الأخير بالزحف على أصفهان للاستيلاء عليها عام 1724م[1]. وكان خانه باشا قائداً للميمنة في الجيش العثماني. وعندما اشتدت المعركة، ترك الأخير الجيش العثماني، والتجأ إلى أشرف خان. وكان هذا مما ساعد على هزيمة الجيش العثماني، حيث أن بعض قادة هذا الجيش كانوا يميلون إلى أشرف خان. وعاد أحمد باشا والي بغداد في حالة يرثى لها[٢].

ويظهر أن الدعاية التي قام بها أشرف خان بواسطة بعض رجاله بين صفوف الأكراد والعثمانيين، قد أثرت تأثيراً كبير عليهم[٣]، كما انخدع بها عدد من الأمراء العثمانيين، حيث أقنعوهم بقولهم: «ان من دواعي الأسف والحسرة أن تتقاتل حكومتان سنيتان، فتراق دماء المسلمين....»[٤].

وبعد هذه الحادثة لم يعرف مصير خانه باشا[٥]. ويظهر أنه بعمله هذا كان مدفوعاً اما إلى الثأر لدم عمه بكر بك الذي قتله والي بغداد حسن باشا، أو لعدم ثقته بالحكومة العثمانية.

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 69.

[2] – أمين زكي: مشاهير كرد وكردستان، ج1 ، ص 197.

[3] – أمين زكي: خلاصة كرد وكردستان، ص 223.

[4] – أمين زكي: خلاصة كرد وكردستان، ص 69.

[5] – يقول توفيق قفطان: «بعد ظهور نادر شاه الذي بدأ باكتساح المناطق التي احتلت من قبل قوات بغداد، طلب والي بغداد، إضافة إلى القوة التي يملكها، من خانه باشا للمشاركة في الحرب ضد الفرس، فتوجهت قواته إلى همدان. وتمكن خانه باشا من إلحاق الهزيمة بالقوات الفارسية، وبذلك نال رضا الوالي. إلا أن أعداء خانه باشا أوغروا صدر الوالي ضده وأفهموه بأنه يريد الاستيلاء على بغداد بمساعدة الفرس، فصدق الكلام فأمر بقتله». أنظر توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 46- 49.

غير أن أمين زكي يلوم خانة باشا على فعلته هذه، ويعتبر عملاً من هذا النوع سقوطاً للفاعل في نظر التاريخ والأخلاق(١).

وتقلد منصب الإمارة بعده، خالد باشا البابانى. وفي هذا الوقت كان نادر شاه يجتاز منطقة شهرزور، قاصداً الممالك العثمانية(٢)، فأراد لطف علي بك حاكم تبريز المرور عبر الأراضي البابانية لمساعدة نادر شاه(٣)، الذي كان يحاول حصار بغداد(٤). فلما علم خالد باشا بالأمر، جمع قواته واتجه لقطع الطريق عليه، فكتب لطف علي بك إلى خالد باشا، شارحاً له العوامل التي أدت به للقيام بهذه الحملة، فرفض طلبه، مما اضطره إلى تغيير سير اتجاهه.

وكان سليم بن بكر بك ممن وقف في بداية الأمر ضد زحف نادر شاه، وهجم على مؤخرة جيشه فسلبه أثقاله وبعض التجهيزات الحربية، إلا أن نادر شاه تمكن فيما بعد من كسبه إلى جانبه فجعله من معاضديه(٥). ومن هنا، بدأت النزاعات بين الإخوة على حكم

أما أمين زكي فيقول: «إن خانه باشا وأعدائه ندموا على فعلتهم وجاءوا يعرضون الطاعة على الوالي. فعفا عنهم ثم اشتركوا مع كرد إبراهيم باشا قائد الجيش العثماني في إخماد الثورة في تبريز. وبعد الإنتصارات التي حققوها، عاد إلى تبريز ولا يعلم ما آلت إليه أحواله بعد ذلك». أنظر أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 71- 72.

1 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 70- 71.

2 – سليمان فائق: حروب الإيرانيين في العراق. ترجمة محمد خلوصي الناصري، مخطوط في المتحف العراقي رقم 1952 ص 12.

3 – توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 50.

4 - Sykes P.: Op. Cit. P 250.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 73.

الإمارة[١]، وراح نادر شاه يسيّر الجيوش ضد خالد باشا، مما اضطره أخيراً الذهاب إلى استانبول ثم العودة إلى الموصل حتى توفي فيها عام 1751م[٢]. وكان نادر شاه خلال ذلك قد عين سليم باشا على العاصمة البابانية قلاجوالان عام 1743م[٣].

بداية التجاء البابانيين للفرس

كانت هناك عدة عوامل دفعت الأمراء البابانيين للإلتجاء إلى بلاد فارس، وأهمها موقع الإمارة البابانية الجغرافي وقربها من بلاد فارس أكثر من قربها من بغداد، وبروز قوة نادر شاه فوق المسرح السياسي الفارسي، وتعرض الإمارة لهجماته، وافتقارها لقوة كافية لرده. وفضلاً عن ذلك، فهناك الروابط الإقتصادية التي تربط البابانيين مع الفرس أكثر من ارتباطهم ببغداد، وتأثير الثقافة الفارسية على البابانيين وإجادتهم التخاطب باللغة الفارسية، التي هي أساس الثقافة في كردستان.

وأكثر العوامل التي دفعت البابانيين لمجاراة الفرس والإتفاق معهم على تولي المناصب في مناطق كردستان، هي تجربة الإمارات الكردية مع الدولة العثمانية. فقد كانت الأخيرة تعامل الإمارات بشدة وقسوة كلما سنحت لها الفرصة بذلك. إن هذه العوامل وغيرها، يمكن أن يعزى إليها ميل الأمراء البابانيين نحو فارس، مما أدى إلى دمارها وخرابها فيما بعد.

---

[1] – محمد قزلجي: التعريف بمساجد السليمانية ومدارسها الدينية، بداد 1938.

[2] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 57.

[3] – توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 57.

وخلال الحرب التي شنها نادر شاه ضد العثمانيين، كانت كردستان الجنوبية كبش فداء لحركاته العسكرية، التي بدأها عام 1730م[١]. وكان علي خان البابانى يحكم أردلان، فلم يستطع المقاومة، فعاد إلى بلاد البابان[٢]. ومن ثم بدأ الفرس بتعيين الحكام على المناطق التي استردوها من العثمانيين، أو التي احتلوها[٣]. رغم أن فترة تعيين الحكام من قبل الفرس لم تكن طويلة، بحيث إستمر الحكم الباباني متقطعاً، فأن ظهور البابانيين الميالين نحو الفرس قد بدأ في هذا الوقت[٤]، حيث تمكن نادر شاه من استقطاب سليم باشا البابانى وجذبه إليه[٥] وتعيينه على قلاجوالان[٦].

وحين أصبح سليم باشا حاكماً على إمارة البابان، قطع كل علاقته مع بغداد ولم يعد يعترف بسيادتها، بل كان يعتمد على تأييد نادر شاه، ومنه يتلقى الأوامر والنواهي، وأضحت الإمارة البابانية مقاطعة فارسية بحتة[٧]، وأصبحت إدارتها شبيهة بالنظام الإداري المطبق في بلاد فارس[٨].

---

1 – محمود الدره: المصدر السابق، ص 78.

2 – الشيخ محمد مردوخ الكروستاني: تاريخ مردوخ، ج 2،طهران بدون تاريخ، ص 118.

3 – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 79.

4 – لونكريك: المصدر السابق، ص 149.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها، ص 73.

6 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج1، ص 273.

7 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها، ص 74.

8 – توفيق قفطان: المصدر السابق، ص 60.

وبعد وفاة نادر شاه عام 1747م[١]، أسرع سليم باشا البابانى التابع للفرس[٢]، بمراسلة من بيدهم الأمر من الفرس لكي يمدوه بقوة نظامية من الجيش الفارسي، حتى يحتل بها بغداد ويسلمها لهم[٣]، ولهذا عزم والي بغداد أحمد باشا (1724- 1747م) على تأديب هذا البابانى المتمرد[٤]. ولما بلغ سليم باشا خبر قدوم الوالي على رأس قوة كبيرة من جيش بغداد، أصابه الفزع والهلع ولم يتمكن من الصمود، ففر إلى أعالي الجبال، هو وشقيقه شير بك، فتحصن سليم باشا في قلعة سروجك، وشير بك في قلعة قمجوغة. لكن والي بغداد أحاط بهما، فلم يقوى شير بك على الصمود ففر ناجياً بنفسه، بينما طلب سليم باشا الأمان من والي بغداد لما رأى أنه لا مناص له من التسليم، فوافق الوالي على ذلك، بعد أن قطع سليم باشا على نفسه عهداً بعدم التمرد مستقبلاً[٥].

وبعد أن فرغ والي بغداد أحمد باشا من عمله هذا، نصب سليمان باشا ابن خالد باشا بابان على إمارة بابان، وعثمان باشا على كوي وفتوح باشا على أربيل. وفي طريق عودته إلى

---

[1] – أحمد راسم: رسملي وخريطةلي عثمانلي تاريخي، أربعة أجزاء، استانبول 1329- 1335 هـ ،ص 458

[2] – عبد الرحمن سويدي: المصدر السابق، ص 242. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج5، ص279.

[3] – رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء، في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت 1963 ص 94.

[4] – سليم عزي: تاريخ عزي، ج2، القسطنطينية1199هـ ص 142

[5] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 94.

بغداد، مرض أحمد باشا ووافته المنية عند منطقة دلي عباس، فنقل جثمانه إلى بغداد حيث دفن فيها[1].

البابان والعهد الجديد في العراق

دخل العراق بعد وفاة أحمد باشا والي بغداد (1724- 1747م) في حالة من الإضطراب والفوضى، إلى أن تولى الحكم في بغداد المماليك، الذين اشتراهم حسن باشا والي بغداد (1704- 1723م) من أسواق تفليس، التي كانت زاخرة بالرقيق الأبيض، ويعتبر حكم المماليك بداية عهد جديد في تاريخ العراق الحديث[2].

ولقد بذل هؤلاء المماليك جهوداً كبيرة ليثبتوا وجودهم في المجتمع البغدادي، وأصبحوا بعد وفاة حسن باشا قوة لا يستهان بها. وازدادوا تماسكاً في عهد ابنه أحمد باشا، الذي سار على نهج أبيه في شراء المماليك وتدريبهم[3].

وتميز هذا العهد باشتداد التنافس على الحكم، إذ كان الولاة قبل ذلك يعينون بفرمان يصدر من السلطان. أما في عهد المماليك، فكان الذي تطمع نفسه لتولي الحكم، هو الذي يجب عليه أن يتغلب على منافسيه ليصدر الفرمان باسمه[4].

وكان سليمان باشا (1749- 1762م) أول من تولى الحكم

---

[1] – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين. ج5، ص281. رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 94.

[2] – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 26.

[3] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 97.

[4] – علي الوردي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديثه ج1 بغداد 1969، ص 150.

في العراق من المماليك، وقد أظهر همة كبيرة في إدارة الحكم[1]، وأصبح العدو المخيف للعشائر الثائرة، العربية والكردية، وذلك لشدة بطشه وإقدامه[2]. وقد لقب بأبو ليلة[3].

وكان سليم باشا البابانى المؤيد من جانب الحكومة الفارسية قد استغل الأحداث التي تلت وفاة أحمد باشا، فاستعاد عام 1749م ولايته من سليمان باشا بابان المدعم من حكومة بغداد[4]. وبقي مدة عامين يهزأ بحكومة بغداد، ويغزو الكثير من الجهات العراقية[5]. كما اتفق مع متصرف كويسنجق عثمان باشا وأعلن الإنفصال والإستقلال عن بغداد. وراح كلاهما يصولان ويجولان في المناطق الكردية، مستغلين إنشغال الوالي الجديد في القضاء على تمردات العشائر العربية في جنوب العراق.

وعلى أثر إخماد تمردات العشائر واستتباب الأمن، صمم سليمان باشا والي بغداد على الزحف على سليم باشا وعثمان باشا، نظراً لأن أعمالهما لا يمكن السكوت عليها. وبمجرد وصوله إلى كردستان، هرب سليم باشا إلى بلاد فارس، أما عثمان باشا فلم يلجأ إليها بسبب تعدياته السابقة عليها، فهرب إلى الجبال. وقد نَصَّبَ سليمان باشا والي بغداد سليمان باشا بابان مكانه، غير

---

1 – كارستون نيبور: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الالمانية محمود حسين الأمين، بغداد 1965، ص 58.

2 – رسول الكركولي: نفس المصدر، ص 131– 132.

3 – لقب بهذا اللقب للهجمات التي يقوم بها في الليل على المتمردين.

4 – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 29– 31.

5 – لونكريك: المصدر السابق، ص 221.

أن عثمان عاد للتمرد، فتمكن الوالي من القضاء عليه نهائياً. كما تمرد فتوح باشا، فقطع الوالي عنقه. وهكذا عادت الأمور طبيعية إلى مجراها في كل جهات كردستان الجنوبية[١].

ومما يستحق الإشارة إليه، ان سليم باشا بقي في بلاد فارس بعد هروبه فترة من الزمن، لم يتمكن خلالها من عمل شيء، إلى ان اسعفه كريم خان زند[٢] بقوة. ومع ذلك لم يستطع استعادة حكم الإمارة البابانية. ثم تكرر الهجوم ثانية عام 1757م بمساعدة بعض العشائر الفارسية، وفشل أيضاً. وقد قدمت الكثير من النصائح لسليم باشا بأن يقطع علاقته مع الفرس، غير أنه لم يصغ إليها[٣]. وأخيراً قرر الوالي، بعد أن عجز عن القضاء عليه عسكرياً، أن يستخدم الطرق الدبلوماسية معه. فبدأ بتقديم العهد بالحفاظ على حياته،

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 116- 118.

[2] – بعد وفاة نادر شاه عام 1747م، عمت الفوضى أرجاء البلاد الفارسية وحمل كل قائد من قواده لواء الإستقلال من بعده. وصادف أن اتفق كريم خان زند، الذي تدرج من جندي إلى ضابط في جيش نادر شاه، مع قائد آخر يسمى علي مردان خان، فقبضا على زمام الأمور. وأخذت شخصية كريم خان تبرز عام 1750م أكثر من الآخر، مما أثار حسده، فتخلص كريم خان منه عام 1757م، وسيطر على مقاليد السلطة في بلاد فارس. وتمكن من القضاء على منافسيه، وأعاد الهدوء والإستقرار للبلاد. وبدأ يوجه اهتمامه لفرض سيطرته على مناطق الحدود المجاورة له، فتمكن من احتلال البصرة عام 1775- 1779م، إلا أنه توفي عام 1779م، فانسحبت قواته منها. أنظر: رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 120، 150. أحمد راسم: المصدر السابق، ج2، ص 259. عبد الله الرازي: المصدر السابق، ص 426- 429.

[3] – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج2، ص 238.

ومنحه المقاطعات ليتولى حكمها، وأرسل الهدايا إليه. وقد شاركت زوجة الوالي عادلة خاتون، وهي ابنة الوالي السابق أحمد باشا[1]، في هذه الخطة الدبلوماسية، حيث أنها أرادت الإنتقام منه لاعتقادها بأنه السبب في وفاة والدها[2]، فقدمت إليه الهدايا الفاخرة. والمؤكد أن سليم باشا قد خدع بهذا كله، لأنه لما طلب منه الحضور إلى بغداد، لبى الطلب عن طيب خاطر، فقبض عليه، ووضع السجن حيث لقي حتفه[3].

ومن المفيد أن ننقل هنا رأي المؤرخ سليمان فايق حول السبب الذي دفع سليم بابان إلى اللجوء إلى نادر شاه، والذي صار - فيما بعد - الوسيلة التي يعتمد عليها رجال الحكم في إمارة بابان، فقد ذكر سليمان فايق ما يلي: «كان لجوء سليم بابان بعد أن وجه نادر شاه جيوشه الجرارة نحو هذه البلاد. ولما لم يستطع لا سليم بابان ولا أعوانه من آل بابان بالصمود في وجه هذا الجبار، فضلاً عن فرار خالد باشا وأعوانه - حيث كان يتولى الحكم في الإمارة - وتركه الكثير ممن لا قدرة لهم على السفر تحت رحمة القدر، عندئذ قرر سليم بابان اللجوء إلى نادر شاه إنقاذاً لهذه الأسر الإسلامية من الموت والتشريد، قبل أن يتولى هذا الشاه الحكم على البلاد البابانية، كما أن سليم باشا أوعز، وبصورة سرية، إلى من بقى في البلاد إلى الاستسلام لكن سرعان ما

---

[1] – جبرائيل أصفر حنوش: مختصر المستفاد في تاريخ بغداد، مخطوط في المتحف العراقي رقم 1104، ص 138.

[2] – لونكريك: المصدر السابق، ص 221.

[3] – جبرائيل: المصدر السابق، ص 138.

انقلبوا عليه بعد ما أنقذوا أنفسهم وأسرهم»[١]. إن هذا الرأي يحمل في طياته شيئاً من الحقيقة، لأن سليم باشا كان ضمن من قاوم نادر شاه في بداية زحفه على البلاد، وعندما أيقن أنه سوف ينتصر عليهم لا محالة، إتخذ ذلك القرار.

والواقع أن الضغط الفارسي على الإمارة البابانية كان له أثره على تلك الإمارة، فقد دأبت الحكومة الفارسية المتربصة على الحدود، والتي كانت لها أطماع توسعية في المنطقة الكردية، تدفعها للضغط بشتى الوسائل، على الأمير الباباني كي يلجأ إلى فارس، خاصة في الفترات التي تكون فيها الأوضاع غير مستقرة في ولاية بغداد، مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مطامعها الإقليمية في المنطقة الكردية[٢].

توتر العلاقات بين البا بان و ولاة بغداد

(1762- 1764م)

كان والي بغداد سليمان باشا، يعتمد كثيراً على سليمان باشا بابان ويثق به. وظل الأخير يتمتع بتأييد الوالي طوال فترة حكمه في بغداد (1749- 1762م)[٣]، وقد منحه حكم مقاطعات كويسنجق، وحرير، وزنكآباد، إضافة إلى إمارته. كما منحه

[1] - سليمان فايق: تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1962، ص 137- 138.

[2] - عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 112.

[3] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 135.

جباية الرسوم والضرائب من تلك المقاطعات[١]، لينفق منها على تصريف شؤون إمارته وتقوية الجيش البابانى، الذي غالباً ما يكون طوع أمر الوالي[٢]. ولم يكن قد بقي من منافس لسليمان بابان على قيد الحياة، سوى محمد بك بن خانه باشا، وقد دارت بينهما معركة أسفرت عن مقتل محمد بك وبعض أنصاره[٣]. وتمكن سليمان باشا بابان من جمع ثروة طائلة.

وبعد وفاة سليمان باشا والي بغداد، وتسلم علي باشا منصب باشوية بغداد عام 1762م، بدأ الأمير البابانى يفكر في الخروج عن طاعة الدولة العثمانية[٤]، حيث انتهى، حسب رأي البابانيين، أمر الطاعة لبغداد. وشرع البابانيون في السيطرة على كثير من المقاطعات التابعة لسيطرة والي بغداد، فأنذرهم علي باشا. وكان سبب العداء بين سليمان باشا بابان وعلي باشا والي بغداد، هو مطالبة الأخير للأمير البابانى بدفع الضرائب السنوية المتراكمة عليه، والتي كان الوالي السابق سليمان أبو ليلة قد أعفاه منها، إلا أن الأمير امتنع عن دفعها مرة واحدة، كما كان يطلب الوالي[٥]. ونتيجة لذلك جهز والي بغداد حملة ضد الأمير البابانى[٦]، وشارك فيها أمين باشا الجليل والي الموصل

---

1 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 75– 76.

2 – لونكريك: المصدر السابق، ص 168، 220.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها. ص 76.

4 – ياسين العمري: غاية المرام، ص 207.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 78.

6 – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 35.

(1761- 1768م)[1]. وتمكن علي باشا من تمزيق الجيش البابانى الذي جاء لملاقاته عند كفري، وفر سليمان بابان ناجياً بنفسه إلى بلاد فارس، وأسندت الإمارة البابانية إلى أخيه أحمد باشا بابان[2]، وعين تيمور باشا من آل عثمان باشا من أمراء كويسنجق السورانيين على كويسنجق وحرير[3].

وفي بلاد فارس، تمكن سليمان بابان من التقرب إلى كريم خان الزند الذي عينه على ولاية أردلان، بعد أن أخذها بالقوة من حاكمها سبحان وردي خان[4]. ولما كان الوالي علي باشا قد طلب العون من أحمد باشا بابان للقضاء على عشيرة كعب العربية، فقد أناب شقيقه محمود بك عنه في حكم الإمارة[5]، إلا أن سليمان بابان استغل هذه الفرصة فهجم بجيش أردلان على محمود بك وطرده منها. وبذلك استرد إمارة بابان لحكمه، لكنه لم يصمد أمام جيش بغداد، الذي أرسله علي باشا لاستعادة الإمارة لأحمد باشا بعد عودته من محاربة عشيرة كعب[6]. فعاد سليمان بابان إلى سنة في بلاد فارس، وأقام حكومته فيها بمساعدة كريم خان زند[7].

1 - ياسين العمري: الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، مخطوط في المتحف العراقي رقم 6512، ص 107.

2 - رسول الكركوكلي: المصدرنفسه، ص 136- 137.

3 - زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق ص 297.

4 - أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج2 ص 241.

5 - عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 45.

6 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 145- 146.

7 - عباس عزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 45.

بعد وفاة الوالي علي باشا، على أثر الفتنة التي حدثت في بغداد، تولى منصب باشوية بغداد الوالي عمر باشا عام 1764م. وكانت لهذا الوالي صداقة قديمة مع سليمان بابان، فاستدعاه من أردلان، وأصدر أمراً بأن يتولى سليمان بابان حكم ولاية بابان ومقاطعات كويسنجق، وحرير وآلتون كوبري وقره حسن، وزنكآباد، وبدرة وجصان، وأمر بعزل أحمد باشا بابان، الذي غضب وتوجه إلى العمادية، ثم الموصل(١). غير أن سليمان بابان الذي تولى أمور كردستان الجنوبية، لم يستمر طويلاً في الحكم، فقد قتله شخص يدعى فقى إبراهيم عام 1765م(٢) وكان سليمان بابان قد حكم الإمارة البابانية مدة أربعة عشر عاماً متقطعة(٣)، كانت علاقته خلالها مع الوالي سليمان باشا في بغداد حسنة(٤).

وبوفاة سليمان بابان، بدأت الصراعات العنيفة بين الإخوة على تولي منصب الإمارة، فكان كل منهم يستند على ما عنده من قوة وأعوان ومن تأييد أحد الطرفين العثماني أو الفارسي(٥). كما أدت هذه الصراعات إلى توسيع الهوة بين رؤساء كردستان وبين المماليك الذين تمركزوا في بغداد(٦). وكانت الدولة الفارسية من

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر نفسه، ص 146.

[2] – الشيخ محمد مردوخ الكروستاني: المصدر السابق ص 131.

[3] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 83.

[4] – لونكرك: المصدر السابق ص 220.

[5] – أحمد راسم: المصدر نفسه، ج3 ص 1047.

[6] – أحمد رشيد: خريطة لي ورسملي تاريخ عثماني، ج2، استانبول 1327 هـ، ص 318. أحمد جودت: المصدر السابقن ج2، ص 41.

جانبها تنتهز الفرص للتدخل من شؤون كردستان[١]. وكان الأمراء البابانيون أيضاً يشعرون بأن هناك قوة يمكن أن يعتمدوا عليها، إذا ما أعلنوا العصيان والتمرد على الوالي في بغداد والسلطان في استانبول، وهي قوة الدولة الفارسية[٢].

الصراع على الإمارة

سكن أشراف بابان الذين كانوا يتولون الباشوية في قلاجوالان بالعراق، وذلك لكسب الأتباع إلى جانبهم. وكان كل مرشح منهم لوظيفة الباشوية، يظهر الميل والخضوع إلى الدولة العثمانية تارة، وبعضهم يميل نحو الدولة الفارسية تارة أخرى[٣].

وبعد مقتل سليمان بابان، قام الوالي عمر باشا بتعيين شقيق سليمان الأوسط، وهو عمر بك، على الإمارة البابانية. ويرجع ذلك لصداقته القديمة معه من جهة، ولسد الفراغ الذي أحدثه مقتل الأمير الباباني من جهة أخرى. غير أن محمد باشا وشقيقه أحمد باشا، الذي أعاده عمر باشا من بلاد فارس، اتفقا فيما بينهما على حكم إمارة بابان وقد أم الوئام والسلام بين الشقيقين مدة، إلى أن تدخل المغرضون للإيقاع بينهما، حتى صار كل منهما يخشى الآخر، ووصل الأمر إلى حد أن كادت الحرب تقع بينهما، لولا تدخل العلماء ورجال الدين، وعاد الأخوان محمد وأحمد من جديد يتوليان الحكم في المناطق

---

[1] – أحمد راسم: المصدر السابق، ج3 ص 1047

[2] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 112.

[3] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج1، ص 274.

الكردية الخاضعة لسيطرة الإمارة البابانية، بمشاركة شقيقهما الثالث محمود باشا.

وكادت الفتنة تشب من جديد[1]، لولا أن أظهر محمد باشا العصيان على والي بغداد، عمر باشا عام 1775م، وهروبه إلى بلاد فارس، بعد أن أرسل الوالي قوة عسكرية كبيرة ضده[2]. وكان محمد باشا لا يظهر الود نحو عمر باشا منذ تسلمه باشوية بغداد[3].

وفي سبيل السيطرة على المنطقة، قام الوالي بتعيين محمود باشا أميراً على الإمارة البابانية، وأرسل معه قوة عسكرية بالإضافة إلى القوة الموجودة في كركوك. وأول عمل قام به محمود باشا، هو إطلاق سراح أخيه أحمد باشا الذي كان محجوزاً، وسلمه زمام الأمور في الإمارة، وصار محمود باشا تابعاً له[4]. وكان محمد باشا أثناء تمرده قد قام بحجز أخيه أحمد، بينما تمكن محمود باشا من الفرار إلى بغداد، حيث استنجد بالوالي عمر باشا[5].

وطلب محمد باشا الباباني الهارب إلى بلاد فارس العون من كريم خان زند، فأرسل الأخير إلى والي بغداد، ملتمساً إعادة الأمير

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 147– 148.

2 – جبرائيل حنوس: المصدر السابق، ص 140. ياسين العمري: الآثار الجبلية، ص 116.

3 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 41.

4 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 148– 149.

5 – يقول أحمد جودت: «لما علم محمد باشا أنه لا يستطيع المقاومة فر إلى إيران، وقبل أن يهرب عين مكانه شقيقه أحمد في قلاجوالان بعد أن أطلق سراحه». أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 41.

البابـاني اللاجـيء إليـه إلى قلاجـوالان، إلا أن عمـر باشـا رفـض الطلب، فما كان من كريم خان الزند إلا أن جهـز قوة كبيرة وسيرها نحو قلاجوالان، لكن أحمد باشا قابلها بقوة من الأكراد والعثمانيين وتمكن مـن دحرهـا[1]. وبعد هزيمـة القـوات الفارسـية، أرسـل كـريم خان الزند قوات أخرى حاصر بها كردستان والبصرة[2].

ويبدو أن عمر باشـا قـد نـدم علـى عدم اسـتجابته لإلتمـاس كريم خان زند، لكن بعد فوات الأوان. ومن ثم، فقـد أصـدر أمـراً بتعيين محمد باشا متصرفاً للإمارة البابانيـة بعد إقـصاء أحمـد باشا، فغـادر محمـود باشـا، وأحمـد باشـا قلاجـوالان إلى كركوك وأقامـا فيهـا. وهكـذا عـاد محمـد باشـا بابـان إلى الإمـارة بقـوة الجـيش الفارسـي. ونتيجـة تهديـد الجيـوش الفارسـية للعـراق، إتخـذت الدولـة العثمانيـة مـن جانبـها إجـراء لتهدئـة الحـال، ولمواجهـة الموقـف في الوقـت نفـسه، فعزلـت الـوالي عمـر باشـا وأصدرت أمراً بتعيين مـصطفى باشـا واليـاً علـى العـراق وحـسن باشا لقيادة جيش شهرزور[3].

ولم يكـن والي بغـداد الجديـد أهـلاً للمهمـة المنـوط بهـا، فلـم يحسن التصرف لمواجهة الموقف، بل إنغمس في أمور ثانوية، فعزل هو الآخر، وتسلم الباشوية في بغداد عبـد الله باشـا عـام 1776م.

---

[1] – أحمد راسم المصدر السابق، ج 2، ص 1048. أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 42.

[2] – سليمان فايق: تاريخ المماليك الكولة من ترجمة محمد نجيب الشاسي، مخطوط في المتحف العراقي رقم 1227 ص 12.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 83– 84.

وبدأ حسن باشا قائد جيش شهرزور، ووالي بغداد الجديد في إتخاذ التدابير لطرد الفرس من الأراضي العثمانية، فأصدر الوالي أمراً بتعيين أحمد باشا بابان متصرفاً على كويسنجق وحرير، وطلب حسن باشا منه ومن محمد باشا، الذي أخافته جيوش بغداد وأصبح من مؤيديها بعد أن انقلب على الفرس الذين نصبوه أميراً على الإمارة، طلب منهما الإستعداد للقيام بهذا العمل[1]. وتمكن حسن باشا من توجيه أحمد باشا إلى جهة زهاو وكرمنشاه ومحمد باشا إلى سنة في أردلان. وقد تأخر حسن باشا في شهرزور بسبب تخوفه من أحمد باشا.

ولقد أظهر محمد باشا مقدرة كبيرة في التوغل داخل أراضي فارس واصطدم مع القوات الفارسية وانتصر عليها، ثم طلب المساعدة من حسن باشا بعد أن جهز الفرس قوة كبيرة من القزلباش، فتمكن من صدها وقتل العديد من أفرادها. ورغم الخسائر التي منيت بها قوات كريم خان الزند، فأنه قد جهز قوة أخرى قوامها اثنا عشر الفاً يقودها علي خان، أحد قواده، ومعه أحمد باشا بابان الذي التجأ إليه، وهو في طريقه من قلاجوالان إلى كرمنشاه لمحاربة الفرس. ولم يستطع محمد باشا بابان، هذه المرة، الصمود في وجه القوات الفارسية الجديدة، كما أن الوالي عبد الله باشا لم يلتفت إلى طلب قائد جيش شهرزور بمد الجيش في كردستان بالمدد الضروري[2].

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 157.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 54- 55. رسول كركوكلي: المصدر السابق، ص 157- 158.

فانسحب محمد باشا نحو تيمور باشا حاكم كويسنجق، ولم يتعرض الفرس لأية مقاومة أثناء زحفهم وتقدمهم في الأراضي الكردية. وهكذا إنعكست الآية، فقد عاد أحمد باشا لإمارة البابان، لكن هذه المرة بعون الفرس، بينما أصبح محمد باشا ضدهم(١).

ويتضح من هذا كله، أن كلا الجانبين ـ من ولاة بغداد وأمراء البابان ـ كان همهما مصالحهما الذاتية، فإنقلاب الأمير البابان في لحظة خوف ضد من نصبه على الإمارة، أصبح من الأمور الاعتيادية عندهم. كما أن عدم اهتمام الوالي بما يجري فوق أرض ولايته، دفع الدولة العثمانية إلى إجراء تغييرات في مناصب ولاية بغداد وبإستمرار.

وبعد أن تسلم أحمد باشا بابان منصب إمارة بابان بمساعدة الجيش الفارسي، عاد الجيش الأخير إلى بلاده، كما أن حسن باشا قد تولى منصب باشوية بغداد 1778م بعد وفاة الوالي عبد الله باشا(٢). واعتقد محمد باشا أنه بمساعدة الباشا الجديد يستطيع إزاحة أحمد باشا بابان من منصبه في إمارة بابان، حيث أن محمد باشا قد قدم جهوداً كبيرة في صد الهجمات الفارسية، حتى أن السلطة العثمانية كانت قد منحته الهدايا الكثيرة تقديراً لجهوده، غير أن الوالي الجديد لم يعره أي اهتمام يذكر، فعزم محمد باشا بما معه من قوة وبمساعدة متصرف كويسنجق تيمور باشا على الهجوم على مقاطعة بابان، غير أنه فشل حيث

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 85.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 89.

تمكن أحمد باشا من صد المهاجمين وأسرهم، فقتل تيمور وسجن أخاه محمد باشا . وقد كتب أحمد باشا إلى حسن باشا والي بغداد، بما قام به من عمل، فأقره الباشا على إمارته، وضم اليه كويسنجق، وحرير، كما أرسل اليه الهدايا[1].

وحدث أن طلب الوالي أحمد باشا العون العسكري للقضاء على الفتنة التي حدثت في بغداد، فلم يتقدم بالسرعة المطلوبة لخوفه من أخيه محمد باشا المسجون، فأراد قتله، لكنه عدل عن هذه الفكرة واستبدلها بسمل عينيه. وبعد هذه الحادثة، توفي أحمد باشا وهو في طريقه إلى بغداد لمساعدة الوالي[2]، فأصدر الوالي أمراً بأن تؤول ولاية البابان إلى شقيقه محمود باشا، وأرسل يطلب إليه القدوم مع قواته، فقام هذا بما طلب منه وتمكن من القضاء على أحمد بن خليل وعجم محمد[3]، وبمساعدة خيالة من آل شاوي[4].

ولقد عمل العثمانيون وأمراء بغداد وباشواتها، وبكل الوسائل، على وضع أسس الشقاق والعداء بين الأمراء البابانيين، وأصبحت هذه سياستهم تجاه الأكراد عامة والبابانيين خاصة، وذلك لأن قوة الإمارة البابانية، وهي أقوى

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 163– 164.

2 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 90.

3 – أحمد بن خليل رئيس عشيرة اللاوند، ساند عجم محمد، وهو عجمي الأصل، الذي طالب بولاية بغداد اليه. وكان يشغل منصب خزندار في زمن الوالي عبد الله باشا.

4 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 87.

إمارات كردستان الجنوبية في بداية القرن التاسع عشر، معناه اضعاف سيطرتهم على العشائر الكردية، وأقسام كبيرة من كردستان الجنوبية، لذلك نراهم يعملون على بذر بذور الخلاف بين الأمراء أنفسهم[١].

فبعد أن تسلم سليمان باشا الكبير عام 1780م ولاية بغداد[٢]، وكان متسلماً لولاية البصرة[٣] أثناء الحصار الفارسي لها (1775- 1779م)[٤]، كان محمود باشا بابان أول من أعانه بإيفاد ابنه عثمان بك لقتال المتمردين[٥]، ثم جاء الأمير البابانى هذا بنفسه بعد ذلك، لكنه لم يجد اهتماماً من قبل الوالي، بل وجد أن إبراهيم بك بن أحمد باشا بابان ـ الذي يقيم في بغداد ـ قد تقرب إلى الوالي، والذي عهد إليه بمنصب الخزندار، ثم بعد رجوع محمود باشا بابان إلى إمارته، أصدر سليمان باشا الكبير أمراً بتعيين إبراهيم بك متصرفاً لإمارة البابان، لكنه عدل عن ذلك بعد توسط العلماء والأشراف بإبقاء محمود باشا في منصبه في هذا الوقت[٦].

---

[1] – كاووس قفطان: ملاحظات حول الإمارة البابانية، ص 162- 163.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 174. عباس عزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 87 – 88.

[3] – علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدول الفارسية في العراق، بغداد 1927، ص 115.

[4] – الشيخ عثمان بن عبدالله النجدي: عنوان المجد في تاريخ نجد، بيروت بدون تاريخ، ص 60.

[5] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 174- 175.

[6] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 229.

ونظراً لموقف الوالي سليمان باشا الكبير تجاه الأمير البابانى، فقد أظهر الأخير التمرد، وعدم طاعة أو إحترام الأوامر الصادرة إليه من والي بغداد. ومن ناحية أخرى، فقد اتفق سراً مع عثمان باشا - كهية حسن باشا والي بغداد - والذي عين بمنصب متصرف كركوك من قبل الوالي سليمان باشا الكبير على إعلان العصيان والتمرد ضد السلطة المركزية. وكان عثمان بك بن محمود باشا بابان قد إتصل هو الآخر بعثمان باشا المذكور[1]. لذا جمع الوالي قوة كبيرة وسار إليهم، وبدأ بسياسته المعروفة بتفريق أسرة بابان، فاستدعى بعض الطامعين في السلطة من آل بابان، وأخذ يمنيهم بالرتب العالية والأوسمة، فانحاز إليه بعضهم مثل حسن بَك بن خالد بن سليمان باشا[2]. ولما رأى محمود باشا أن لا حول له على التصدي والمقاومة، أرسل يطلب منه العفو والمغفرة.

ونظراً لسوء الأوضاع في ولاية بغداد وتمردات العشائر العربية في جنوب العراق، فقد وافق سليمان باشا الكبير على طلب العفو، ولكن وفق شروط وافق عليها محمود باشا، وهي:

1: أن يدفع محمود باشا إلى الوالي ثلاثمائة بدرة[3] من النقود.

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 174.

2 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 89.

3 - يطلق على النقد الذهبي اسم البدرة، ومقدار البدرة يساوي عشرة آلاف درهم، وتعادل البدرة التومان الفارسي. أنظر: عباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية، بغداد 1958، ص 39، 77. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج1، ص 464.

2: التنازل عن كويسنجق وحرير.

3: إبعاد الكهية عثمان باشا متصرف كركوك عن الأراضي البابانية.

4: إرسال بعض أولاد محمود باشا إلى بغداد كرهائن[1].

وبعد ابتعاد الوالي سليمان باشا الكبير عن منطقة البابان، نقض محمود باشا العهد ولم يفِ بتنفيذ تلك الشروط. فقرر الوالي هذه المرة تغيير الوضع في كردستان، فأرسل جيشاً كبيراً وصل إلى كركوك، فتجمع عنده عدد من آل بابان[2]. ومن ثم، أصدر أمراً بتعيين إبراهيم بك بن أحمد باشا بابان أميراً على البابان، فالتحقت بالأمير الجديد قوات بابانية أخرى[3].

ولم يستطع محمود باشا، هذه المرة، الصمود، فهرب مع ولده عثمان إلى بلاد فارس، اتصل بحاكم أصفهان علي مراد خان الذي منحه مقاطعة صادق بولاق، لكن حاكمها رفض التخلي عنها. ولذا دارت بينهما معركة، اسفرت عن مقتل محمود باشا بابان[4]. وعلى أثر ذلك، عاد ولداه عثمان وعبد الرحمن إلى ديارهما في كردستان[5]. وقد كتب عثمان بك بن محمود باشا بابان إلى الوالي في بغداد يخبره بما حدث لأبيه،

1 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 90.

2 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 177.

3 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230.

4 – ياسين العمري: الآثار الجلية ص 125. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 178.

5 – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 88.

ويطلب العفو عما بدر منه، فعفا عنه الوالي سليمان باشا الكبير، وولاه بعض المقاطعات في كردستان الجنوبية[١].

وهكذا عاد الهدوء، مؤقتاً، إلى ربوع كردستان، واستقر إبراهيم باشا في الإمارة البابانية لعلاقته الحسنة مع الوالي، تلك العلاقة التي ساعدته في تحويل عاصمة إمارته إلى مكانها الجديد وهو السليمانية[٢].

[1] - أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 179.

[2] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 94- 95.

الفصل الثالث

مدينة السليمانية

مراكز إمارة بابان قبل السليمانية

كانت للإمارة البابانية مراكز عديدة قبل أن تستقر نهائياً في مدينة السليمانية كعاصمة لها. ويدل حدوث تلك التغييرات والتنقلات في عاصمة الإمارة على عدم إستقرارها السياسي والعسكري، وتعرضها بإستمرار إلى الضغط والمضايقة من قبل القوتين الكبيرتين المحيطتين بها، وهما الدولة العثمانية والدولة الفارسية.

وأول عاصمة للبابان، هي داريشمانة في القرن السادس عشر الميلادي، وهي قرية تابعة لقضاء بشدر ، وكانت عامرة بالسكان والبيوت وفيها مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة[١]، وتقع بين قلعة دزة مركز قضاء بشدر والحدود الفارسية، إي الشمال الشرقي من قضاء بشدر وهي الآن قرية كبيرة، وقريبة جداً من قلعة دزة مركز القضاء، وفيها قبر الفقيه أحمد، مؤسس الأسرة الخامسة، وتعلو مرقده بعض الشواهد العالية المزينة تخليداً لذكراه[٢].

وانتقلت العاصمة في عهد السلطان سليمان القانوني (1520- 1577م) إلى ميركة، وذلك عام 1525م[٣]، وميركة إحدى قرى قضاء بشدر المهمة، وتابعة لناحية بنكرد في قضاء بشدر ، وهي تقع في جنوب القضاء، وكان الأمراء البابانيين قد استولوا عليها وضموها إلى أراضيهم. ويرجع سبب إنتقال العاصمة إلى ميركة، هو أنه عقب معركة جالديران عام 1514م،

---

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 53.

2 - جمال بابان: السليمانية ونواحيها المختلفة، ص 12.

3 - شرفخان: المصدر السابق، ص 183.

بين السلطان سليم الأول العثماني والشاه إسماعيل الصفوي، أصبحت منطقة الحدود العثمانية الفارسية يسودها التوتر الدائم[1]، ولذلك قرر أمراء البابان نقل عاصمتهم إلى منطقة أخرى أكثر أماناً من هجمات الفرس المتوقعة على الأراضي العراقية القريبة من الحدود، فوقع اختيارهم على ميركة. وهي الآن ناحية كبيرة من نواحي مدينة السليمانية.

والجدير بالذكر أن مركز العاصمة البابانية لم يكن يستقر في مكان واحد، وإنما كان يتغير من مكان إلى آخر حسب أهواء الأمير الحاكم وتوفر القوة التي يعتمد عليها، والاتباع الذين يستند اليهم في إدارة السلطة. فالبرغم من إنتقال العاصمة عام 1525م من داريشمانة إلى ميركة، نلاحظ أن بعض الأمراء يعودون إلى العاصمة الأولى كالأمير حاجي شيخ الذي حكم بين سنتي 1530- 1535م. وعلى عكس ذلك، فأن خضر بك بن حسين بن سليمان، حكم ميركة كعاصمة للإمارة. وهكذا فان عدم الإستقرار السياسي والعسكري كان يؤدي إلى نقل مركز العاصمة إلى المكان الذي يتمتع فيه الأمير الباباني بقوة نفوذه وكثرة أنصاره. وهناك أمر هام آخر، كان يؤثر على إنتقال العاصمة من مكان إلى آخر، وهو مسألة توفر القصور الكبيرة التي تعتبر بمثابة المركز الدائم في تلك الفترة الزمنية المبكرة.

وفي عام 1669م، وهو العام الذي تولى بابا سليمان السلطة في الإمارة البابانية[2]، إنتقلت العاصمة إلى قرية ماوەت، وهي

---

1 - لونكريك: المصدر السابق، ص 33.

2 - أدموندز: المصدر السابق، ص 55.

قرية كبيرة تابعة لقضاء شهربازار. وتقع ماوه ت بالقرب من الحدود الفارسية، وتتمتع بسهل واسع يستطيع بواسطته الأمراء البابانيون التوسع إلى الشرق في الأراضي الفارسية، مستغلين ضعف الولاة، ومد نفوذهم إلى نواحي شهرزور في الجنوب والغرب، داخل الأراضي العراقية، وماوه ت الآن ناحية كبيرة تابعة لقضاء شهربازار[1].

وبعد سنة واجدة فقط، أي سنة 1670م منح السلطان العثماني محمد الرابع (1648- 1687م) مقاطعة قلاجوالان إلى بابا سليمان، لتستقر الإمارة البابانية فيها مدة طويلة كعاصمة لأقوى إمارة كردية في شمال العراق[2]. أي في فترة بين 1670-1784م، لتنتقل بعدها إلى مدينة السليمانية.

ولكن ما هو السر في بقاء البابان لفترة طويلة في هذا الموقع؟ السبب في ذلك يعود لعدة عوامل، منها وقوع المدينة بين سلاسل جبال وعرة، وفي مكان محصن يحميها من غارات الأعداء، في الوقت الذي كانت فيه المنازعات ذات طابع عشائري، وهذا على الرغم من أنها لم تتخلص من هجمات الفرس المستمرة والتدخل في شؤونها، باعتبار أن فارس دولة كبيرة وليست عشيرة، وهي في كل الأحوال أقوى من العشائر والإمارات التي تحيط بها. كما أن وقوعها على نهر قلاجوالان، الذي هو أحد فروع نهر الزاب الأعلى، وعيون الماء الكائنة حولها، ساعد على نموها وعمرانها، إضافة إلى أن بُعد المدينة

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 54- 55.

2 - عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص112.

عن بغداد مركز العاصمة لولايات العراق، جعلها أطول عمراً، وذلك لأن البابانيين كانوا يستنجدون بالفرس كلما تعرضوا لمضايقات الولاة العثمانيين الذين يعدون الإمارة البابانية جزءاً من الإمبراطورية العثمانية أسوة بالبلاد العربية والممالك الأخرى[١].

إن بقاء قلاجوالان (قلعة جوالان) عاصمة للإمارة طوال هذه الفترة، قد شجع الأمراء والوجهاء والأغنياء، على تشييد القصور والدور والمساجد والمدارس، كما شيدت الكثير من الأبنية الحكومية[٢]. فأصبحت مدينة للعلم والعلماء، فالدارسون يقصدون اليها من نواحي كردستان طلباً للعلم والمعرفة[٣].

ورغم ما تمتعت به قلعة جوالان من مكانة في كردستان، فان التغييرات التي حصلت من تبدل الولاة في بغداد والأمراء في كردستان، شملت أيضاً مركز العاصمة البابانية. فبعد تولي سليمان باشا الكبير لولاية بغداد (1780-1802م) اتبع سياسة العثمانيين المعروفة بإيجاد الخصام بين أفراد الأسر الحاكمة في كردستان[٤]، فعلى الرغم مما قدمه محمود باشا بابان من عون للوالي ومجيئه إلى بغداد لتقديم التهاني له بمناسبة توليه منصبه الجديد، فأنه لم يجد منه أي ترحيب، بل الجفاء المتعمد وسبب هذا الجفاء، هو وجود إبراهيم بك ابن أحمد باشا بابان في بغداد وكان يحظى بتأييد الوالي وخزنداره علي بك، الذي

---

[1] – جمال بابان: السليمانية ونواحيها المختلفة، ص 14.

[2] – محمد القزلجي: المصدر السابق، ص 23.

[3] – محمد الخال: الشيخ معروف النوداهي، بغداد. 1961.

[4] – كاووس قفطان: ملاحظات حول الإمارة البابانية، ص 162.

توسط له لدى الوالي بتعيينه والياً على مقاطعة بابان التي كان طامعاً فيها[1].

ونتيجة لموقف الوالي من محمود باشا بابان، فان الأخير أظهر التمرد وعدم طاعة الأوامر التي تصدر اليه من بغداد، فوجد الوالي في أعماله هذه حجة لتغيير الحالة في كردستان، وسار على رأس جيش نحو البلاد البابانية، فهرب محمود باشا إلى بلاد فارس وأصدر الوالي أمراً بتعيين إبراهيم باشا أميراً لولاية البابان[2].

وعلى الرغم من هذه الأحداث، فقد تمكن البابانيون من إيجاد قاعدة قوية لمركز إمارتهم، فأصبح لها مكان يحسب له الحساب من الجيران المحيطين بها. فقد تمتع ذلك الموقع بأهمية جغرافية، كانت لها آثارها على الأوضاع على حدود الدولتين العثمانية والفارسية. فبعد تسلم إبراهيم باشا منصبه في الإمارة، شرع في تغيير موقع عاصمته. إذ أنه لما كان إبراهيم باشا قد قضى شطراً كبيراً من حياته في بغداد، واعتاد على حياة المدن، فقد صعب عليه العيش في قرية صغيرة مثل قلعة جوالان[3]، ولهذا قرر نقل عاصمة حكمه إلى موقع تتوفر فيه شروط أفضل للحياة[4].

---

1 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 299. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 174.

2 – ياسين العمري: غاية المرام، ص 211. أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 87.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 94.

4 – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج1، ص56.

السليمانية عاصمة الإمارة البابانية

إن لكل حدث مسبباته، فقد أدت الحملة العسكرية التي قام بها أحمد باشا والي بغداد عام 1747م على الأمير الباباني المتمرد سليم باشا، إلى وفاة أحمد باشا، فدخل العراق في الفترة الواقعة بين سنتي 1750 و 1831م طوراً جديداً من الحكم، حين تولى المماليك مقليد السلطة في بغداد[1]. وقد تميز حكمهم بالفوضى الإدارية وبحركات العشائر الكردية على حد سواء، وإستمرت تلك الحركات طوال فترة وجودهم بالسلطة. وأدى ذلك إلى إهمال مرافق الحياة العامة في معظم أنحاء العراق. وكان السلطان العثماني في استانبول لا يعير، بدوره، إهتماماً لمثل تلك الأمور، بقدر إهتمامه بجمع الأموال من ولاة الأقطار الخاضعة لسلطانه. لذلك أصيب العراق من جراء ذلك بكثير من النكبات. فجاء بناء مدينة السليمانية حدثاً هاماً خلال فترة تولي المماليك مقاليد الأمور في البلاد[2].

وبما أن هناك عوامل عديدة، إقتصادية أو إجتماعية أو عسكرية أو إدارية تلعب دوراً هاماً في نمو المدن وتطورها[3]، غير أنه يمكن اعتبار العامل الإداري هو السبب المباشر لبناء مدينة السليمانية، حين أقام محمود باشا بابان قصراً للإدارة والحكم

---

[1] - علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 26.

[2] - ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام، ج2، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، بغداد 1967، ص 102.

[3] - عبد الرزاق عباس: نشأة مدن العراق وتطورها، بغداد 1977، ص 49.

عام 1782م في قرية ملكندي[١]، فكان هذا القصر أول دار رسمية تشيد في المنطقة، وأصبح النواة لبناء مدينة السليمانية الحالية، حيث تميزت مدن العراق إبان حكم المماليك بازدياد أهمية القصور الرسمية التي غدت أهم مؤسسات الدولة على الإطلاق[٢].

ولقد حفزت إبراهيم باشا الذي تولى إمارة بابان عام 1783م، إضافة إلى ما قام به عمه[٣]، تلك الحركة العمرانية التي شهدتها الدولتان العثمانية والفارسية، والمتمثلة في بناء القرى والقلاع الحدودية[٤]. فأراد إتمام ما قام به محمود باشا، ليكون المركز الرئيسي للعاصمة البابانية مستقبلاً. كما أن موقع العاصمة قلعة جوالان وإنزوائها بين سلاسل جبلية وضيق مساحتها وقربها من الحدود الفارسية، جعلها معرضة بإستمرار للاعتداءات الفارسية، فأراد إبراهيم باشا الإبتعاد بها عن هجماتهم[٥].

وهناك تفسير نفسي حول إنشاء المدينة، وهو التشاؤم من قلعة جوالان التي اكتوت بنار الغارات المستمرة والمجاعات التي

---

1 – ملكندي اسم جاء من ملكاني، وهي أسرة كردية كانت تحكم في حصنكيفا ودخلوا الديانة المسيحية على مذهب ملكا أحد رؤساء المذاهب الدينية لنصارى الشرق وسمو ملكانية. ثم رجعوا إلى الديانة الإسلامية لكن الاسم لصق بهم. أنظر: أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 95.

2 – المنشيء البغدادي: رحلة المنشيء البغدادي، ترجمة عباس العزاوي، بغداد 1948، ويذكر أن السليمانية قاعدة حكومة الكرد وباشوات البابان هم حكام الكرد، ص 59. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 95. محمد الخال: المصدر السابق، ص 61.

3 – أدموندز: المصدر السابق، ص 255. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 95– 96.

4 – جمال بابان: السليمانية من نواحيها المختلفة، ص 16.

5 – جمال بابان: أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ج1، ص 205.

مرت عليها، والتفاؤل بالمدينة الجديدة والاعتقاد بـ (بالبركة حركة)[1].

ومما يجب الإشارة إليه أن إبراهيم باشا بن أحمد باشا، كان مولعاً برياضة الصيد، وبما أن قلعة جوالان لا تلائم ذلك الضرب من التسلية، لكونها في وادي صخري، فقد أراد إبراهيم باشا أن تكون عاصمته الجديدة واسعة لتسهل عليه مهمة الصيد، فضلاً عن رغبته في الشهرة مثل غيره من الزعماء[2].

وغني عن القول إن قيام قوى البلاد المحلية، إبان عهد المماليك، بتأسيس سلالات حاكمة في مدن مختلفة، أدى إلى تشكيل نوع من «حكومات المدن» تتمتع كل منها باستقلال شبه ذاتي في أغلب أمورها الخاصة، وقامت هذه الحكومات بنهضة عمرانية جديدة، ونشاط مدني متميز، بدت آثاره على مدن العراق وقراه منذ أوائل القرن الثامن عشر ميلادي[3].

فبعد إستقرار إبراهيم باشا بابان في حكم الإمارة البابانية، شرع في بناء عدد من الدور السكنية وجامع وحمام وسوق في السليمانية، ثم تبعه الأهالي في البناء[4]، ولم يكد ينتهي عام 1784م حتى اكتمل بناء تلك المدينة، فنقل اليها إبراهيم باشا مركز إمارته من قلعة جوالان[5]، وتحول معه الأغنياء والتجار

---

1 – جمال بابان: السليمانية من نواحيها المختلفة، ص 15.

2 – ريج: المصدر السابق، ص 83.

3 – عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان عهد المماليك، ص 35.

4 – عبد الرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية، بغداد 1930، ص 173.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 95.

والعلماء ورجال الدين[1]، ثم وسع السليمانية، وجعلها تضاهي بغداد، في بعض نواحيها، التي سكنها مدة طويلة. ولكنها لم ترق في أعين بعض الأكراد الذين يعيشون عيشة البداوة آنذاك[2]. ولهذا أخذ إبراهيم باشا بابان يفقد مودتهم ومناصرتهم[3] لتفضيله سكنى المدن[4].

وقد أعتبر بناء مدينة السليمانية من أهم الأحداث في عهد الوالي سليمان باشا الكبير (1780- 1802م)، وذلك لأن حالة العراق إبان عهد المماليك لم تتحسن كثيراً، بل أن النكبات والكوارث كانت تنهال على مدنه وسكانه، واقتصرت أعمال باشوات بغداد في هذه الحقبة على ترميم المساجد والجوامع والبنايات الأخرى[5].

وبعد إنتقال إبراهيم باشا بابان إلى عاصمته الجديدة، كتب إلى والي بغداد سليمان باشا الكبير يخبره بانجازه هذا وأنه سمى المدينة الجديدة، باسم السليمانية، تيمناً باسمه، حيث كان الوالي أكبر عون لإبراهيم باشا في توليه منصب الإمارة[6]. وقد عزز الأخير إدارة إمارته، فأضاف إليها أراضي واسعة كانت تابعة لمناطق زهاو، وقصر شيرين، في بلاد فارس وخانقين في العراق[7].

---

1 - عبد الرزاق الحسني: العراق قديماً وحديثاً، صيدا 1948، ص 201.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230.

3 - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 86.

4 - لونكريك: المصدر السابق، ص 196.

5 - عبد الرزاق عباس: المصدر السابق، ص 52.

6 - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 86.

7 - لونكريك: المصدر السابق، ص 196. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 84.

واختلف المؤرخون في أصل تسمية السليمانية، فهناك من يرى أن إبراهيم باشا بابان قد سمى المدينة باسم والي بغداد سليمان باشا الكبير[1]. وفريق آخر يرى أنه سماها باسم ابنه سليمان بك[2]، وفريق ثالث يعتقد أن إبراهيم باشا قد سمى المدينة باسم جده الأكبر سليمان باشا بابان[3]. وفريق رابع يقول أن محمود باشا بابان بن خالد بابان قد بنى قصر الحكم عام 1782م، في قرية ملكندي، بأمر من سليمان باشا الجليلي الذي حكم الموصل أربعة فترات متقطعة بين سنتي (1771- 1789م)، وأن إبراهيم باشا الذي أكمل بناء مدينة السليمانية، قد سماها باسم سليمان باشا الجليلي[4]. وفريق خامس يرى أن محمود باشا بابان الذي كان متولياً الإمارة بين سنتي 1778 و 1783م بصورة متقطعة، بينما كان الشاه فتح علي شاه يحكم بلاد فارس (1797- 1836م)، وأن الشاه قد رزق بولد أسماه سليمان، فسمى محمود باشا القلعة التي بناها باسم ابن الشاه

---

[1] – ريج: المصدر السابق، ص 86. أدموندز: المصدر السابق، ص 56. أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230. المنشئ البغدادي: المصدر السابق، ص 60. لونكريك: المصدر السابق، ص 196. اداموف: العراق العربي، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها. بطرسبورج، ص 95. محمد الخال: المصدر السابق، ص 61. عبد الرزاق الحسني: المصدرين السابقين، ص 173، ص 201.

[2] – محمد ثريا: سجل عثماني أو تذكرة مشاهير العثمانيين، ج1، أستانبول 1308 هـ، ص 140.

[3] – عبد المجيد فهمي: تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ج1، ص 27.

[4] – ياسين العمري: غاية المرام ص 212، لكن هذه الرواية ضعيفة ولم يؤيدها مصدر آخر.

المذكور[1]. وهناك فريق سادس يؤكد أن سليمان باشا بابان ابن خالد بابان ابن تيمور بابان، هو الذي وضع أسس مدينة السليمانية، وسماها باسمه[2].

ويرى الباحث أن رأي الفريق الخامس الذي ينسب اسم السليمانية إلى سليمان ابن الشاه فتح علي شاه، إنما تحتاج إلى تأمل. فمن المعروف أن الأمراء البابانيين كانوا ينحازون إلى جانب الحكومة الفارسية التي كانت السند الدائم الذي يعتمد عليه معظم أمراء البابان الطامعين في منصب ولاية السليمانية. فمن المحتمل أن يكون محمود باشا قد سمى تلك القلعة، باسم ابن الشاه، تحبباً أو تقرباً من الشاه الفارسي، ولو أن المرجح هو رأي الفريق الأول، الذي ينسب اسم السليمانية إلى والي بغداد سليمان باشا الكبير. ولا حاجة للقول بإن إبراهيم باشا بابان تولى منصب الإمارة البابانية بمساعدة الوالي سليمان باشا الكبير، حيث كان الأمير الباباني يقيم في بغداد تحت رعاية الوالي، وربما اعتقد أنه بتسميته السليمانية باسم سليمان باشا الكبير، قد يحظى بتأييده، ويتمكن بذلك من الاحتفاظ بالإمارة البابانية لأطول فترة ممكنة، حيث جرت العادة على عدم تمكين الأمير الباباني من الإستمرار طويلاً في منصبه كحاكم، وهي سياسة اتبعها ولاة بغداد مع الأمراء الأكراد عامة، والبابانيين خاصة.

ومهما اختلفت آراء المؤرخين حول أصل تسمية السليمانية،

---

1 - Fowler G: Three years in Persia with Traveling Adventures in Koordistan, Vol. 1, London 1841, pp 103-104.

2 – أمين سعيد: أيام بغداد، مصر 1934، ص 219.

فأن اختيار الموقع الذي يراد تشييد المدن والقلاع عليه، لابد من دراسته من جميع نواحيه. ونظراً لأن الفترة التي بدأ فيها البابانيون التفكير في تغيير موقع عاصمتهم قلعة جوالان، هي فترة صراع القوتين الكبيرتين العثمانية والفارسية، فيجب في مثل هذه الظروف، أن يكون الاختيار مبنياً على أسس عسكرية وسياسية وإقتصادية، لتتمكن العاصمة بذلك من مقاومة الأحداث التي قد تقع عليها من جراء ذلك الصراع. ولأن الأكراد هم أكثر من غيرهم خبرة بطبيعة مناطقهم الجبلية، لذلك فقد وقع اختيارهم على منطقة السليمانية دون غيرها. وعلى الرغم من وجود مناطق أخرى كثيرة في كردستان الجنوبية يمكن أن تصلح كعاصمة لإمارة قوية متنامية.

ويعود اختيار البابانيين لمنطقة السليمانية، إلى كون الموقع معروفاً بالنسبة لهم[١]، وفيها سهول كبيرة وتتمتع بمجال للتوسع من جميع الجهات[٢]، ويشهد بذلك التوسع العمراني الحالي للمدينة[٣] ولما كانت الجبال تحيط بتلك السهول، وهي تحدها من الشمال والشرق، وتشكل بذلك سداً منيعاً ضد الأعداء، وخاصة الفرس، الذين كانوا يتدخلون في شؤون الإمارة بإستمرار، فقد كانت من العوامل التي لعبت دوراً كبيراً في اختيارها.. وفي الجنوب يقع مضيق دربندخان[٤]. وكثرة الينابيع والعيون المتوفرة في المنطقة كانت أيضاً من العوامل المساعدة على اختيارها

---

1 – جمال بابان: السليمانية ونواحيها، ص 15.

2 – المنشئ البغدادي: المصدر السابق، ص 60.

3 – عبد المجيد فهمي: المصدر السابق، ج1، ص3.

4 – جمال بابان: السليمانية من نواحيها المختلفة، ص 15– 16.

لإنشاء مدينة السليمانية بجوارها وعلاوة على تلك المصادر المائية، فهناك الأنهار الجارية مثل نهر بكرجو ونهر تانجرو[١].

ويتميز سهل السليمانية بموقع جغرافي هام على الطريق العام للمواصلات، والقوافل التجارية القادمة من استانبول- الموصل- كركوك، ومن ثم بغداد – كركوك - السليمانية، ومن هناك إلى الإمارات الكردية وبلاد فارس، أو بالعكس. فهذا الموقع الجغرافي عامل مهم في الاختيار، وقد ادى إلى ازدهار المدينة الإقتصادي[٢].

زد على هذا أن موقع المدينة قد جعلها من أكبر مدن كردستان الجنوبية[٣]، وسلسلة الجبال التي تحيط بمدينة السليمانية متصل بعضها ببعض[٤] وسفوحها الشرقية شديدة الإنحدار نحو المدينة والتلال المجاورة لها جرداء نوعاً ما، وشديدة الميل أيضاً [٥]. ومناخ السليمانية معتدل، خاصة في فصل الصيف، حيث تتميز بانخفاض درجات الحرارة طوال النهار، عدا فترة قصيرة منه تكون فيه درجة الحرارة مرتفعة قليلاً. وقد ساعدت الجبال والمرتفعات المحيطة بها على تنقية الرياح الهابة عليها[٦]. ومن خلال السهل المنحدر بين هذه

---

[1] – عبد الرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية، ص 173. ريج: المصدر السابق، ص 102.

[2] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 45.

[3] - Dickson B.: Journey to Kurdestan, London 1910, p 376.

[4] – عبد الرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية، ص 173.

[5] – ريج: المصدر السابق، ص 102.

[6] – ريج: المصدر السابق، ص 102.

المرتفعات، هناك مصدر الماء الذي يجري فيها[1]. أما الشتاء، فتشتد فيه البرودة وتنخفض درجات الحرارة إلى الصفر، وتكسو الثلوج قمم الجبال المحيطة بجميع أطرافها[2].

وقد ضمت لمدينة السليمانية، بعد بنائها، من جانب إبراهيم باشا ابن أحمد باشا بابان، أراضي واسعة[3]. وسكن هذه المدينة، إضافة إلى الأكراد، وهم الغالبية، سكنها العرب والأتراك. واللغة الكردية هي السائدة، وبجانبها اللغة الفارسية[4]، كما سكنها اليهود والنصارى والسريان[5].

ولقد وصف مدينة السليمانية الكثير من الرحالين الأجانب الذين زاروها بعد اتمام بنائها بفترات زمنية مختلفة. وكان الرحالة الأرمني سيروفين كارنيتسين الإنكليزي الجنسية، قد مر بها عام 1812م، وذكر أن عدد سكانها يبلغ أربعة آلاف نسمة، أغلبهم من الأكراد، فيما عدا عائلات من النساطرة (خمسة عشرة عائلة) والأرمن (إثنا عشر عائلة) واليهود (ثمان عائلات)، وحسب وصفه للمدينة، كانت بيوتها مبنية من الطين ومسقفة بجذوع الأشجار، وعلى عكس المدن الشرقية، لم تكن مسورة[6]، وكانت خالية من الحصون أو المعاقل، حيث أن موقعها

---

1 - The Royal Anthropological Institute: Kurdistan and the Kurds, London 1908, p. 18.

2 - عبد الرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية، ص 173.

3 - Barth F.: Op. Cit. p. 12.

4 - The Royal Anthropological: Op. Cit. P. 12.

5 - الميجرسون: المصدر السابق، ج1، 236.

6 - جليلي جليل: المصدر السابقن ص 53- 54.

جعلها محاطة بالحصون والمعاقل الطبيعية[1]. وعلل ازدهارها الإقتصادي وزيادة عدد سكانها، بموقعها الجغرافي الذي أدى إلى هجرة أعداد من سكان القرى المحيطة بها إلى داخلها[2].

وأما المستر ريج الذي زار المدينة عام 1820م، فقد كتب قائلاً: «إن في المدينة 2000 (ألفي) داراً للمسلمين، و130 (مائة وثلاثون) داراً لليهود و9 (تسعة) دور للمسيحيين، الذين كانت لهم كنيسة صغيرة، و5 (خمسة) دور للأرمن، وهؤلاء لا قسس ولا كنيسة لهم. وتحوي المدينة على خمسة حمامات، منها فقط واحد جيد، وخمسة جوامع. وكانت المساكن من طين غير محروق، ونادراً ما تزيد عن طابق واحد، والمدينة غير نظيفة، والسبب في ذلك هو عدم إستقرار الأوضاع فيها وعدم مكوث الأمير الباباني في سلطته طويلاً»[3].

ووصف المنشئ البغدادي المدينة بقوله: «فيها ستة آلاف بيت كلهم كرد شافعية، وفيهم ثلاثمائة بيت لليهود وخمسون بيتاً للنصارى الكلدان. وهناك قاعدة حكومة باشوات بابان»[4].

وكتب مستر هارت Huart عن مدينة السليمانية، فقال: «كانت السليمانية بعد الإنتهاء من إنشائها بستة وثلاثين عاماً تقدر نفوسها بعشرة آلاف نسمة، وعدد بيوتها 2144 (ألفان ومائة وأربعة وأربعون) بيتاً، منها 130 (مائة وثلاثون) بيتاً

---

1 - The Royal Anthropological: Op. Cit. p. 12.

2 – جليلي جليل: نفس المصدر، ص 54.

3 – ريج: المصدر السابق، ص 83، 147.

4 – المنشئ البغدادي: المصدر السابق، ص 59.

لليهود، و 9 (تسعة) بيوت للكلدان، و 5 (خمسة) بيوت للأرمن، كما كان فيها خمسة مساجد»[١]. غير أن ما كتبه الميجرسون عام 1820م عن المدينة لا يمكن قبوله، حيث يذكر أن عدد البيوت 1000 (ألف) بيت، يسكن النصارى واليهود والتركمان حوالي 800 (ثمان مائة) بيت منها[٢]. فليس من المعقول أن يتناقص سكان المدينة من الأكراد إلى هذا الحد.

وكان الطبيب الأرمني، باروناك بيك فيروخان، يخدم لدى الدولة العثمانية عام 1847م، فكتب عن المدينة قائلاً: «تحولت مدينة السليمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي إلى واحدة من أبرز المدن الكردية، ففيها حوالي 2500 (الفان وخمسمائة) من البيوت فيها 15000 (خمسة عشر ألف) نسمة، 14500 (أربع عشر الفاً وخمسمائة) منهم من الأكراد، وأن المركز التجاري كان يبدوا نشيطاً للغاية، وكذلك بنيت في المدينة حاميتان (معسكران) كان يوجد في واحدة منهما 3000 (ثلاثة آلاف) من الأكراد المشاة المسلحين، وفي الثانية كان يوجد 1000 (ألف) من الأكراد المشاة المسلحين أيضاً. وكانت الحاميتان تقعان حول دار الأمير[٣]. وكان رجال الأمير يقومون بحراستها، وكل دار من دور المدينة، تقريباً، كانت محاطة بحديقة تعزل الدار الواحدة عن الأخرى. ونتيجة لذلك، فأن المدينة تبدو كبيرة إلى حد واضح. ومع أن مياه المدينة جوفية، إلا

---

[1] – نقلاً عن أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 97.

[2] – الميجرسون: المصدر السابق، ج1، ص 236- 237.

[3] – يقصد به دار الإمارة أو مقر الباشا الرسمي.

أنها طيبة وباردة ووافرة جداً أينما تحفر تعثر عليها»[١]. وقد بنيت مدينة السليمانية على الطراز الفارسي[٢]. وذلك لتأثر معظم الأكراد البابانيين بفن البناء الفارسي[٣].

ومع ذلك، فان مدينة تغنى بأمجادها الكثير من الشعراء والأكراد ووصفوا أحوالها المختلفة[٤]، لم تنعم بالهدوء والإستقرار السياسي والعسكري والإقتصادي، إلا لفترات قصيرة، حيث أصبحت هي والمناطق الأخرى من كردستان الجنوبية ساحة معارك بين العثمانيين والجيوش الفارسية تارة، وللمنافسة العائلية تارة أخرى، فأدى ذلك، بطبيعة الحال، إلى إلحاق الدمار بالمدينة، فكلا الجيشين المنتصر والمنهزم اعتاد ممارسة أساليبه ضد سكان المدينة[٥].

وعلى أي حال، ومهما اختلفت الآراء حول وصف مدينة السليمانية، من حيث عدد بيوتها أو سكانها، فإن إبراهيم باشا بابان الذي تولى الإمارة البابانية عام 1783م، قد خلد ببنائه هذه المدينة [٦] تذكاراً للأمة الكردية عامة، والبابان بصورة خاصة، ومما بذله من الجهود في سبيل تقدم المدينة من الوجهة العمرانية[٧]. فقد بنى له قصراً فخماً إتخذ من سفح التل موقعاً

---

[1] – نقلاً عن جليلي جليل: المصدر السابق، ص45.

[2] - Dickson B.: Op. Cit. p. 376.

[3] - Bois Th.: The Kurds, Beirut 1966, p.

[4] – ديوان الشيخ رضا الطالباني: بغداد 1946، ص 34- 35.

[5] - Kheshbak Sh.: The trend of population of Sulaimania Liwa, Baghdad 1959, pp. 4-5.

[6] – أمين سعيد : المصدر السابق، ص 219.

[7] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 96- 97.

لبنائه[١]. كما أن الأمير البابانى الكبير عبد الرحمن باشا، هو الآخر قد شيد قصراً كبيراً فيها[٢].

وما كاد إبراهيم باشا يتذوق طعم الحكم والسلطة في عاصمة ملكه الجديدة (السليمانية)، إلا واستدعاه الوالي سليمان باشا الكبير عام 1785م، بسبب قيام حركة التمرد والعصيان التي قام بها الحاج سليمان بك الشاوي[٣] على حكومة المماليك في بغداد وتشكيلها خطراً يهدد سلامتها[٤]. فجاء إبراهيم باشا بابان بما لديه من القوات الكردية لمعونة الحكومة المملوكية ونجدتها[٥]. وقد فوض الوالي أمر جيش بغداد الذي كان يقوده المهردار أحمد آغا إليه. فلما وصل الأمير البابانى إلى تجمعات الشاوي، لم يصمدوا أمامه، فهربوا باتجاه نهر الخابور، بعد أن سلبت أثقالهم. ثم عاد إلى بغداد ومنه إلى السليمانية دون أن ينال من الوالي مكافأة أو إنعام[٦].

---

1 – أدموندز: المصدر السابق، ج1، ص 236.

2 – جليلي جليل: المصدر السابق ص 35.

3 – أسرة الشاوي من الأسر العريقة في بغداد. وكان سليمان بك هو عميد الأسرة، ومن الشخصيات القوية في بغداد. وقد قدمت هذه الأسرة الكثير من الخدمات للعثمانيين، وكان للشيخ سليمان بك كلمة نافذة بين قومه، وسمعة طيبة بين العشائر العراقية الأخرى. وكان سليمان باشا الكبير قد قرب سليمان بك الشاوي منه، وكان يستشيره في بعض الأمور العامة، مما أثار عداء مهردار الوالي أحمد آغا ضده، وسبّب حدوث تلك الفتنة ضد سليمان باشا الكبير. أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 59– 60.

4 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 230.

5 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 182.

6 – رسول الكركوكلي: المصدر اسابق، ص 182. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 97. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 100.

البابان والقضاء على ثورة الشاوي

عاد الهدوء والإستقرارإلى بغداد، بعد القضاء على حركة التمرد التي قام بها سليمان بك الشاوي. وكذلك عادت القوات الكردية إلى السليمانية يقودها إبراهيم باشا بابان. لكن ما أن حلت سنة 1786م، إلا وعاد سليمان بك الشاوي إلى ما كان عليه من قوة ومن جمع الأتباع والأعوان حوله. فقد بدأ بجمع الفلول التي هربت وانتشرت في منطقة الخابور التي فر إليها سابقاً، ونزل بها بالقرب من بغداد، وتمكن من دحر قوة أرسلها لصده الوالي سليمان باشا الكبير[1]. فأخذ سليمان بك الشاوي يضيق الحصار على بغداد[2].

ولما وصل الحال إلى ذلك الحد من الخطورة، اضطر الوالي إلى استدعاء باشا البابان الحاكم إبراهيم باشا، ومتصرف درنة وباجلان عبد الفتاح باشا، وما لديهما من القوات الكردية للقضاء على هذه الحركة الجديدة[3].

ولما كان إبراهيم باشا قد قام بواجبه في المرة السابقة على أكمل وجه، ولم ينل من الوالي شيئاً من الإكرام، فقد أبطأ، هذه المرة، في عملية جمع العساكر والتوجه بها نحو بغداد لمساعدة سليمان باشا الكبير[4]، بحجة وعورة الطريق وصعوبة جمع

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 184. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 97.

2 - ياسين العمري: غاية المرام ص 213.

3 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص 232. رسول كركوكلي: المصدر السابق، ص 186.

4 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 97.

القوات وإعدادها للسفر بالسرعة المطلوبة، مما سبب غضب الوالي عليه. ولما كان عثمان باشا أقرب إلى بغداد من إبراهيم باشا، فقد قدم إليها قبله، ومن ثم أمر الوالي سليمان باشا الكبير بعزل إبراهيم باشا من منصب ولاية البابان وعين عثمان باشا ابن محمود باشا بدلاً عنه، كما عزل عبد الفتاح باشا، وأصدر أمراً بتنصيب عبد القادر باشا على متصرفية درنة وباجلان[١]. وطلب الوالي من عثمان باشا أن يمكث في بغداد وأرسل شقيقه عبد الرحمن بك (عبد الرحمن باشا بابان) إلى كردستان الجنوبية لجمع ما بقى من القوات الكردية والمجئ بها إلى بغداد، فبذل عبد الرحمن بك جهداً عظيماً بهذا الشأن، وتمكن من جمع تلك القوات والعودة بها بأقصى سرعة إلى بغداد[٢].

وكان الوالي سليمان باشا الكبير قد جهز قوة كبيرة بقيادة الكتخذا أحمد آغا، تمكنت من فك الحصار عن بغداد الذي ضربته قوات الشاوي، فأضطر الأخير إلى الفرار مع قواته إلى المنتفق[٣] جنوبي العراق لاجئاً لدى الشيخ تويني شيخ عشائر

---

[1] – أمين حسن الحلواني المدني: خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق 1188–1242هـ وهو مختصر كتاب مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، القاهرة 1371هـ، ص 42–43. أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، 232. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 186.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 187.

[3] – أصل الكلمة متفق حرفت إلى منتفق ثم إلى منتفك. ويقول عباس العزاوي أن المنتفق اسم جد العشائر. ومن المعروف أن صراعاً كان يدور في أقصى جنوب العراق بين ثلاث عشائر كبيرة هي بنو مالك وبنو سعيج وبنو الأجود، فوجدت بعد ذلك أنه من الأفضل تسوية خلافاتها. وكانت تعيش بينها أسرة آل شبيب. فاتفقت تلك العشائر على أن توجد الرئاسة العشائرية في آل شبيب. وكان من

المنتفق، فرحب به وأكرمه وتعهد بمساعدته. ثم اتفقا على مراسلة شيخ عشائر الخزعل[١] الشيخ حمد الحمود، لإطلاعه على ما عزما على القيام به، ومطالبته بالانضمام اليهما. ونتيجة لكره العشائر العربية للسلطة المركزية، فقد وافق شيخ الخزعل على طلبهما، فانضمت عشائر الخزعل إلى عشائر الشاوي والمنتفق، فكوّن الجميع قوة كبيرة هجمت على مدينة البصرة واحتلها وأسرت متسلمها إبراهيم أفندي[٢].

ولقد كان لهذا الإتحاد في جنوبي العراق بين العشائر العربية، أثره السئ في نفس الوالي[٣]، لذلك فقد سار بما تجمعت لديه من قوات عربية وكردية إلى البصرة، حيث اصطدم بتلك الجموع العشائرية وتمكن من تفريق شملها، وأعيدت البصرة إلى باشا بغداد، بعد أن فقدتها فترة من الزمن[٤].

وبعد إنتصار الوالي سليمان باشا الكبير على جموع العشائر المتحالفة وهي المنتفق والشاوي والخزعل، أصدر أمراً بتعيين

المعتاد أن تسند إلى الشرفاء أمور الصلحى وإصلاح ذات البين. وهكذا اتفقت وأطلق على نفسها أسم المنتفق. أنظر: عباس العزاوي: عشائر العراق، ج4، ص 4– 16. عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 93– 94.

1 – عشيرة من بني لام من عشائر طي تسكن جنوبي العراق في منطقة المثنى، وهي من العشائر العبرية القديمة.

2 – رسول الكركولي: المصدر السابق، ص 185– 187. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 101.

3 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص62.

4 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج3، ص232. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 186.

حمود الثامر بدلاً من الشيخ ثويني، ومحسن الحمد على عشائر الخزعل بدلاً من حمد الحمود. كما أصدر أمراً آخر بتعيين مصطفى آغا الكردي متسلماً على البصرة [١]، إكراماً وتقديراً للأكراد على ما بذلوه من جهود في القضاء على حركة التمرد هذه. ثم عاد الوالي إلى بغداد ومعه الأمراء البابانيون عثمان باشا، وشقيقه عبد الرحمن باشا، وإبراهيم باشا بابان. ولم يلبث أن عاد عثمان باشا وشقيقه إلى السليمانية، وأقام إبراهيم باشا في بغداد بناء على طلب الوالي[٢]، وكان مصطفى آغا الكردي الذي تسلم منصبه سنة 1787م، قد قام في السنة التالية بأخطر حركة في عهد الوالي سليمان باشا الكبير[٣].

حركة مصطفى آغا الكردي، متسلم البصره

أشرنا سابقاً إلى حالة العراق في ظل حكم المماليك والتي تميزت بعدم الإستقرار، وأسباب ذلك متعددة، أهمها الطمع في مناصب الدولة العليا، والعداء الشخصي بين ولاة بغداد من المماليك[٤]. ولذلك، فلم تمض سنه واحدة على القضاء على أخطر تجمع وتعاون عربي عشائري في جنوبي العراق، حتى اكتشفت حركة أخرى أكثر خطورة من سابقتها عام 1788م[٥]،

[1] – مجهول: حوادث البصرة من تاريخ بنائها إلى حوادث سنة 1243هـ، مخطوط في المتحف العراقي رقم 9673، ص 100.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 99.

[3] – الشيخ عثمان بشير النجدي: المصدر السابق، ص 75.

[4] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 188. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 193.

[5] – لونكريك: المصدر السابق، ص 193.

وهي حركة قام بها متسلم البصرة المعين حديثاً من قبل الوالي سليمان باشا الكبير[1]، وتمثلت بوادرها في امتناع المتسلم عن إرسال الخراج إلى بغداد[2].

وكان مصطفى آغا الكردي متسلم البصرة قد بدأ حركته تلك، بالإتصال بعثمان باشا بن محمود باشا أمير البابان وإطلاعه على ما ينوي القيام به[3]. ثم كاتب المتسلم شيخ المنتفق ثويني وضمه إلى حلفه، وطالب والي بغداد سليمان باشا الكبير بالموافقة على تعيين الشيخ الثويني، بدلاً من حمود الثامر شيخاً على المنتفق، ثم قام مصطفى آغا من جانبه بالإتصال بمعسكر اللاوند[4]، وكانو يقيمون بالبصرة بعد القضاء على حركة العشائر السالفة الذكر، فاستمالهم إليه مستغلاً الدافع العنصري لكونهم أكراد من جنسه. ثم راسل كبير اللاوند المقيم

---

1 – أداموف: المصدر السابق، ص 388.

2 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 44. علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ البصرة، بغداد 1927، ص 148.

3 – مجهول: المصدر السابق، ص 100. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 188.

4 – اللاوند: جند شبه نظامي يجند محلياً، وهو في العراق مكون في الغالب من الأكراد. ويقال لرئيسهم (شهلوند) وكلمة لاوند محرفة من أسم اللفانتينو (Levantino) أي المشارقة التي أطلقها البنادقة على البحارة الذين جندوا لحماية الموانئ والجزر التي حصلوا عليها بعد الحروب الصليبية. وكان العثمانيون قد استخدموا في اسطولهم البحري في بداية تكوينه هؤلاء اللاوند، الذين كانوا في غالبيتهم من أصل يوناني أو الباني. وقد عرف بعد ذلك كل من عمل في سلك الأسطول بهذا الأسم وفي بداية القرن السابع عشر الميلادي استبدل العثمانيون هؤلاء اللاوند بالمسلمين. أنظر: هاملتون جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد بالرحيم مصطفى، مصر 1971. ص 142– 144.

في زنكآباد، وضمه اليه[1]. كما تمكن بالهدايا والرشوة من استمالة بعض الضباط الذين مكثوا في البصرة بعد القضاء على حركة العشائر العربية[2]. وأخيراً اتفق مصطفى آغا وعثمان باشا بابان على مراسلة سليمان بك الشاوي، وإطلاعه على ما ينويان القيام به ضد والي بغداد سليمان باشا الكبير ويطلبان منه الإنضمام اليهما[3].

وعلى كل حال، فقد كان والي بغداد يعلم بما يدبره المتسلم الكردي مصطفى آغا، فأراد أن يقضي على حركته بلا حرب، وذلك بالاستجابة لطلباته والتسوية معه. فأصدر أمراً بتعيين الشيخ ثويني لمشيخة المنتفق كما أراد المتسلم، لكون حمود الثامر غير مؤهل لإدارة المشيخة، حسب إدعاء المتسلم، وأرسل الوالي إلى الشيخ ثويني خلعة الإمارة ولم يكن سليمان باشا الكبير يعلم، في هذه الفترة، بمشاركة عثمان باشا بابان وسليمان بك الشاوي في الحركة التي يعتزم القيام بها متسلم البصرة الكردي، إلى أن وقعت أوراق ذلك الإتفاق في يد الوالي[4].

وكان سليمان بك الشاوي، الذي فشل في حركته السابقة بعد أن تمكن الوالي من القضاء على تحالفه مع بقية العشائر،

---

1 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 44. لونكريك: المصدر السابق، ص 193.

2 – لونكريك: المصدر السابق، ص 193.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 99.

4 – أمين حسن المدني: المصد السابق، ص 44– 45. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 189. لونكريك: المصدر السابق، ص 193. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 104.

قد طلب العفو والصفح لما بدر منه، ووعد بألا يعود إلى مثل تلك الأعمال مستقبلاً، فأجيب لما طلب[١]. ووجد الشاوي أن خير وسيلة يتقرب بها إلى الوالي، هو إطلاعه على مكاتبات عثمان باشا بابان ومصطفى آغا معه، وما تم بين الرجلين من إتفاق مسبق، وطلب من الوالي أن يبعث أحد معتمديه ليطلعه على كتاب استلمه من عثمان باشا بابان، يتضمن الدعوة للمشاركة في حركتهما. فأرسل الوالي سليمان آغا معتمد أحمد آغا الكتخدا، فرجع سليمان آغا من سليمان بك الشاوي بالكتاب إلى سليمان باشا الكبير. وكان الأخير قد قرر السفر للقضاء على هذه الحركة الجديدة والخطيرة، إلا أنه أرجأ ذلك، وشرع في إتخاذ إجراءات أكثر حكمة[٢].

وكان أول عمل قام به الوالي، هو أن أرسل إلى عثمان باشا بابان يستدعيه للحضور إلى بغداد، على أساس أن هناك أمور مهمة يجب بحثها. ولما حضر عثمان باشا بابان، استقبله والي بغداد استقبالاً طيباً وأكرمه[٣]، وطلب منه أن يعود إلى بغداد بعد حين من الوقت، فوافق على ذلك، وعاد إلى السليمانية[١].

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 188.

2 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 45- 46. عباس عزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 104. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 99.

3 – قيل أن الوالي عقد له على أخت الكتخدا عبد الله بك، فوافق عثمان على ذلك واتفقا على أن يكون الزواج في ربيع عام 1788م، أي في موعد حملة والي بغداد ضد مصطفى آغا، أنظر: أمين حسن المدني، المصدر السابق، ص 46. أما لونكريك فيقول: «إنه تم الاتفاق على زواج ابنة عثمان من أحمد آغا شقيق كتخدا الوالي». لونكريك: المصدر السابق ص 193. أما رسول كركوكلي فيقول:

وكان بإمكان الوالي سليمان باشا الكبير قتل عثمان باشا بابان، إلا أن اضطراب الأحوال العامة في العراق لم تساعد على تحقيق هدفه، فأرجأ ما انتوى عليه إلى الوقت المناسب(٢). ولم يكن الأمير الباباني يدري ما يخبئ له القدر من أمر، فعاد مع أقاربه وقواته العسكرية إلى بغداد وفاء للعهد. وبهذا نجح الوالي في قطع جزء هام من خيوط الحركة المدبرة ضده(٣). ومن جهة أخرى، فقد أمر الوالي بنقل رئيس الجنود التي بقيت في البصرة بعد القضاء على حركة العشائر العربية، وهو إسماعيل آغا تكه لي، إلى بغداد، وجعل مقره زنكآباد في شمال العراق، وذلك ليقطع أي إتصال بينه وبين متسلم البصرة(٤). وفي نفس الوقت أرسل محمد بك الشاوي إلى البصرة في مهمة إستطلاعية لمعرفة نوايا المتسلم الكردي، والاتصال سراً بقائد الأسطول مصطفى آغا الحجازي والإيعاز إليه بإتخاذ ما يلزم من تدابير للقضاء على مصطفى آغا الكردي متسلم البصرة(٥).

والواقع أن الأخير كان حذراً من زيارة محمد بك الشاوي للبصرة، ويعلم ما يخبئ له من سوء (٦). لذا، فقد أسرع بقتل قائد الأسطول مصطفى الحجازي، ليتخلص مما قد يتفقان

«على أن يكون زواج أخت عثمان من عبدالله بك كتخدا الوالي». رسول كركوكلي: المصدر السابق، ص 189.

1 – مجهول: المصدر السابق، ص 100. أمين حسن مدني: المصدر السابق، ص 46.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 99.

3 – لونكريك: المصدر السابق، ص 193.

4 – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 104.

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 48.

6 – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 48.

عليه سراً ضده[١]. فلما علم الوالي بذلك[٢]، قرر تجهيز حملة عسكرية كبيرة ضد المتسلم. وفي ربيع عام 1788م تحرك الوالي على رأس الحملة، مصطحباً معه عثمان باشا بابان وقواته الكردية[٣]، وكان المتسلم قد استعد هو الآخر لما علم بتحرك قوات الوالي، فجمع أتباعه وأشياعه لمواجهته[٤]. ولما وصل الوالي إلى مكان يقال له العرجة بالقرب من البصرة [٥]، ورأى مصطفى آغا الكردي، عثمان باشا بابان وقواته الكردية مع قوات الوالي القادمة لمقاومته، ضعفت عزيمته وعزيمة أشياعه، فلم يقوَ على المقاومة، وفر إلى الكويت بحراً، بينما هرب الشيخ ثويني إلى الصحراء. ودخل بذلك سليمان باشا الكبير مدينة البصرة بلا مقاومة وأرجع الأمور إلى سابق عهدها، فأعاد الشيخ حمد الثامر لمشيخة المنتفق، وعين متسلماً جديداً على البصرة، هو الأمير المملوكي عيسى المارديني، ثم عاد الوالي إلى بغداد بعد أن اطمئن على إستقرار الحالة في البصرة [٦]. ومما يجدر ذكره أن لونكريك يرى أن هذه الحملة لم تكن محققة؛ إذ

---

[1] – ابن الغملاس: ولاة البصرة ومتسلموها من تأسيسها إلى نهاية الحكم العثماني، بغداد 1962، ص 70.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 70.

[3] – أحمد جودت: امصدر السابق، ص 190. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 190. مجهول: المصدر السابق، ج4، ص 100.

[4] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج4، ص 85. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 190.

[5] – مجهول: المصدر السابق، ص 100. أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 46.

[6] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج4، ص 85. مجهول: المصدر السابق، ص 190. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 101.

أنها لم تقض على المتمردين، رغم أنها شتتت شملهم وجعلتهم يفرون ناجين بأنفسهم[١].

وقد توجه مصطفى آغا الكردي، من الكويت إلى ولاية أورفة واتصل بواليها إبراهيم باشا، وأطلعه على ما قام به من عمل ضد سليمان باشا الكبير والي بغداد. فقام إبراهيم باشا بالتوسط له لدى والي بغداد ليعفو ويصفح عنه، فكتب والي أورفة إلى والي بغداد يطلب منه العفو عن مصطفى الكردي، فأجيب إلى طلبه. وقد قدم الأخير من ولاية أورفة إلى ولاية الموصل، إلا أن والي بغداد كتب إلى والي الموصل محمد باشا الجليلي (1789- 1806م) يأمره بقتله، فامتثل محمد باشا للأمر وقتله. وبذلك انتهى العصيان والتمرد الذي قام به ولقي جزاء ما ارتكب من عمل[٢].

وبعد عودة الوالي سليمان باشا الكبير عام 1789م من البصرة إلى بغداد بعد قضائه على حركة التمرد[٣]، أمر بسجن عثمان باشا بابان وعزله من منصب ولاية البابان، وأصدر أمراً بتعيين إبراهيم باشا في هذا المنصب للمرة الثانية.

وقام الوالي، بعد أن سجن عثمان باشا باطلاعه على النسخ الخطية لمراسلاته مع كل من مصطفى آغا الكردي وسليمان بك الشاوي، الذي كان له الدور المباشر في كشف مخطط الحركة، كما

---

[1] - لونكريك: المصدر السابق، ص 193- 194.

[2] - ياسين العمري: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، مخطوط في المتحف العراقي رقم 1329، ص 26.

[3] - أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج1، ص 61.

سبق القول، ليعلم أن سجنه كان له ما يبرره[1]. ثم قام الوالي باستجواب عثمان باشا، وعن سبب مشاركته في تلك الحركة، رغم تقدير الوالي له وتعيينه بمنصب ولاية البابان بدلاً من إبراهيم باشا الذي كان أقرب آل بابان إلى الوالي، فلم يستطع الإجابة على مجمل الأسئلة التي طرحت عليه، وذلك لما انتابه من خجل، فلم يتمالك نفسه، فمرض[2] مرضاً شديداً أدى به إلى الموت[3].

ومما يجدر الإشارة إليه أن الخطة التي وضعها مصطفى آغا الكردي وأعوانه، كان هدفها فرض سيطرتهم على العراق بحيث يحتل المتسلم البصرة ويحتفظ بحكمها لنفسه، وتبقى المنتفق بيد الشيخ ثويني ليتمكن من حفظ الهدوء في منطقته. وتقوم القوات البابانية باحتلال بغداد. وقد اتفقوا على تنفيذ الخطة على الوجه التالي: يقوم مصطفى آغا الكردي بإعلان تمرده وعصيانه في البصرة ضد سلطة والي بغداد، وعند تحرك باشا بغداد وقواته باتجاه البصرة، تصبح بغداد بلا والي ولا جيش كبير يحميها، فيدخل الباشا الباباني بغداد ويستولي على الحكم وينهي حكم المماليك لبغداد والعراق[4]. ولكن إكتشاف تلك الخطة من قبل الوالي أدى إلى فشلها، وتفريق شمل القائمين بها[5].

---

1 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 46– 47. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 191. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 106.

2 – قيل ان موته كان بسبب احتسائه القهوة المسمومة، فمات في ليلته. أنظر أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 101.

3 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 191. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 106.

4– لونكريك: المصدر السابق، ص 192.

5– أحمد الصوفي: المصدر السابق.

ويرى الباحث أن الخطة التي وضعت، كانت خطة سياسية حكيمة تدل على القدرة السياسية والعقلية المنظمة للقائمين بها وعلى طموحهم، وكذلك تدل على مناوئتهم للسلطة المركزية في بغداد، وكرههم الشديد للمماليك الذين كثيراً ما عاملوا آل بابان والعشائر العربية بكل قسوة.

إبراهيم باشا بابان وعدم استقرار منصب الإمارة

أشرنا إلى عودة الوالي من البصرة وإجراءاته التي إتخذها، ومنها إعادة إبراهيم باشا بابان أميراً على السليمانية، التي أكمل بناءها عام 1784م. وكان عثمان باشا بابان عندما جاء من كردستان مع قواته العسكرية وأقاربه إلى بغداد، بناء على موعد سابق مع الوالي سليمان باشا الكبير[1]، وقد أناب عنه شقيقه عبد الرحمن بك في حكم الإمارة البابانية مدة غيابه. فلما علم الأخير بما حل بأخيه، وما قام به الوالي من تغييرات في المناصب في إمارة البابان، لم يبدِ أي نوع من المقاومة، بل شدَّ الرحيل إلى كرمنشاه عن طريق مدينة سنة في بلاد فارس، وأعلم عبد الرحمن بك الوالي بتوجهه إلى بلاد فارس وأنه ينوي الإقامة فيها[2].

وفي تلك الأثناء، كان الوالي يقضي فترة من الراحة في ضواحي مندلي القريبة من الحدود، بعد الفوضى التي عمت البلاد، فوصله كتاب عبد الرحمن بك. وكانت البلاد تعيش حالة من الهدوء بعد تلك الأحداث، فلجوء أحد البابانيين إلى الأراضي

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 192.

2 – محمد ثريا: المصدر السابق، ج3، ص 325.

الفارسية، معناه إثارة مشاكل جديدة. لهذا، فقد كتب الوالي إلى عبد الرحمن بك يدعوه إلى بغداد مع إعطائه الأمان، فاستجاب لذلك وعاد إلى بغداد، فاستقبله الوالي وأكرمه، حيث أن عثمان باشا كان قد تزوج من أخت الكتخدا، فتوسط الأخير لدى الوالي، فأصدر سليمان باشا الكبير أمراً، يقضي بتعيين عبد الرحمن باشا أميراً على الإمارة البابانية، رغم أن إبراهيم باشا لم تصدر منه أية مخالفة تستوجب إتخاذ مثل هذه الخطوة[١].

ويبدوا أن عودة عبد الرحمن بك بهذه السرعة من بلاد فارس، بمجرد أن دعاه الوالي كان دليلاً على عدم حصوله على مساعدة الفرس لمقاومة إبراهيم باشا الذي عاد لحكم الإمارة البابانية من جديد. ويعزى عدم حصول عبد الرحمن بك على المساعدة المنتظرة، إلى الفوضى والإضطرابات التي عمت أنحاء بلاد فارس بين سنتي 1779 و 1796م، فضلاً عن تغيير حكامها، فلم يلتفت أحد منهم، على ما يبدو، لطلب عبد الرحمن في استعادة حكم الإمارة.

ومع أن مدة حكم إبراهيم باشا الثانية لم تستمر سوى عام واحد بعد وفاة عثمان باشا عام 1789م[٢]، فقد أضيفت لإمارته مقاطعات كويسنجق، وحرير، وذلك بعد وفاة محمود باشا ابن تيمور باشا، الذي كان حاكماً عليها[٣].

وعلى أثر صدور الأمر من والي بغداد سليمان باشا الكبير

---

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 192.

[2] – علي سيدو كوراني:المصدر السابق، ص 87. لونكريك: المصدر السابق، ص 196.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 102.

بتعيين عبد الرحمن باشا لمنصب باشوية الإمارة البابانية، ارتحل إبراهيم باشا إلى الأراضي الفارسية عن طريق سنة وكرمنشاه، بعد أن أرسل أهله وأقاربه برفقة شقيقه عبد العزيز بك إلى ناحية قره داغ. وفي الطريق إلى قره داغ تقابل عبد العزيز بك مع سليم بك شقيق عبد الرحمن باشا فحدث صدام بينهما، أدى إلى جرح وأسر عبد العزيز وإرساله إلى بغداد، فما كان من والي بغداد في بداية الأمر إلا أن سجنه، بالرغم من جروحه. غير أنه لم يلبث أن أبدى اهتماماً بصحته وأطلق سراحه، وهذا التصرف يتمشى مع سياسة الوالي التي كان يتبعها مع الأمراء البابانيين، من حيث التقرب والتودد اليهم، لعله ينجح في كبح جماحهم والاستفادة من خدماتهم. والحق أن عمله هذا قد بعث الأمل في نفس أخيه إبراهيم باشا الذي ارتحل إلى كرمنشاه، والذي بادر بمجرد أن علم بأن سليمان باشا الكبير قد أكرم وفادة شقيقه عبد العزيز بك، بتقديم طلب للوالي بالعفو عما بدر عنه، فاستجاب الوالي لطلبه[١]. ومن ثم، فقد جاء إبراهيم باشا إلى بغداد، واستقبله الوالي بكل حفاوة وترحاب وولاه بعض المقاطعات، مثل خانقين وقزلرباط[٢].

وبعد إنزواء إبراهيم باشا بابان فترة من الزمن عن السلطة، أعاد الوالي النظر في أمره، فأصدر أمراً بإعادته للمرة الثالثة إلى منصب الإمارة البابانية، وطلب من عبد الرحمن باشا المجئ إلى بغداد والإقامة فيها، وعين شقيقه سليم بك حاكماً على

[1] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 192- 193.

[2] - عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 109.

كويسنجق وحرير[١] ويؤكد لونكريك إن إزاحة عبد الرحمن باشا عن الحكم، هذه المرة، كان بوشاية من إبراهيم باشا [٢]، حيث كان له أصدقاء كثيرون يحيطون بالوالي وقد وجدوا أن فترة ابتعاد إبراهيم باشا عن حكم الإمارة البابانية قد طالت، وأنه قد حان الوقت لعودته إلى تلك الولاية وما زالوا يحثون الوالي على إعادته حتى استجاب لهم ونصبه أميراً عليها. واستقبله أهالي السليمانية استقبالاً طيباً[٣].

وغني عن القول إن ما كان يبديه الوالي سليمان باشا الكبير من العطف والمودة على الأمراء البابانيين، بين الحين والآخر، كان مبعثه المناورة ومحاولة كسب رضا أحد هؤلاء الأمراء ليهدد به الأمير الحاكم، أو يستخدمه في الوقت المناسب ضد الأمراء المتمردين أو الثائرين. فهو لم يترك السلطة بيد أمير لفترة طويلة من الزمن، خوفاً من أن تتوحد البلاد الكردية بيده [٤]، مما يهدد سلامة وأمن البلاد كلها ويساعد على اندلاع الفتنة ضد السلطة المركزية[٥].

وكانت وجهة نظر سليمان باشا الكبير أنه بما أن رؤساء المناطق الكردية من العصاة الغير الخاضعين، فأنه من الخطر إبقاء هؤلاء الكرد في السلطة لمدة طويلة. ومن هنا فقد دأب

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 203. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 103.

2 – لونكريك: المصدر السابق، ص 201.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 104.

4 – أمين زكي: نفس المصدر، ص 102.

5 – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج2، ص 108.

الوالي على تغيير هؤلاء الرؤساء بإستمرار، وكان يطالبهم بإرسال رهائن إلى بغداد من أقاربهم[١].

ولقد إستمر إبراهيم باشا بابان في حكم الإمارة البابانية طول عهد سليمان باشا الكبير، بصورة متقطعة، إلى ان تولى علي باشا منصب ولاية بغداد (1802- 1807م). وقد ساهم إبراهيم باشا بابان مع الوالي الجديد في حملاته ضد عشائر البلباس الكردية المتمردة[٢]، غير أنه في عام 1803م أصيب بمرض لم يمهله طويلاً [٣]، فنقل على أثره من منطقة سنجار شمال غرب ولاية الموصل، حيث كان مع الوالي علي باشا في حملته ضد عشائر البلباس، إلى الموصل وتوفي فيها.

وتسلم منصب الإمارة البابانية بعد إبراهيم باشا، أمير آخر سبق له أن تقلد السلطة في السليمانية، هو عبد الرحمن باشا بابان. وقد أرسل شقيقه سليم بك متسلماً فيها مدة غيابه لفترة قصيرة، حيث توجه هو إلى بغداد مع الوالي علي باشا، فاجتمع الأمراء البابانيون الذين كانوا يعملون مع إبراهيم باشا، واتفقوا على التعاون مع عبد الرحمن باشا وذلك لأن الأخير لم يغتصب السلطة، هذه المرة، بالقوة من سلفه، بل أن والي بغداد قد عينه خلفاً لإبراهيم باشا المتوفي. وبعد ذلك، عاد عبد الرحمن باشا إلى السليمانية عاصمة الإمارة لتسلم منصبه، فيها بصورة فعلية [٤].

---

1 - جليلي جليل: المصدر السابق، ص 45.

2 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 104.

3 - ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 62.

4 - ياسين العمري: غاية المرام، ص 227.

هدوء أحوال السليمانية في عهد سليمان باشا الكبير

كانت الحكومة الفارسية في معظم تاريخها في نزاع مستمر مع الدولة العثمانية، وكانت الأولى عندما ترى نفسها مهزومة، تبادر إلى عقد الصلح مع الحكومة العثمانية بأي وسيلة[١] والملاحظ من تلك النزاعات أن بواعثها وأسبابها متعددة، منها مثلاً، رغبة إيران في السيطرة على مناطق من الأراضي العراقية، خاصة التي تكون قريبة من الحدود[٢]، ومنها المضايقات التي يتعرض لها زوار العتبات المقدسة في مدينتي كربلاء والنجف الأشرف من الإيرانيين[٣]. وقد يكون من هذه البواعث، محاولة إيران إشغال جيشها، في بعض الأحيان، عن الشؤون الداخلية لإيران[٤]. ويمكن اعتبار العامل الإقتصادي من العوامل التي كانت تثير المشاكل والحروب بين العراق وإيران[٥].

غير أن حكم الوالي سليمان باشا الكبير (1780- 1802م) تميز بهدوء الحال في منطقة الحدود العراقية الفارسية عامة، ومنطقة السليمانية خاصة. فلم تحدث حروب كبيرة، مثلما

---

1 – طه زاده عمر فاروق: تاريخ أبو الفاروق، ج4، استانبول 1328هـ، ص 281.

2 – محمد سعد الله الوري: المخابرات السياسية بين الدولة العثمانية وإيران. مخطوط في المتحف العراقي رقم 9292، ص 38.

3 – عبد الله الرازي: تاريخ إيران الفصل، طهران 1335هـ، ص 425.

4 – كاورس قفطان: ملاحظات حول الإمارة البابانية، ص 156- 157.

Sykes, P: Op. Cit. p 281

5 – عبد العزيز سليمان نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ومؤتمر ارضروم 1843، القاهرة 1974، ص 21.

حدث فيما بعد في عهد الوالي داود باشا (1817- 1831م)، بل اقتصر الأمر على إلتجاء بعض أمراء البابان من حين إلى آخر إلى الأراضي الفارسية، وقيام حكام الفرس باستقبال هؤلاء اللاجئين، ومنحهم، أحياناً، حكم بعض المقاطعات الفارسية القريبة من الحدود العراقية، ليقوموا بإثارة المشاكل على الحدود، مما يمكن الحكومة الفارسية من التدخل لمساعدتهم. لكن لم يستطع أحد من هؤلاء الأمراء البابانيين في عهد سليمان باشا الكبير من أن يصطحب جيشاً فارسياً ليحتل به السليمانية ويطرد أميرها الحاكم ليحل محله في حكم الإمارة.

إنَّ هذا الهدوء الذي ساد منطقة الحدود بين الدولتين، والذي إنعكس على السليمانية، له عوامل عديدة أهمها:

1: قوة الوالي سليمان باشا الكبير واتزانه وحسن ضبطه لشؤون العراق، وهو أمر مهم جداً في حسم العلاقات بين الدولتين(١). فلقد تمكن الوالي من القضاء على كل ما كان يعكر صفو الهدوء بالعراق، لما عرف عنه من حنكة وبعد نظر للأمور. ولهذا فقد كان مرهوب الجانب إلى حد بعيد، فأصبح العراق في عهده طوع أمره(٢).

2: ضعف إيران واضطراب أحوالها وشؤون الحكم فيها، والذي استمر لسنين طويلة. فبعد وفاة كريم خان الزند عام

1 – فرج محمد محمد: العلاقات الخارجية لدولة المماليك في العراق 1749-1831م، رسالة ماجستير، القاهرة 1965، ص234.

2 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 171، 173، 184، 188، 189.

1779م، بدأ الصراع على السلطة بين أخوة كريم خان الزند وأقاربه وقواده العسكريين[١]، وإنشغلت البلاد بالحروب الأهلية[٢] بين سني 1779م و1797م، حيث تولى فتح علي شاه السلطة في إيران. فخلال هذه الفترة الطويلة من تاريخ إيران، لم تستطع الحكومة الإيرانية التفكير في الإعتداء على جيرانها، وهي على مثل هذه الحالة من الفوضى[٣]. ولم يستطع الأمراء البابانيون بالتالي التفكير في إعلان التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية في بغداد، وهم غير معتمدين على قوة تساندهم في إعلان عصيانهم.

3: وفي أثناء الحصار الفارسي للبصرة بين عامي 1775م و 1779م أظهر سليمان باشا الكبير مقدرة عالية في الدفاع والتحصن أذهلت المحاصرين. عندما استسلمت المدينة للفرس أُخذ الوالي أسيراً إلى شيراز، وسجنه كريم خان زند، مدة، ثم أطلق سراحه وأبقاه في مدينة شيراز تحت المراقبة، فاتفق مع عدد كبير من الإيرانيين، لما كان يتمتع به من سعة أفق وغزارة المعلومات، وأقام صداقات مع زكي خان ابن عم كريم خان الزند وجماعات أخرى[٤]، فكان لتلك الصداقة والعلاقات أثرها في تحسين العلاقات بين الدولتين العراقية والفارسية[٥].

---

[1] – مجهول: المصدر نفسه، ص 89. ياسين العمري: غاية المرام، ص 201. أصفر حنوش: المصدر السابق، ص 145. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 167.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج2، ص 93.

[3] – فرج محمد محمد: العلاقات الخارجية لدولة المماليك، ص 235.

[4] – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 81.

[5] – فرج محمد محمد: العلاقات الخارجية لدولة المماليك، ص 235.

4: وكـان للعلمـاء ورجـال الـدين دوراً هـام أيـضاً في إقـرار الهدوء بين العراق وإيران، وذلك لما كانوا يتمتعون بـه مـن إحـترام وتقدير من الولاة والأمراء[1]، فمثلاً بعد وفاة عبد الـرحمن باشـا بابان، الذي سيأتي الكلام عنه، قدم هـؤلاء اقتراحـاً لـوالي بغـداد سعيد باشـا ابـن سـليمان باشـا الكبير (1813- 1816م)، يقـضـي بتعيين ابن عبد الرحمن باشا، وهو محمود باشا، مكانه في إمارة البابـان، تفاديـاً لحـدوث المـشاكل والتـدخل الأجـنبي، فأجيـب لطلبهم[2].

ولكــن هــذا الهــدوء الــذي شــهدته كردســتان بوجــه عــام والسليمانية بوجه خاص طوال عهد الوالي سليمان باشـا الكبير، لم يستمر طويلاً، فبعد وفاة الأخير عام 1802م وتولي علي باشا ولايـة بغـداد عـام (1802- 1807م)، وعبـد الـرحمن باشـا بابـان منــصب إمــارة البابــان عــادت كردســتان إلى حالــة الفوضــى والإضـطراب، وبدأت جيـوش بغـداد وكرمنـشاه تغـزو الـسليمانية تارة لتنصب أمير وأخرى تهاجم لطرده وتنصيب آخر، وهكذا...

---

[1] - فرج محمد محمد: الحياة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية لدولة المماليك في العراق 1749- 1831م، رسالة دكتوراه. القاهرة بدوت تاريخ، ص 82.

[2] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 261- 262.

الفصل الرابع

الإمارة البابانية في عهد عبد الرحمن باشا

1789- 1813م

تولي عبد الرحمن باشا الإمارة البابانية

هو عبد الرحمن باشا بن محمود باشا بن سليمان باشا الكبير بن أحمد باشا بابان[١]، من أشهر أمراء البابان[٢]، اتصف بالحزم والإقدام[٣] والجرأة والنظر الثاقب[٤]، فأجتمعت فيه بذلك مزايا الحاكم القوي الناجح[٥].

وكان عبد الرحمن باشا يشارك شقيقه الأكبر عثمان باشا السلطة في ولاية بابان، حيث كان الأخير متولياً السلطة فيها في عام 1787، وعندما قام مصطفى آغا الكردي متسلم البصرة بحركته، التي سبق الإشارة إليها، عام 1788م، استدعى سليمان باشا الكبير والي بغداد، عثمان باشا بابان إلى بغداد، فأناب الأخير شقيقه عبد الرحمن باشا في حكم ولاية البابان مدة غيابه في بغداد. غير أن إكتشاف أمر مشاركة عثمان باشا في تلك الحركة، أدى إلى موته[٦].

وعند سماع عبد الرحمن باشا ما حل بأخيه الأكبر، وبإعادة إبراهيم باشا بابان إلى حكم الإمارة البابانية ثانية، ترك السليمانية واتجه مع أهل بيته إلى الأراضي الفارسية، ومن

---

[1] – أمين زكي: خلاصة تاريخ كرد وكردستان، ص 242. أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج2، ص 7.

[2] – امين سامي الغمراوي: قصة اكراد الشمال، القاهرة 1967، ص 43.

[3] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 87

[4] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 131.

[5] – لونكريك: المصدر السابق، ص 196.

[6] – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص44. رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 92. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 106.

هناك كتب إلى الوالي نادماً على ما قام به وطالباً العفو، فعاد إلى بغداد عام 1789م ومنحه الوالي، بعد ذلك، حكم بعض المقاطعات الكردية. وفي نفس السنة أصدر أمراً بتعيينه أميراً لولاية البابان[1].

وتقديراً لعمل الوالي هذا، فقد أدى عبد الرحمن باشا واجبه تجاه الوالي سليمان باشا الكبير، في هذه الفترة، وقدم الكثير من المساعدات التي طلبها الوالي منه.

ففي عام 1792م، حينما أعلن سليمان بك الشاوي عصيانه وتمرده من جديد ضد الوالي، أرسل الأخير طالباً مساعدة عبد الرحمن باشا بابان، بعد أن حاصرت قوات الشاوي بغداد، لتخليص بغداد من محاصرته، فوصل الباشا البابانى بجيشه واستطاع فك الحصار ومطاردة قوات الشاوي، حتى وصل جيش عبد الرحمن باشا في مطاردته هذه إلى سنجار غرب ولاية الموصل، حيث تم تفريق قوات سليمان بك الشاوي. وهناك، في سنجار، أغار على بعض العشائر الثائرة، فأخمد ثورتها، وكرر هجومه عليها في السنة التالية أي عام 1793م، كما شارك سليم بك شقيق عبد الرحمن باشا، مع القوة المرسلة من بغداد للمشاركة في محاصرة ولاية ماردين، التي أعلنت العصيان ضد الدولة العثمانية وذلك في عام 1794م[2]. ولم تكن مساعدات عبد الرحمن باشا لوالي بغداد سليمان باشا الكبير فقط، بل لأكثر ولاة بغداد الذين عاصر حكمهم.

---

[1] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 103.

[2] - ياسين العمري: غاية المرام، ص 213- 218. ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 28، 32. لونكريك: المصدر السابق، ص 196.

ورغم تلك التضحيات والمخاطر التي تعرض لها الأمير الباباني وجيشه، فان والي بغداد سليمان باشا الكبير وجد مبرراً يبعد به عبد الرحمن باشا عن السلطة، حيث طالت فترة حكمه الأولى هذه، والتي استمرت من 1789- 1797م، فكانت صحة الأخير لا تساعده، حسب رأي الوالي، على الإستمرار في مزاولة الحكم. غير أن الهدف الأساسي من ذلك، كان إعادة إبراهيم باشا، الذي طالت مدة غيابه عن تسلم السلطة في ولاية البابان[1]. فقد بدأ الأخير، وله من المعارف والأصدقاء الكثيرون في بغداد، توسلاته للمقربين من الوالي، لكي يقنعوا سليمان باشا الكبير لإعادته إلى مركز الإمارة البابانية.

وقد وجدت تلك الوساطة، آذاناً صاغية لها في بغداد[2]. إذ قام الوالي باستدعاء عبد الرحمن باشا بابان من السليمانية، وبعد وصوله إلى بغداد، عزله من منصبه، وطلب منه أن يقيم ببغداد، وأصدر أمراً عام 1797م بتعيين إبراهيم باشا أميراً على البلاد البابانية. فاستغرب عبد الرحمن باشا من ذلك الأمر، لأنه لم يصدر منه ما يسيء. وسافر بالطبع الأمير الباباني المعين إلى مقر عمله في السليمانية[3]. غير أن الوالي أبقى حكم مقاطعات كويسنجق وحرير بعهدة عبد الرحمن باشا، ليؤكد له أن صحته لا تساعده على تحمل أعباء حكم جميع مقاطعات

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 203. عباس عزاوي: العراق بين الاحتلالين،ج6، ص 120.

2 - لونكريك: المصدر السابق، 196. علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 87.

3 - ياسين العمري: غاية المرام، ص 44- 45. امين زكي: تاريخ السليمانية، ص 103. عباس العزاوي العراق بين الاحتلالين، ج6، ص 121

كردستان. وقد أناب عبد الرحمن باشا بدوره حكم تلك المقاطعات إلى شقيقه سليم بك[١].

وظل عبد الرحمن باشا بابان مقيماً زهاء أربع سنوات في بغداد (1797- 1801م)، قضى فترة منها للعلاج والراحة، حتى سئم الإقامة فيها، وهو بعيد عن السلطة التي أغتصبت منه بدون مبرر. فاستأذن الوالي في السفر من بغداد إلى كردستان، لكن هذا الطلب أغضب سليمان باشا الكبير[٢]، فسفر عبد الرحمن باشا معناه حدوث فتنة في كردستان الجنوبية، وهذا ما أقلق الوالي ـ الذي تقدم في العمر ـ بحيث عجز عن إدارة البلاد.

وهناك سبب آخر أثار غضب الوالي، وهو قيام سليم بك شقيق عبد الرحمن باشا، بقتل حاكم راوندوز بعد أن ظفر به، لما كان بينهما من عداء سابق. فأمر الوالي، على أثر ذلك، بسجن عبد الرحمن باشا وطلب من إبراهيم باشا أن يلقي القبض على سليم بك وإرساله إلى بغداد، فنفذ إبراهيم باشا الأمر وأرسله مقيداً بالأغلال إلى العاصمة بغداد وبعد وصول سليم بك، أمر الوالي بنفي الشقيقين إلى الحلة[٣] ومن ثم سجنهما فيها[٤]. وأناط حكم مقاطعات كويسنجق وحرير اللتين كانتا بعهدة سليم بك، إلى محمود باشا بن تيمور باشا[٥].

---

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 203.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 104.

[3] – مدينة تقع غربي بغداد العاصمة، وفيها آثار مدينة بابل التاريخية.

[4] – ياسين العمري: غاية المرام، ص 222. ياسين العمري: غرائب الأثر، ص58. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 216. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 143.

[5] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 104.

وظل عبد الرحمن باشا وشقيقه في سجنهما حتى وفاة الوالي سليمان باشا الكبير عام 1802م. وبعد وفاته وقع نزاع عنيف على السلطة في بغداد بين الطامعين فيها[١]، وأصبح جانب الرصافة من بغداد مسرحاً لتلك الأحداث. وكان ذلك الصراع يدور بين كتلة رئيس الإنكشارية أحمد آغا، وسليم آغا، صهر سليمان باشا الكبير، وأعوانهما، من جانب، وبين علي باشا، الوالي المرتقب، وأعوانه من جانب آخر. وكان رئيس الإنكشارية قد اتفق مع سليم آغا على أن يتولى الأخير منصب باشوية بغداد بدلاً من علي باشا الذي تم الإتفاق على تعيينه والياً على بغداد على عهد الوالي السابق[٢]. ولكي تدعم كتلة رئيس الإنكشارية مركزها، فقد أطلق أحمد آغا سراح عبد الرحمن باشا وشقيقه من السجن، حيث إنضما إلى كتلة الإنكشارية. وفضلاً على ذلك، فقد إنضمت مجموعة من وجهاء المدينة إلى أحمد آغا رئيس الإنكشارية، فأصبح الأخير وأعوانه في مركز قوة كبيرة[٣].

ورغم ما تمتع به هؤلاء من قوة، فقد تمكن علي باشا المعين لمنصب ولاية بغداد من الهرب إلى جانب الكرخ من بغداد، وهناك التقى مع بعض رؤساء العشائر العربية كالشاوي والعقيل والجبور[٤]، واتفق معهم في الهجوم على المتمردين، فوافقوا على

---

[1] – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص59.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 218– 219. عباس عزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 151.

[3] – ياسين العمري: غاية المرام، ص 227. اصفر حنوش: المصدر السابق، ص 147.

[4] – يعقوب سركيس: مباحث عراقية، ج1، بغداد 1948، ص 56.

ذلك. واستطاع علي باشا وأعوانه الجدد أن يفرقوا شمل المتمردين، وأضطر هؤلاء إلى الهرب إلى أطراف بغداد. وتمكن الوالي علي باشا من قتل أحمد آغا رئيس الإنكشارية، ونفي سليم آغا إلى البصرة، ثم أمر بقتله بعد ذلك[١]. أما سليم بك، فقد هرب إلى الموصل ولجأ إلى محمد باشا الجليلي والي الموصل (1789- 1806م)، الذي أرسل لوالي بغداد يطلب منه أن يعفوا عن سليم بك، فعفا عنه، كما عفا عن عبد الرحمن باشا[٢].

وبعد إستقرار الأوضاع في بغداد، وجه الوالي علي باشا كل اهتمامه للقضاء على كل ما يثير الإضطرابات على الحدود الفارسية العراقية فقد كانت ترد شكاوي كثيرة من فارس إلى بغداد، عما تسببه العشائر الكردية النازلة هناك من مشكلات. وعلى هذا، فقد أمر الوالي علي باشا أمير السليمانية إبراهيم باشا بابان بإتخاذ التدابير بشأن ذلك. فنفذ الأمير الباباني ما أمر به على أكمل وجه، فأعاد الهدوء على الحدود، ولو بصورة مؤقتة. كما شارك إبراهيم باشا والي بغداد في حملته على اليزيدية في قضاء سنجار غربي ولاية الموصل، إذ كان هؤلاء لا يتقيدون بنظام. فقرر الوالي إعادتهم إلى الخضوع لسلطة الدولة إلا أن المرض الذي أصاب إبراهيم باشا بابان لم يمهله كثيراً، فقد توفي على أثره[٣].

[1] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 218، 220. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6، ص 150.

[2] - ياسين العمري: غاية المرام، ص 227- 228.

[3] - رسول الكركوكلي: غاية المرام، ص 227- 228.

وقد حاول علي باشا أن يعين شقيق الأمير البابا ني المتوفي، وهو خالد بك، لمنصب الإمارة البابانية، ولكن الوالي وجد أن الأمراء والرؤساء في السليمانية ينحازون إلى جانب عبد الرحمن باشا، فأضطر في عام 1803م إلى إصدار الأمر بتعيين عبد الرحمن باشا. وهكذا عاد الأخير لمنصبه للمرة الثانية[1].

ثورة عبد الرحمن باشا

وبعد إستقرار عبد الرحمن باشا بابان في عاصمة إمارته السليمانية، بقي مدة معترفاً بسلطة والي بغداد علي باشا، ومطيعاً لأوامره، فكان أميناً على عهده.

وبناء على أمر الوالي، ذهب الأمير البابا ني بجيشه الكردي إلى العمادية، عاصمة الإمارة البهدينانية، شمال مدينة السليمانية، لإخضاع الثورة التي حدثت فيها[2]. وفي عام 1804م أصبح أمر الوهابيين وهجماتهم على المناطق الجنوبية من العراق تقلق بال الحكومة العثمانية وتحرج موقف الوالي في بغداد، فأرسل الأخير إلى الأمير البابا ني طالباً إليه تقديم المساعدة العسكرية الممكنة للقضاء على هذا الخطر الداهم. فاتجه بجيشه إلى بغداد، ثم إنتقل إلى مدينة الحلة والمناطق القريبة منها التي تعرضت لهجمات الوهابيين. وأرسل الوالي كذلك قوة أخرى عربية يقودها الكتخدا سليمان بك. وسارت

---

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 105- 106.

2 - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 88. أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 97.

القوتان إلى البصرة، التي كانت معرضة أكثر من غيرها لهجمات الوهابيين. وقام عبد الرحمن باشا بشن غاراته العنيفة بجيشه الكردي على الوهابيين، وتمكن من قتل أعداد كبيرة منهم، ورغم أنه فقد في الوقت نفسه الكثير من قواته، إلا أنه رجع منتصراً بجيشه إلى السليمانية عاصمة الإمارة[١].

غير أن إطاعة عبد الرحمن باشا بابان لوالي بغداد علي باشا لم تستمر[٢]. فبعد عودة القوات العربية والكردية من حملتهما على الوهابيين[٣]، وردت الأخبار عن تحركات جاسم بك الشاوي حفيد سليمان الشاوي الذي سبقت الإشارة اليه، ومعه عشائر العبيد. وقد عبرت هذه العشائر نهر الفرات إلى منطقة الخابور متجهة نحو بغداد بقصد محاصرتها، فأضطرب الوالي علي باشا لهذه الأخبار وطلب من عبد الرحمن باشا بابان، العائد بقواته من حملة الوهابيين، الإنتظار في كركوك وإتخاذ الإجراءات اللازمة لجمع ما أمكن جمعه من القوات الكردية، وجعلهم في حالة من الاستعداد التام لمواجهة تحركات الشاوي وأتباعه، كما أوعز إلى محمد باشا حاكم كويسنجق وحرير، بإتخاذ إجراءات مماثلة، وطلب منهما التوجه بجيشهما إلى جهة الخابور. لكن، نظراً للعداء القديم بين هذين الأميرين، فأن كلاهما كان يتحين الفرصة للانقضاض على خصمه والقضاء عليه[٤]. ولما كان عبد الرجمن باشا أكثر حذراً ودهاء

---

1 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 106.

2 – لونكريك: المصدر السابق، ص 219.

3 – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 68.

4 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 228.

من غريمه، فقد إنقض عليه في الفرصة المناسبة وتمكن من قتله وأسر أتباعه(١).

ونتيجة لمعرفة عبد الرحمن باشا بابان بأحوال باشوية بغداد والأخطار المحيطة بها من تمردات العشائر العربية، وتهديدات الوهابيين لها، وعدم إمكان قيام الوالي بعمل ضده في هذه الفترة، فقد أخبر الوالي علي باشا بما قام به من أعمال. ثم اتجه بعد ذلك إلى كركوك، ونهب في طريقه القرى التي صادفها. وبالفعل لم يقم الوالي بأي إجراء ضد عبد الرحمن باشا بسبب تلك الأوضاع، لكنه أرسل إليه يوبخه ويطلب منه عدم القيام بمثل تلك الأعمال مستقبلاً، ثم أضاف إلى حكمه مقاطعات كويسنجق وحرير، اللتين كانتا تحكمان من قبل الباشا الكردي القتيل.

ومن الجدير بالذكر أن الذي كان يمد عبد الرحمن باشا بالمعلومات المتعلقة بأوضاع باشوية بغداد، هو كتخدا الوالي المدعو خالد آغا وعبدالله آغا (متسلم البصرة سابقاً) الذي كان يقيم في بغداد وله علاقات مع كل من خالد آغا الكتخدا وعبد الرحمن باشا بابان. فلما علم الوالي بأمرهما، أعدم الأول ونفى الثاني إلى البصرة، وأصدر أمراً بتعيين سليمان بك كتخدا بدلاً من خالد آغا(٢).

غير أن عدم إتخاذ أي إجراء ضد عبد الرحمن باشا من قبل الوالي لم يكن معناه التغاضي نهائياً عنه، إذ أنه مهما بلغت

---

1 – سليمان فائق: تاريخ بغداد، ص 30. علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 88.

2 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 229. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج6، ص 164.

قوة الأمير الكردي فقد كانت قوة والي بغداد هي الأقوى دائماً، وهي الغالبة والمنتصرة في جميع الأحوال. وعلى هذا فقد أرجأ الوالي معاقبة عبد الرحمن باشا إلى حين عودة الأمور إلى حالتها الطبيعية.

ونظراً لعدم قيام الوالي بإتخاذ إجراء حاسم وسريع ضد عبد الرحمن باشا بابان، فأن الأخير قد استمر في تطاوله، الأمر الذي كان يعني أن ولاءه لوالي بغداد قد انتهى(١). وشعر الأمير الباباني بأن منحه مقاطعات كويسنجق وحرير، ليس حباً فيه، إنما هو من قبيل المداهنة والخداع، وأن الوالي لا محالة سيغزوه في أقرب وقت. ومن ثم فقد أخذ عبد الرحمن باشا يستعد ويتخذ الإحتياطات الازمة لذلك(٢). وكان مما قام به بهذا الصدد أن أرسل إلى الوالي يعرض عليه الطاعة من جديد، ويطلب العفو عما صدر منه من أعمال. ولمعرفة عبد الرحمن باشا بعدم استجابة الوالي لهذا الطلب، فقد بادر بإتخاذ المزيد من الحيطة والحذر، بأن أرسل إلى شيخ عشائر العبيد ضامن المحمد، وشيخ عشائر العزة حمد الحسين، يستدعيهما إليه للاتفاق معهما ضد الوالي. كما أرسل شقيقه سليمان بك ابن محمود باشا بابان، على رأس قوة من رجاله المسلحين تقدر بحوالي خمسمائة فارس، للاستيلاء على مقاطعات درنة وباجلان وزهاو، وتمكن بالفعل من تنفيذ المهمة المكلف بها، وعين عبد الرحمن على تلك المقاطعات خالد باشا بابان، ثم أرسل قوة أخرى يستطلع بها

---

1 – لونكريك: المصدر السابق، ص 219.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها، ص 107.

مجيء حملة الوالي المتوقعة من بغداد[١].

وكان الوالي، علي باشا، قد إتخذ هو الآخر إجراءات مضادة، فقام بابلاغ والي الموصل محمد باشا الجليلي بضرورة تجهيز حملة عسكرية ضد السليمانية لعزل أميرها عبد الرحمن باشا. وقد كُلفَ الوالي محمد باشا الجليلي بهذه المهمة، باعتبار أن ولاية الموصَل تملك جيشاً قوياً، وهي أقرب من السليمانية من بغداد. بالإضافة إلى ذلك، فأن الحالة العامة في بغداد لم تكن لتساعد الوالي على إرسال جيش إلى الشمال وقد لبى والي الموصل نداء والي بغداد[٢]، فأرسل حملة من الإنكشارية عام 1805م بقيادة عبد الله بك آل مصطفى قائد جيش الموصل، فوصلت الحملة إلى أربيل واجتمعت بخالد باشا بابان، الذي عينه عبد الرحمن باشا على تلك المقاطعات، والحاج قاسم آغا متسلم أربيل، وتوجهوا جميعاً إلى آلتون كوبري، قاصدين كركوك، ومنها إلى السليمانية[٣].

لكن يبدو أن إشتراك خالد باشا بابان في تلك الحملة، يرجع إلى طمعه في منصب الإمارة البابانية، الذي وعده به الوالي على ما يظهر. وعلى هذا، فقد خان خالد باشا ابن عمه عبد الرحمن باشا. وكان إغراء أحد أمراء آل بابان بخيانة الأمير الباباني الحاكم، هو السلاح القوي الذي يستخدمه والي بغداد للقضاء على تمرد أو عصيان أو ثورة الأمير الباباني الحاكم. وقد استخدم هذا السلاح الكثير من ولاة بغداد المماليك.

---

[1] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 229.

[2] - علي سيدو كوراني: المصدر السابق ص 88- 89.

[3] - ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 66. أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 98.

ولما علم الأمير الباباني بذلك التجمع، اتجه بكل قواته الكردية، ومعه بعض قوات العشائر المتحالفة معه نحوهم، وهجمت قواته عليهم، فتمكن من تفريق شملهم، وفروا هاربين إلى أربيل، ومن ثم انفرط عقد هذا التجمع[1].

وبعد أن تم لعبد الرحمن باشا هذا النصر غير المتوقع، هجم ثانية على آلتون كوبري، فنهب ما تبق من مخلفات حملة الموصل. لما سمع الوالي علي باشا بهذه الهزيمة التي منيت بها حملة الموصل، خرج من بغداد على رأس جيش كبير وقدم إلى كركوك[2] التي أصبحت قاعدة لكل حملة عسكرية يراد بها الهجوم على السليمانية.

ولم يعلم عبد الرجمن باشا بمقدم هذا الجيش رغم استطلاعاته العسكرية، فأضطر إلى عبور مضيق دربندبازيان، والاستعداد للتحصن لمواجهة الجيش البغدادي الزاحف.أما حليفا عبد الرحمن باشا، وهما شيخا عشائر العبيد والعزة، فقد داخلهما الرعب من جيش الوالي وافترقا عن حليفهما الباباني. وقد تمكن الوالي من وضع خطة أحاط بها الجيش البغدادي بجميع القلاع والجبال المحيطة بالدربند، والتي تحصن بها الأمير الباباني[3].

وكانت خطة الوالي هذه، نتيجة لمعرفته بطبيعة المنطقة الكردية ولسابق اشتراكه في الحملات السابقة ضد الأمير

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 230.

2 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 99.

3 – ياسين العمري: المصدر السابق، ص 99. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 230– 231.

الكردي المتمرد. كما أن مشاركة خالد باشا بابان في الحملة، ومعرفته هو الآخر بطبيعة المنطقة الجبلية أكثر من غيره، ساعد وبشكل جيد على الإحاطة بجميع منافذ الدربند. وعلاوة على ذلك، فقد أبلغ الوالي أعوانه من الأعراب المتواجدين هناك بأن يمنعوا أعوان عبد الرحمن باشا من الهرب. ولهذا فقد وقع الكثير منهم بين قتيل وأسير. وبعد إشتداد المعركة ضيقت قوات باشا بغداد وخالد باشا بابان الخناق على قوات عبد الرحمن باشا حتى أضطرته إلى ترك الدربند والرجوع إلى السليمانية، ومنها هرب إلى سنة في بلاد فارس[1].

ومن المحتمل أن الأمراء البابانيين كانوا يحيطون الشاه الفارسي علماً بما يحدث لهم من نزاع مع ولاة بغداد، أو عند وقوع اشتباك بين جيشهما، وبناء على هذا، فقد بعث الشاه فتح علي شاه (1797-1836م) إلى والي بغداد علي باشا كتاباً يلتمس فيه منه عدم عزل عبد الرحمن باشا ويطالب بإعادته إلى السليمانية عاصمة الإمارة البابانية، لكن الوالي الذي انتصرت قواته على قوات عبد الرحمن باشا، رفض ذلك الالتماس[2].

ويلجوء عبد الرحمن باشا إلى بلاد فارس، وعدم الاستجابة لطلب الشاه بإعادته، يكون الخلاف قد تجدد بين فارس والعراق، وذلك بعد فترة هدوء وسلام على حدودهما طوال عهد الوالي سليمان باشا الكبير والي بغداد السابق.

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 108- 109. عباس عزاوي: العراق بين احتلالين ج2 ص 167.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 109.

عبد الرحمن باشا وتوتر العلاقات العراقية الفارسية

ظلت كردستان ميداناً لصراع لا يهدأ بين الدولتين الفارسية والعثمانية منذ انتصار السلطان العثماني سليم الأول (1512-1520م) على الشاه إسماعيل الصفوي (1500- 1524م) في معركة جالديران عام 1514م واستمرت عوامل إثارة ذلك الصراع متواجدة بينهما، وأصبحت كردستان الجنوبية تشكل عبئاً ثقيلاً على الدولة العثمانية عامة وحكومة بغداد خاصة، حيث كان موقف الحكومة الفارسية موقف العاضد والمشجع، في نفس الوقت، للحركات الكردية في العراق عامة والبابانيين بصورة أخص. فكانت جيوش الحكومة الفارسية تتردد، وبصورة تكاد تكون دائمة، على منطقة كردستان[١]، ولم يكن دافع الفرس هو العطف الصادق على البابانيين، الملتجئين اليهم دائماً، بقدر ما كان الرغبة الشديدة في التدخل في شؤون كردستان، ولتكون لهم اليد الطولى في تصريف شؤون المنطقة[٢] وتوطيد نفوذهم فيها[٣].

فبعد إستقرار عبد الرحمن باشا، فترة من الزمن في سنة، بدأت مطالبة الشاه الفارسي لوالي بغداد بإعادة الأمير البابانى إلى عاصمة حكمه، لكن الوالي رفض هذا الطلب وبإصرار، واستمر تكرار الطلب من الشاه والرفض من الوالي، مما أدى إلى استعداد الطرفين للحرب[٤].

---

1 - علاء موسى نورس: المصدر السابق ص 214- 215.

2 - لونكريك: المصدر السابق، ص 219.

3 - خالفين: المصدر السابق، ص 20.

4 - شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، بغداد 1966 ص 52.

وعلى رغم ذلك، فأن المراسلات بينهما لم تتقطع في محاولة من الشاه الفارسي لإيجاد حل لتلك المشكلة بدون حرب، لكنها باءت بالفشل أيضاً، وذلك لاعتقاد الوالي علي باشا بأن إعادة عبد الرحمن باشا ستسبب متاعب كبيرة للدولة العثمانية ولحكومة بغداد معاً. وقد أعلم الوالي الصدارة العظمى في استانبول بتلك المراسلات ورجاها، في نفس الوقت، بألا تستجيب لطلب الشاه، لما قد تسببه ذلك من مخاطر على الأمن وسلامة بغداد وكردستان[١].

وبعد فشل تلك المراسلات نهائياً، استعدت الحكومة الفارسية لتقديم كل أنواع الدعم والمساندة العسكرية للأمير البابانى اللاجئ اليها[٢]، وقد كتب خالد باشا بابان حاكم كردستان الجنوبية إلى والي بغداد علي باشا عام 1806م رسالة يبلغه فيها بتلك الاستعدادات، وبتحركات عبد الرحمن باشا بابان من منطقة مريوان، وهي من توابع سنة والقريبة من حدود كردستان، مع قوة فارسية باتجاه السليمانية، ويطلب من الوالي أن يدعمه بقوات إضافية[٣].

ومن الجانب الفارسي، أرسل ميرزا شفيعي قائد الجيش الفارسي إلى كرمنشاه، رسالة تهديد إلى شيخ الأكراد الفيلية[٤] المسمى حسن خان الهارب من البلاد واللاجئ إلى كردستان

---

1 – سجلات الأرشيف العثماني: وثائق 6667، 6671ب، 6718، 6703آ، 6728، 6703هـ.

2 – رسول الكركوكلي: النصدر السابق، ص 234– 235.

3 – سجلات الأرشيف العثماني: وثيقة 6671ج.

4 – سكن هؤلاء الأكراد في وسط وجنوب العراق، وفي إيران في منطقة لورستان.

الجنوبية يذكر فيها أن هناك قوة كبيرة من الجيش الفارسي مع عبد الرحمن باشا قد اتجهت نحو الحدود العراقية بهدف الاستيلاء على كردستان[1]. وكان القصد من وراء تلك الرسالة إلى شيخ الأكراد الفيلية، هو محاولة إبعاده عن التحالف مع جيش بغداد وجيش خالد باشا بابان حاكم السليمانية فيضعف ذلك الجيش، ولكن حسن خان لم يهتم بهذا التهديد، بل استمر في تحالفه مع والي بغداد وحاكم كردستان خالد باشا بابان.

ومن الجدير بالذكر، أن علي باشا والي بغداد، رغم ما كان يعانيه من ضعف في القوة العسكرية التي يمتلكها من جراء الحروب مع الوهابيين ومن اضطراب الحالة في باشوية بغداد، فأنه استعد أيضاً لمواجهة تهديدات الحكومة الفارسية. فسير محمد أمين آغا رئيس الإنكشارية على رأس قوة عسكرية كبيرة، وسار هو وراء تلك الحملة بقوة إضافية، وكتب إلى كل من متصرف درنة وباجلان عبد الفتاح باشا وسليمان باشا متصرف كويسنجق وحرير، بأن يقدما المساعدات العسكرية الممكنة إلى حاكم كردستان خالد باشا بابان، وطلب منهما استكمال كافة الاستعدادات اللازمة. ومن جهة أخرى، أرسل علي باشا والي بغداد، سليمان بك ـ ابن أخته ـ على رأس قوة أخرى لمساندة تلك القوات.

وبعد أن أتم والي بغداد استعداداته، وكتب إلى الباب العالي يعلمه بما أقدم عليه، وينتظر الرد بالموافقة على ذلك، إلا أن الرد جاءه عكس ما كان يتوقع، فقد أمره السلطان بضرورة

---

[1] – سجلات الارشيف العثماني: وثائق: 4116ج، 6703ب.

العودة من حيث أتى، وأعلمه بأن إعلان الحرب من حق السلطان وحده، ولا يحق لوالي بغداد ذلك. فعاد على أثر ورود ذلك الرد، مع بعض القوات، وبقيت قوات أخرى لمواجهة القوات الفارسية. ونتيجة لازدياد ضغط القوات الفارسية على كردستان، وبعد تراجع على باشا وقواته، فقد طلب حاكم كردستان خالد باشا بابان مساندة الوالي فأوعز الأخير إلى سليمان بك بالتحرك نحو قوات عبد الرحمن باشا والقوات الفارسية المساندة له[١].

ولكن سرعان ما تحرك سليمان بك ـ بدون تروي ـ للظفر بعبد الرحمن باشا بابان، دون أن يستشير أحداً، في حين أن مثل هذه الأمور العسكرية تتطلب الدراية والخبرة، فاجتازالحدود الفارسية إلى مريوان ـ حيث تتواجد قوات عبد الرحمن باشا ـ ووصل بجنوده منهكين من التعب. ومع ذلك، فقد أقحمهم في معركة غير متكافئة، مع القوات الفارسية والبابانية التي أحاطت بهم وتمكنت من أسر سليمان بك وإرساله أسيراً إلى طهران[٢].

ويبدو أن قيام سليمان بك بتلك المغامرة، يرجع لاعتقاده بأنه في حالة نجاحه في القبض على عبد الرحمن باشا وإحضاره إلى بغداد، فسوف ينال تكريماً من الوالي في بغداد والإدارة العثمانية في استانبول. لكن تلك المغامرة جاءت عكس ما كان يتوقع لها.

---

[1] – ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 69. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 234. محمد سعد الله الوري: المصدر السابق، ص 37.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 234– 235.

ولقد أثار أسر سليمان بك قلق الوالي علي باشا. وبينما هو في تلك الحال، وصلته رسالة من عبد الرحمن باشا، الذي انتصرت قواته بالتعاون مع القوات الفارسية على جيش بغداد. وتضمنت الرسالة توضيحاً للدوافع التي الجأته للقيام بالاعتداء على محمد باشا حاكم كويسنجق وقتله، ويلتمس من الوالي إعادته إلى منصب الإمارة البابانية. وبعد دراسة لتلك الرسالة من قبل الوالي علي باشا، أدرك أنه لا مناص من إعادته إلى حكم السليمانية تفادياً لحدوث المزيد من المشاكل التي قد تثار على الحدود من جديد، فكتب الوالي إلى عبد الرحمن باشا يدعوه المجئ لتسلم منصبه. وكان الأخير قد كتب رسالة إلى حكام فارس يشكرهم فيها على ما قدموه من العون، وقال فيها: «حيث أن حكومة السليمانية قد أُعيدت إليَّ، فلا أحتاج فيما بعد أن أضنيكم وأتعبكم...». وبعد هذه الرسالة، وصل الأمير الباباني إلى السليمانية عام 1806م، وتسلم منصب إمارة البابان للمرة الثالثة[1].

ويبدو أن تراجع علي باشا والي بغداد عن الحرب مع الحكومة الفارسية - بناء على طلب السلطان - واعتقاد عبد الرحمن باشا بأنه من الممكن أن يستجيب علي باشا هذه المرة لطلبه، يرجع لما كان يعانيه الوالي من اضطراب داخل باشوية بغداد، وضغط الهجمات الوهابية عليه من الخارج. وهذه الأسباب هي التي شجعت عبد الرحمن باشا على مراسلة الوالي، وطلب العفو عنه وإعادته إلى السليمانية. وهكذا عاد

[1] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 110- 111.

الأمير الباباني وأقره الوالي على ذلك، في الوقت الذي لم يكن عبد الرحمن باشا بحاجة لمثل ذلك الإقرار[1].

غير أن رسالة عبد الرحمن باشا إلى حكام فارس، لم تكن الأولى ولا الأخيرة، فأن لجوئه ـ وبقية أمراء البابانيين ـ إلى البلاد الفارسية وطلب مساعدة حكامها لإعادته إلى منصبه كلما تعرض إلى ضغط من جانب جيش بغداد، لم ينقطع على الإطلاق. واستمر الحال على هذا المنوال حتى وفاته عام 1813م.

ومن الجدير بالذكر أن سليمان بك قد أعيد من الأسر، بعد أن تسلم عبد الرحمن باشا منصبه في مدينة السليمانية. وقد أنعمت عليه الدولة العثمانية بلقب «باشا» تقديراً لجهوده وخدماته التي قدمها لها[2].

وعلى صعيد تطور الأحداث بين العراق وإيران، وتدخل بعض الأطراف الأخرى فيها، نرى والي أرضروم ضياء باشا يتهم في رسالة له بعث بها إلى الصدارة العظمى في استانبول، والي بغداد علي باشا، بسوء الإدارة والسياسة الخاطئة التي اتبعها عبد الرحمن باشا بابان، حيث اعتقد ضياء باشا أن هذه السياسة هي السبب المباشر في تمرد الباشا الباباني على الدولة العثمانية وارتمائه في أحضان الفرس، وقال: «لو عالج علي باشا الخطأ الذي ارتكبه عبد الرحمن باشا بروية وسعة الفكر، لما وصلت الأمور وتطورت إلى حد تحرك الجيوش على

---

[1] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 58- 59. جعفر الخياط: المصدر السابق، ص 259.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق ص 238.

حدود الدولتين». واقترح ضياء باشا، بناء على ذلك، فصل ولاية شهرزور عن ولاية بغداد وتعيين حسن باشا عليها، وعزل علي باشا عن باشوية بغداد وتعيين عبد الله باشا بدلاً منه، لكي تستتب الأمور أكثر[١].

معركة الدربند ونتائجها

بعد مقتل الوالي علي باشا عام 1807م، تولى السلطة في بغداد من بعده الوالي الجديد سليمان باشا الصغير (1808-1810) وكان الأخير أسيراً لدى الحكومة الفارسية عام 1806م، ولم يصل سليمان باشا الصغير لباشوية بغداد، إلا عن طريق تدخل ممثل فرنسا في الأستانة الجنرال سباستياني، حيث كان السلطان مصطفى الرابع (1807- 1808م) معجباً وقتذاك بالامبراطور نابوليون الأول. فكان لوساطة ممثل فرنسا أثراً في تعيين سليمان باشا الصغير، ذلك رغم معارضة ممثلي الدول الأوربية الأخرى على تعيينه وعلى الوساطة الفرنسية[٢]. وكان مبعث المعارضة الأوربية هو خوفها من أن تتبوأ فرنسا مكاناً مرموقاً في البلاط السلطاني، مما قد يؤثر على مصالحها في الدولة العثمانية.

ومن المتعارف عليه أن الأمراء والوجهاء كانوا يقومون بتقديم التهاني للوالي الجديد بمناسبة تسلمه منصبه. وبالفعل فقد قدم الكثير من هؤلاء الأمراء والوجهاء التهاني للوالي

---

[1] - سجلات الأرشيف العثماني: وثيقة، 6681د.

[2] - جليلي جليل: المصدر السابق، ص 58- 59.

سليمان باشا الصغير، إلا عبد الرحمن باشا بابان[1] الذي أراد استغلال الإضطرابات التي وقعت عقب مقتل الوالي السابق علي باشا، لأخذ الثأر من سليمان باشا بابان، حاكم كويسنجق وحرير، والذي شارك في الحملة التي سارت ضد عبد الرحمن باشا عام 1806م[2].

ولم يكتف عبد الرحمن باشا بتلك الأعمال، بل بدأ بمراسلة الحكومة الفارسية، طالباً منها تأييده ومساندته للحفاظ على منصبه في حالة تعرضه للمضايقة من والي بغداد الجديد سليمان باشا الصغير، الذي يضمر حقداً على عبد الرحمن باشا بابان، وكان سبباً في وقوعه في الأسر 1806، وهو بطبيعة الحال سيحاول الإنتقام وأخذ الثأر لذلك.

ويبدو أن خالد باشا بابان - الأمير السابق لإمارة البابان - والذي كان يقيم في كركوك، قد أصبح مراقباً لتحركات عبد الرحمن باشا واتصالاته مع الفرس. فقد أخبر خالد باشا بابان السلطة في بغداد، عندما جاء لتقديم التهاني للوالي، بتلك الاتصالات القائمة بين الفرس وعبد الرحمن باشا[3].

ولا شك أن استمرار تأييد الفرس لعبد الرحمن باشا، واستخفاف الأخير بالوالي سليمان باشا الصغير، هو الذي دفعه للقيام بحملة عسكرية لغزو بغداد واحتلالها. غير أن السلطة المركزية في بغداد، أرسلت ضده قوات عسكرية كبيرة لمواجهته،

---

1 - عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج 6، ص 184.

2 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وانحائها ص 113.

3 - سجلات الارشيف العثماني: وثيقة، 3707.

اضطرته للتراجع إلى السليمانية واتخاذ الاستعدادات لمواجهة أي طارئ يحدث[١].

ونتيجة هذه الأعمال والتعديات التي قام بها عبد الرحمن باشا، قرر سليمان باشا الصغير أن يضع حداً لها وأن ينتقم من البابانيين[٢]، وأن يحد كذلك من نفوذ الأمير الباباني المتزايد[٣]، ولهذا، فقد كانت فاتحة أعماله، بعد تسلمه منصب باشوية بغداد، هي معالجة شؤون كردستان[٤].

فعلى أثر إستقرار الأوضاع في باشوية بغداد، تحرك الوالي عام 1808م على رأس حملة متجهاً نحو كردستان الجنوبية، وكان بصحبته خالد باشا بابان. وفي الطريق اليها، إنضمت إليه قوات سليمان باشا بابان حاكم كويسنجق، كما التحقت به قوات الموصل زمن الوالي نعمان باشا الجليلي (1806- 1808م) بقيادة أحمد أفندي رئيس الديوان وأنضمت اليه كذلك، قوات من البابانيين الناقمين على عبد الرحمن باشا، بقيادة محمد باشا نجل خالد باشا. فأصبحت لدى سليمان باشا الصغير قوات عسكرية كبيرة من مختلف الفئات يستطيع بها تحقيق الهدف الذي جاء من أجله[٥].

---

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 241.

[2] – جليلي جليل: المصدر السابق ص 59.

[3] – أحمد الصوفي: المصدر السابق ص 109.

[4] – جعفر خياط: المصدر السابق ص 262.

[5] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9، ص 247. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 242. ياسين العمري: غرائب الأثر ص 75.

ولم يكن عبد الرحمن باشا غافلاً عن تلك الاستعدادات التي اتخذها والي بغداد سليمان باشا الصغير، فقد استعد هو أيضاً لمواجهة الجيش الزاحف نحوه. فبدأ بتحصين الكثير من المواقع في مضيق دربند بازيان[1]، ويقع هذا المضيق إلى الغرب من مدينة السليمانية، وهو الممر الذي تأتي منه هجمات جيش الوالي، إذ ينحدر تدريجياً باتجاه كركوك تاركاً فجوة صغيرة للمرور فقط. والمضيق هذا، حاجز متكامل يجابه جانبي تلك الفجوة التي يمر بها الطريق المؤدي إلى كردستان. وقد شيد عليه عبد الرحمن باشا سوراً ووضع فيه أربعة مدافع لقصف قوات بغداد ومن معها من القوات الأخرى، وهي في المنخفض[2]. وكانت القوات التي نظمها عبد الرحمن باشا تتصف بالشجاعة والبسالة، فقاومت جيش بغداد مقاومة عنيفة[3]. ولكن القوات التي كان يقودها محمد بك نجل خالد باشا بابان، ونظراً لمعرفة الأخير بطريق الدربند، تمكنت من السير إلى طريق أهمله عبد الرحمن باشا، لاعتقاده بعدم صلاحية استخدامه في الهجوم[4].

ولا شك أن إهمال عبد الرحمن باشا لهذا الطريق، وهجوم القوات التي يقودها محمد باشا بابان عبره، قد سبب ارتباكاً لجيش عبد الرحمن باشا. ويرجع إهماله إما لاستصغار الأمير البابانى لشأن والي بغداد الذي كان أسيره، أو لعدم تقديره لقدرة القوة المهاجمة، مما ترتب عليه أن هجمت قوات جيش

---

[1] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 42– 43.

[2] – ريج: المصدر السابق، ص 42– 43.

[3] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج9، ص 247.

[4] – ريج: نفس المصدر السابق، ص 43.

بغداد والقوات المشاركة معها هجمة عنيفة، أدت إلى تفريق شمل الكثير من قوات عبد الرحمن باشا، فأنضم بعضها إلى قوات خالد باشا بابان، والأخرى إلى جيش بغداد، والبقية هربت مع عبد الرحمن باشا(١).

ونتيجة للموقف الصعب الذي واجهه عبد الرحمن باشا بعد أن تفرقت عنه معظم قواته، أضطر إلى الهرب باتجاه البلاد الفارسية(٢)، التي قبلته ـ كعادتها ـ وأسكنته في سنة(٣).

وكان الوالي سليمان باشا الصغير، بعد هذا الإنتصار، قد أقام في كردستان مدة لتنظيم شؤونها، وأمر بهدم السور الذي بناه عبد الرحمن باشا حتى لا يستخدم من قبل الأمراء البابانيين مستقبلاً (٤). ولكن الوالي لم يحسن التصرف مع بعض الأمراء البابانيين، وذلك لعدم تقديره للأمور، التي أدت إلى نتائج إنعكست آثارها السلبية على والي بغداد(٥).

فمن المعروف أن النصر الذي حققه والي بغداد على الأمير الباباني عبد الرحمن باشا بابان، كان بمساعدة الأمراء البابانيين، أعداء عبد الرحمن باشا(٦). فكان خالد باشا بابان مقيماً في بغداد بعد عزله من منصب الإمارة البابانية علم 1806م، إلا أنه يطمع في

---

1 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9 ص 247. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 243.

2 – جعفر الخياط: المصدر السابق ص 243.

3 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 110.

4 – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 059.

5 – أحمد جودت: المصدر السابق ج 9، ص 248.

6 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 114.

العودة ثانية لمنصب باشوية السليمانية. وعلى هذا الأساس، كان إتفاقه مع والي بغداد، سليمان باشا الصغير ضد ابن عمه عبد الرحمن باشا بابان[1]. ولكن خلافاً لما كان يتوقع، عمد الوالي إلى تعيين سليمان باشا بابان حاكم مقاطعات كويسنجق وحرير وزهاو بدلاً من خالد باشا بابان[2]. ولم يكتف الوالي بهذا، بل أخذ يعامل خالد باشا بابان معاملة لا تليق بشخصية كانت قبل فترة تتولى إمارة ذات مكانة كبيرة في العراق، كما أصدر أمراً يقضي بنفي الأخير إلى كركوك وإجباره على الإقامة بها.

إن هذه السياسة التي اتبعها الوالي مع خالد باشا بابان، قد أدت إلى فقدانه ثمار انتصاره في كردستان الجنوبية، وساعدت على حدوث تقارب بين الأمراء البابانيين - ولو بشكل مؤقت - وجعلهم يجمعون كلمتهم على مقاومة الدولة العثمانية. فبعد أن قام الوالي بإبعاد خالد باشا بابان إلى كركوك، إنتهز الأخير الفرصة وتوجه إلى سنة، حيث يقيم عبد الرحمن باشا بعد هروبه من السليمانية، وقام عبد الرحمن باستقبال ابن عمه الباباني، ومن ثم اتفقا على ضرورة حصول كردستان على استقلالها بعيداً عن سيطرة بغداد والدولة العثمانية، وبمساعدة من الحكومة الفارسية. وكان خالد باشا يملك قوة تقدر بحوالي 600 رجل مسلح، وقد ارتحلت معه إلى سنة[3].

وبعد هذا الذي حدث، تمكن الأمير الباباني عبد الرحمن

---

1 - زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق، ص 303.

2 - جعفر خياط: المصدر السابق، ص 263.

3 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 244.

باشا، الذي عركته الحياة وتجاربها، وعرف بدهائه[١]، وبفضل إعتماده على ما يقدمه له الفرس من عون عسكري، من العودة عام 1809 للمرة الرابعة لمنصب الإمارة البابانية[٢]. وكانت الأخبار قد وصلت بغداد عن لجوء خالد باشا بابان إلى عبد الرحمن باشا بابان الذي يقيم في سنة، وقيام الحكومة الفارسية بتخصيص مبلغ عشرين ألف تومان للأخير، ليستعين بها في محاربة الحكومة المركزية في بغداد[٣]. وفي نفس الوقت أرسلت الحكومة الفارسية إلى بغداد تطلب منها إعادة عبد الرحمن باشا إلى منصبه في السليمانية[٤].

وأدرك الوالي سليمان باشا الصغير، بعد ورود تلك الأنباء، أن لا حول له على مقاومة القوات العسكرية التي حشدت لمساعدة البابانيين، بسبب ما كان يعانيه، من مشاكل داخلية في ولاية بغداد. لذلك فقد أسند الإمارة البابانية إلى عبد الرحمن باشا، وأحضر سليمان باشا بابان، وأسكنه في بغداد[٥].

ومما لاجدال فيه أن عمل الوالي هذا قد أفقده الكثير من أعوانه في بغداد أولاً، ثم في الإمارة البابانية ثانياً، حيث كان الأمراء البابانيون هم القوة الإحتياطية للوالي في بغداد لضرب حركات التمرد العربية والكردية على حد سواء.

---

1 – جليلي جليل: المصدر السابق ص 59– 60.

2 – ياسين العمري: غرائب الأثر ص 97. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6، ص 185.

3 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 244.

4 – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6، ص 186

5 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 115.

عبد الرحمن باشا وباشوية بغداد

كانت السياسة الخاطئة التي اتبعها ولاة بغداد من المماليك تجاه الأكراد عامة والأمراء البابانيين خاصة، قد سببت للدولة العثمانية الكثير من المشاكل مع الحكومة الفارسية. ولذلك كانت الحكومة العثمانية تفكر دائماً في التخلص من المماليك، الذين استولوا على السلطة في بغداد بعد وفاة واليها أحمد باشا عام 1747م، ولم يألوا جهداً في العمل من أجل الإستقلال عن سلطة الباب العالي في الأستانة، وأظهروا مرات عديدة عدم إطاعتهم للأوامر الصادرة اليهم عنها.

إن هذه التصرفات، جعلت السلطان العثماني محمود الثاني (1808- 1839م) يرسل مبعوثاً خاصاً، هومحمد سعيد حالت أفندي[1]، للتحقيق في مجموعة الشكاوي الواردة إلى الباب العالي من ولاية بغداد ضد الوالي سليمان باشا الصغير.

وفي أثناء عودة الأخير من حملته على كردستان عام 1809م، أغار بجيشه وبلا مبرر على اليزيديين في منطقة

---

[1] - هو محمد سعيد حالت أفندي، المعروف برئيس أفندي، وهو من السياسيين الذين عاشوا زمن السلطان العثماني محمود الثاني. أصله من القرم تولى عدة مناصب في سراي السلطان، ثم أصبح سفيراً لدولته في باريس عام 1802-1807م ثم عاد بعدها إلى الأستانة، ثم أوفد عام 1810م بمهمة تحقيق وتحصيل الأموال المترتبة بذمة سليمان باشا الصغير والي بغداد. أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، مجلد 7، القاهرة، حالت ص 272-273.

سنجار، وهاجم عشائر الضفير[1] الساكنة في منطقة الجزيرة العراقية، الواقعة إلى الجنوب الغربي من ولاية الموصل. كما أصدر أمراً بمنصب ولاية الموصل إلى شخص من غير آل جليلي، يدعى أحمد باشا بكر أفندي (1808- 1809م) مما أثار عليه غضب سكان ولاية الموصل، خاصة العائلة الجليلية[2]. وإضافة إلى ما تقدم، قام سليمان باشا الصغير بعمل اتسم بالخطورة والتهور، وهو أنه اتصل بولي العهد الفارسي الشاهزادة محمد علي ميرزا، الذي ساءت علاقة عبد الرحمن باشا معه في تلك الفترة، واتفق معه على القيام بحملة عسكرية مشتركة ضد الأمير البابان، والذي لم يكن يهتم بما يصدر إليه من أوامر من كلا الطرفين.

وقد جهز الشاهزادة - بالفعل - قوة عسكرية كبيرة لمعاونة القوة العسكرية المرسلة من بغداد ضد عبد الرحمن باشا، ولما رأى الأخير تلك الجحافل الضخمة، لم يستطع المقاومة، وآثر الهرب عن العاصمة السليمانية والتوجه إلى قلعة كويسنجق للتحصن فيها استعداداً لمقاومة الهجمات التي سيشنها عليه كلا الطرفين الفارسي والعثماني. غير أن الوضع تغير في اللحظات الأخيرة، فقد أرسلت الحكومة الفارسية إلى قواتها تطلب منها الإنسحاب من حصار القلعة والعودة إلى الأراضي الفارسية.

---

1 - عشيرة الضفير من عشائر عنزة، وعنزة أكبر عشائر شبه الجزيرة العربية. وكانت من العشائر القوية، لكن ظهور الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وهجمات الوهابيين المتكررة على معظم العشائر هناك، أجبرتهم على الهجرة إلى العراق عام 1804م، وسكنت الجزيرة العراقية.

2 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 245- 249.

لقد كان انسحاب القوات الفارسية فرصة جديدة مواتية لعبد الرحمن باشا كي يستغلها للإيقاع بالوالي، فأرسل إلى السلطان محمود الثاني في الأستانة يعلمه بما قام به سليمان باشا الصغير من عمل طائش يعرض مصالح الدولة العثمانية للخطر. فكان لذلك النبأ وقع سيء في نفس السلطان. ومما عزز هذا الإتهام لديه، أن سليمان باشا الصغير كان يستقبل مبعوثيه بكل فتور[١].

وبعد وصول هذا النبأ السيء إلى الأستانة، أراد السلطان محمود الثاني أن يتحقق مما نسب إلى الوالي سليمان باشا الصغير من اتهامات فكان أن أرسل مبعوثه الخاص حالت أفندي رئيس الديوان السلطاني عام 1810م إلى بغداد لهذا الغرض[٢]. وكان المبعوث يحمل معه أيضاً أمراً من السلطان إلى الوالي بضرورة دفع ما تراكم عليه من خراج البلاد أو التنازل عن باشوية بغداد[٣].

ولكن الوالي لم يعر مطالب السلطان تلك أي إهتمام، ولم يكترث كذلك بالمبعوث السلطاني نفسه[٤]، بل على العكس، فقد أصر على موقفه السابق[٥]. وكان كل من علي باشا الوالي السابق وسليمان باشا الصغير الوالي الجديد قد أمسكا يدهما

---

[1] – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 60- 61.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج9 ص 254. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 248.

[3] – لونكريك: المصدر السابق، ص 248. سليمان فائق: تاريخ بغداد ص 38- 39.

[4] – أحمد راسم: المصدر السابق، ج 2، ص 1642.

[5] – علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، بغداد 1926، ص 216.

عـن أن يرسـلا إلى خزانـة الأسـتانة شـيئاً مـن الأمـوال المترتبـة عليهمـا مـن واردات العـراق طـوال فـترة حكمهمـا[١]. وبنـاء علـى ذلـك، فقـد أعتـبرت الإدارة العثمانيـة التوقـف عـن إرسـال المـال الـميري، لـيس سـوى محاولـة أكيـدة للإسـتقلال عـن الدولـة، في الوقــت الــذي بـدأت فيــه الأخــيرة القــضاء علــى الحركـات الإنفصالية في أطراف الإمبراطورية المختلفة.

وقد ظل حالت أفندي مقيماً في بغداد، على أمل أن يحصل من الوالي على جواب يعود به إلى السلطان، ولكن دون جدوى، وذلـك بـسبب مماطلـة الـوالي[٢]. فأضـطر المبعـوث ـ بعـد طـول إنتظار ـ الخـروج مـن بغـداد إلى ولايـة الموصـل[٣]، وهـو غـير راض عـن الحالـة في بغـداد[٤]. ومـن الموصـل ـ مقـر إقامتـه ـ كتـب إلى الأسـتانة عمـا رآه في ولايـة بغـداد، ومكـث منتظـراً الآوامـر الـتي ستـصدر عـن الـسلطان بـشأن مـا يمكـن إتخـاذه مـن تـدابير ضـد الوالي[٥]، الذي امتنع عن إجابة ما طلب منه[٦].

والواقع أن السلطان أسـرع في إصـدار الفرمـان الـذي يقـضي بعزل الوالي سليمان باشا الصغير من منصبه، وترك السلطان إلى

[1] – أبـو الثنـاء شـهاب الـدين الالوسـي: غرائـب الإغـتراب في الـذهاب والإقامـة والإياب، مخطوط في المتحف العراقي رقم 8973 ص 12.

[2] – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6 ص 195– 196.

[3] – سليمان فايق: تاريخ المماليك الكوله ص 22.

[4] – عبـد القـادر الـشهرباني: شـعراء بغـداد وكتابهـا أيـام المرحـوم داود باشـا والي بغداد، مخطوط في المتحف العراقي 1679 ص12.

[5] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9 ص 254.

[6] – أحمد راسم: المصدر السابق، ج 2 ص 479.

المبعوث حق تعيين من يراه مناسباً من الشخصيات لمنصب ولاية بغداد. وعلى هذا فقد ترك السلطان اسم المرشح في الفرمان دون تحديد. وبعد وصول الأمر السلطاني اجتمع حالت أفندي بوالي الموصل محمود باشا الجليلي (1809- 1810م). وقام الأخير بدوره بجمع الأعيان والرؤساء في الولاية وبعد أن أطلعهم حالت أفندي على الأمر السلطاني أجابه الجميع بالطاعة، كما إنضم إلى المبعوث العديد من الناقمين على حكم المماليك.

وبعد هذا اتجهت القوات التي جمعها حالت أفندي إلى كركوك ومنها راسلوا الأمير البابانى عبد الرحمن باشا، الذي رحب بالمشاركة في هذه القوات لما كان بينه وبين والي بغداد سليمان باشا الصغير من ثأر وعداء، وقد رد على تلك الرسالة قائلاً بأنه: «كان ينتظر مثل هذا الشرف ليقوم بالخدمة المطلوبة ضد الوالي». واستصحب عبد الرحمن باشا معه الخزندار السابق عبد الله آغا، وكان الوالي قد نفاه مع طاهر آغا إلى البصرة عام 1808م، ومنها هربا إلى السليمانية لاجئين لدى الأمير البابانى عبد الرحمن باشا، الذي رحب بهما كثيراً.

وكان هدف عبد الرحمن باشا من مشاركته، في هذه الحملة، هو ضرب تكتل المماليك في بغداد، الذين كثيراً ما ضايقوه وأجبروه على الهرب باتجاه الأراضي الفارسية[1]. ولهذا فقد كانت قواته العسكرية المشاركة في الحملة منظمون تنظيماً جيداً وتتصف بالشجاعة والبسالة. وأنضمت إلى الحملة كذلك

[1] - عماد عبد السلام: الحياة الإجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ص 106- 107.

الخيالة البابانية التي امتازت بسرعة حركة التنقل[1]. وبعد أن تجمعت تلك القوات، سارت باتجاه بغداد لتنفيذ الأمر السلطاني الذي يقضي بعزل سليمان باشا الصغير عن منصبه في باشوية بغداد[2].

ولم يكن سليمان باشا الصغير، أقل استعداداً من جانبه لمواجهة زحف القوات المشتركة والمتجهة إلى بغداد، وصمم على صدها وعدم الإذعان للأوامر الصادرة ضده، وقد سلم قيادة قواته إلى الكتخدا فيض الله آغا[3]. وبعد وصول القوات المشتركة بالقرب من بغداد، اشتبكت معها قوات الوالي، فكان النصر في الجولة الأولى لقوات بغداد، التي كانت أكثر تنظيماً وأكثر سلاحاً وقوة، بينما كانت القوات المشتركة من العشائر غير المنظمة تنظيماً جيداً، عدا قوات عبد الرحمن باشا وبعض قوات الموصل. ولما فشل حالت أفندي في إحراز النصر العسكري ضد قوات الوالي، اتجه إلى إثارة خصوم الوالي من داخل أسوار بغداد. وقد نجح في ذلك، لكن يقظة الوالي لما يثار ضده، مكنته من القضاء على ذلك التمرد[4].

وقد استغل حالت أفندي، إنشغال سليمان باشا الصغير بإخماد الفتنة التي حدثت في بغداد، فأمر قواته المشتركة بالهجوم على قوات الوالي التي يقودها الكتخدا، فتمكنت قوات عبد

---

1 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9 ، ص 257.

2 – ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 113.

3 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 250. سليمان فائق: تاريخ بغداد، ص 39- 40.

4 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج9 ، ص 258.

الرحمن باشا من الهجوم عليها حتى فرَّ الكثير منها، وتخلى عن الوالي الكثير من أعوانه وأنصاره[١]، والجدير بالذكر أن قوات عبد الفتاح باشا حاكم مقاطعتي درنة وباجلان كانت منضمّة للقوات العثمانية المهاجمة، ولكنها لم تقم بواجبها كما يجب، ولسوف يكون لذلك أثره على عبد الفتاح فيما بعد ونتيجة لتخلي أنصار الوالي سليمان باشا الصغير عنه، فقد أضطر إلى الهرب من بغداد وعبر ديالى، وكان قصده التوجه إلى شيخ المنتفق حمود التامر للاحتماء به، لكنه قتل بيد بعض أفراد عشيرة الدفافعة العربية[٢].

وبعد مقتل سليمان باشا الصغير عام 1810م، نشأت قضية جديدة، وهي من سيخلف الوالي القتيل؟ وكان حالت أفندي، الذي عهدت إليه المهمة، يحمل الفرمان الخالي من الأسم. ولهذا فقد واجه أمرين[٣]:

1: إما أن يسند المنصب إلى أقوى شخصية في العراق وقتذاك من غير المماليك، مثل عبد الرحمن باشا[٤].

2: وإما أن يسنده إلى شخصية محبوبة من البغداديين، مثل سعيد بك الذي كان يتمتع بمكانة محترمة في بغداد، كما أن والده كان من أقوى شخصيات المماليك[٥].

---

1 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 250. أحمج جودت: المصدر السابق، ج9، ص 250.

Alexander Constance: Baghdad in bygone days, London 1928, p. 27

2 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 112. سليمان فايق: تاريخ بغداد ص 40.

3 – لونكريك: المصدر السابق، ص 215.

4 – جليلي جليل: المصدر السابق ص 60- 61.

5 – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد ص 49.

وفي الحقيقة، كان عبد الرحمن باشا بابان طامعاً في منصب ولاية بغداد[1]، الذي أصبح شاغراً بعد مقتل الوالي سليمان باشا الصغير. وقد عرض عبد الرحمن باشا بابان طلبه هذا على حالت أفندي مبعوث السلطان، وتعهد عبد الرحمن باشا له بدفع أربعة أضعاف[2] ما كان يدفعه والي بغداد من المماليك إلى خزانة الدولة في استانبول. فأرسل حالت أفندي طلب عبد الرحمن باشا بابان إلى الباب العالي مع أحد معتمديه. ولما كانت الحكومة العثمانية قد عهدت بمهمة اختيار الشخص المناسب لمنصب ولاية بغداد إلى إجتهاد حالت أفندي، فقد طلبت منه إتخاذ ما يراه مناسباً.

وكان رد الأخير على جواب إستانبول ما يلي: «إن المبلغ الذي سيدفعه الأمير البابانى ليس بالشئ القليل، وهو بقواته الكبيرة يستطيع القضاء على المماليك، إلا أن تأرجح البابانيين وبإستمرار بين الدولتين العثمانية والفارسية، يثير كثيراً من المشاكل فالإبقاء على المماليك أهون، لأنهم لم يلتجئوا إلى طلب المساعدة من دولة أجنبية».[3]

---

[1] – يذكر ريج: أن حالت أفندي عرض على عبد الرحمن باشا منصب ولاية بغداد لكن الأخير رفض قائلاً: «حقاً إنني سأصبح وزيراً من الدرجة الأولى، غير أن جرعة واحدة من ماء ثلج بلادي تستوي في قيمتها رتب الإمبراطورية بكاملها». ريج: المصدر السابق، ص 67– 68.

[2] – كانت بغداد تدفع ألف كيس للسلطان سنوياً، ومعنى هذا أن عبد الرحمن باشا رفعها إلى خمسة الآف كيس. عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6 ص 147.

[3] – قام بعض الولاة من المماليك بطلب العون من الحكومة الفارسية ضد البابانيين مثل سليمان باشا الصغير عام 1809م وعبد الله باشا. أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9 ص 259– 260.

ولما يئس عبد الرحمن باشا بابان من تحقيق طلبه، إتجه وجهة أخرى لفرض سيطرته على بغداد والتحكم فيها، وذلك عن طريق السعي لتعيين صديقه الخزندار السابق عبد الله آغا، فسعى لدى حالت أفندي[1]. ومن جهة أخرى، عمل على إقناع رؤساء المماليك بمساندة فكرته والعمل على أن يكون عبد الله آغا وكيلاً للوالي[2] إلى أن يثبت بمنصبه[3]. ونظراً لتقدير حالت أفندي لقوة عبد الرحمن باشا[4]، ولمعرفته بوجود إتصال سري بينه وبين عبد الله آغا، وتفاهمهما على أن يتسلم الأخير منصب الولاية بالوكالة إلى أن يصدر الفرمان بأسمه[5]، فقد وافق المبعوث السلطاني على أن يكون عبد الله آغا وكيلاً للوالي، إلى حين وصول الفرمان بأمر تعيينه والياً على بغداد[6].

وبعد أن تسلم عبد الله باشا مهام عمله بالوكالة عام 1810م، سلم مقاليد أمور البلاد إلى يد عبد الرحمن باشا بابان، الذي كان السبب المباشر في تعيينه على ولاية بغداد. وقد أقام عبد الرحمن باشا في بغداد مدة من الزمن مع قواته إلى أن تمكن الوالي الجديد عبد الله باشا من السيطرة التامة على الوضع. وقد أجرى الأخير بعض التغييرات والتبدلات في المناصب العليا في الولاية، فأصبح داود أفندي (داود باشا) دفتر داراً وعبد الرحمن آغا للانكشارية.

---

1 – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 81.

2 – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 40.

3 – جعفر الخياط: المصدر السابق، ص 247.

4 – جليلي جليل: المصدر السابق، ص 61. لونكريك: المصدر السابق، ص 215.

5 – أدافوف: المصدر السابق، ص 409.

6 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 251.

غير أن إستمرار تواجد عبد الرحمن باشا بابان وقواته في بغداد، وكذلك إستمرار سيطرته على أمور الولاية، أدتا إلى إمتعاض حالت أفندي، فبدأ بإثارة فتنة ضدهما، بهدف عزل عبد الله باشا من منصبه الجديد كوال بالوكالة[1] وفي نفس الوقت أخذ حالت أفندي يعمل على إسناد منصب ولاية بغداد إلى سعيد بك بن سليمان باشا الكبير[2]. وكان مبعوث السلطان قد عرض فكرة القضاء على الحليفين الباباني والمملوكي، على أحمد بك الجليلي، الذي تولى منصب ولاية الموصل بعد وفاة واليها محمود باشا الجليلي، مقابل تعيينه والياً على بغداد. لكن أحمد بك رفض ذلك العرض، خشية تعرض جيشه الموصلي للقتل والتدمير على يد قوة الأمير الباباني[3].

والحقيقة، أن رفض أحمد بك الجليلي يرجع لوجود نوع من التحالف بين آل جليلي في الموصل، وآل بابان في السليمانية، هدفه الحد من سلطة المماليك في بغداد، وكان إضطلاع أحمد بك الجليلي بهذه المهمة يعد تخلياً عن سياسة التحالف هذه. وعلى أثر ذلك، استعد أحمد بك الجليلي للعودة إلى الموصل بجيشه بعد أن اشترك في القضاء على سليمان باشا الصغير والي بغداد، وترك لحالت أفندي اختيار من يراه مناسباً لتلك المهمة[4]. وبسبب موقف أحمد بك الجليلي هذا، لم يصدر

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر الستبق، ص 251.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج9، ص 260.

3 - ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 119- 120.

4 - عماد عبد السلام: الموصل في العهد العثماني، النجف الأشرف 1975، ص 148- 149.

حالت أفندي أمراً بولاية الموصل إليه، بل أسندها إلى سعد الله باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي (1810- 1812م).[1]

ومما يجب الإشارة إليه أن سياسة التحالف بين آل بابان وآل جليلي، لم تكن من وحي فرد واحد حتى يمكن لحالت أفندي القضاء عليها، وإنما كانت سياسة مقررة وثابتة من قبل أحمد بك جليلي. وقد تولى الجليليون تنفيذها بحرص، كوسيلة للحفاظ على كيان ولايتهم من أن تذوب نهائياً ضمن سلطة بغداد المتعاظمة.

ولقد وقع اختيار حالت أفندي فيما بعد على رئيس الإنكشارية عبد الرحمن آغا لتنفيذ فكرته. وكان الأخير ـ على ما يبدو ـ متمرساً للقيام بمثل تلك الأعمال، فقد سبق له وأن قام بحركة تمردية ضد الوالي سليمان باشا الصغير عام 1810م، أثناء قيام القوات المشتركة بالهجوم على بغداد. إلا أن يقظة وحذر عبد الرحمن باشا بابان، المقيم في بغداد مع قواته، حالت دون نجاح تلك الحركة، حيث تمكن من القضاء عليها في مهدها، وشتت شمل القائمين بها من الإنكشارية[2]. ولما علم عبد الرحمن باشا بأن هذه الفتنة من تدبير حالت أفندي، أرسل الأمير البابانی إليه مهدداً ومتوعداً وطالباً بإصدار الأمر السلطاني بولاية عبد الله باشا رسمياً، فامتثل المبعوث للأمر، خوفاً من قوة عبد الرحمن باشا بابان وملأ الفرمان الخالي من أسم الوالي، معلناً

---

[1] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 252.

[2] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 251. ياسين العمري: غرائب الأثر ص 119.

تنصيب عبد الله باشا والياً على بغداد[1]. وبعد هدوء الأحوال العامة في ولاية بغداد وإستقرار الوالي في منصبه أذن عبد الرحمن باشا لأحمد بك الجليلي وعساكره بمغادرة بغداد، وقد منحه عبد الرحمن باشا الهدايا تقديراً لموقفه. كما عاد عبد الرحمن باشا أيضاً مغ قواته البابانية إلى كردستان[٢].

بغداد وكرمنشاه ضد عبد الرحمن باشا

لقد بلغ البابانيون ذروة مجدهم وقوتهم في عهد عبد الرحمن باشا، منذ توليه الإمارة البابانية عام 1789م. فقد كان هذا الأمير يتمتع بميزات عديدة، منها قوة شخصيته، وسداد رأيه، ودرجة عالية من الذكاء. وهذه الميزات دفعت أطماعه السياسية، ومطامحه القومية، إلى تأسيس دولة كردية كبيرة تتمتع باستقلال ذاتي بعيداً عن سيطرة حكومة بغداد[٣] ومرتبطة، وبصورة مباشرة، بالباب العالي في الأستانة. وعلى هذا فأن عبد الرحمن باشا بابان كان على إستعداد لدفع ما يترتب على قيام دولة كردية مستقلة من أموال إلى خزينة الدولة العثمانية في الأستانة، على شرط أن لا يكون لا هو ولا غيره من أمراء البابان معرضاً للعزل والإقصاء عن الإمارة، إلا في الحالات التي يظهر فيها الأمير الباباني علامات التمرد والعصيان[٤].

---

[1] – ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 120.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 252.

[3] – أمين زكي: تاريخ الكرد وكردستان، ص 242.

[4] – ريج: المصدر السابق، ص 67.

وكانت فكرة الإستقلال، هذه، قد تحركت في مخيلته، منذ توليه منصب الإمارة البابانية، بعد وفاة أخيه الكبير عثمان باشا بابان عام 1788م. وكان عبد الرحمن باشا بابان ينتظر الوقت المناسب للإعلان عن تأسيس الدولة الكردية المستقلة. وقد جاء الوقت، عندما شارك في الحملة العسكرية عام 1810م ضد والي بغداد السابق سليمان باشا الصغير[1]. وبعد مقتل الأخير، عمل عبد الرحمن باشا للحصول على باشوية بغداد، لكنه فشل، فسعى لتعيين صديقه عبد الله آغا والياً على بغداد[2].

وكان هدف عبد الرحمن باشا بابان من تعيين عبد الله آغا في ولاية بغداد، أن يتمكن هو شخصياً بعد ذلك من الإعلان عن إستقلال الدولة الكردية، لأنه اعتقد أن الوالي الجديد لن يستطيع القيام بعمل ضده بعد الخدمة التي قدمها له. كما كان بإمكانه - حسب إعتقاده - أن يحصل على تأييد ومساندة الحكومة الفارسية لدولته الجديدية.

وبعد أن تسلم عبد الله باشا منصب ولاية بغداد عام 1810م بصورة رسمية، بدأ عبد الرحمن باشا بابان، بالفعل، يتصرف وكأنه الوالي الحقيقي، فأصدر أمراً - بدون إستشارة الوالي - يقضي بعزل عبد الفتاح باشا حاكم درنة وباجلان، وتعيين خالد باشا بابان - ابن عم عبد الرحمن باشا - بدلاً عنه. وكان عبد الفتاح باشا يحظى بتأييد الحكومة الفارسية في هذه الفترة[3].

---

[1] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 9، ص 255.

[2] – لونكريك: المصدر السابق، ص 215.

[3] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 252.

ولقد أصيب عبد الرحمن باشا بابان بالغرور، نتيجة للنجاح الذي حققه في بغداد، فأظهر اللامبالاة للأوامر الصادرة إليه من والي بغداد عبد الله باشا، على اعتبار أنه هو الذي نصبه على باشوية بغداد، فكيف ينفذ ما يصدر عنه[1]؟ إضافة إلى ذلك، حاول عبد الرحمن باشا بابان تحويل عاصمة الإمارة البابانية - السليمانية - إلى موقع جديد على قمة جبل (سه رسير)[2] ليكون بعيداً عن الهجمات المفاجئة والتي قد تشن عليه من بغداد أو كرمنشاه. وكان اختياره لذلك المكان، يعود أولاً إلى كون ذلك الجبل منعزلاً عن سهول كردستان وعن الأخطار التي تهدده، وثانياً لسهولة الدفاع عنه، وثالثاً لصعوبة الوصول اليه إلا عن طريق واحد يمكن لقوة عبد الرحمن باشا العسكرية صد أي هجوم متوقع منه إلا أن قلة الماء هناك كان العائق في تحقيق رغبته هذه[3].

وفي الحقيقة، يعتبر عهد عبدالرحمن باشا من أقوى عهود الإمارة البابانية. فقد إستطاع هذا الأمير تحريك الروح القومية للأكراد وإثارة حماستهم في الحصول على الإستقلال وتكوين الدولة الكردية. ولم يستطع أي أمير من أمراء البابان، لا قبله ولا بعده، أن يقوم بما قام به من أعمال[4]. ويقول لونكريك: «إن

---

[1] - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 123- 124.

[2] - معنى كلمة (سه رسير) المصيف، ويقع هذا المصيف في قضاء شهربازار في مدينة السليمانية.

[3] - ريج: المصدر اسابق، ص 114.

[4] - كاووس قفطان: عبد الرحمن باشا في الميزان، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العددين 20 و 21 سنة 1977، ص 71.

القدرة على تقوية منصب الوالي في بغداد أو زعزعته من ولايته، كان من ميزات الحكومة البابانية في عهد الأمير عبد الرحمن باشا حتى سقوطها[1]. غير أن تصرفاته مع والي بغداد عبد الله باشا والحكومة الفارسية، أفقدته صداقتهما ودفعتهما إلى تسيير جيش ضده.

فقد كانت سياسة التساهل التي اتبعها والي بغداد - كرد للعمل الذي قدمه عبد الرحمن باشا - قد أدت إلى طغيان الأمير الباباني واتساع أطماعه وتمرده وإستمراره في تجاهل الأوامر الصادرة إليه من والي بغداد. فمثلاً رفض الإستشارة التي قدمها الوالي إليه بشأن الإلتماس المقدم من حاكم كرمنشاه الشاهزادة محمد علي ميرزا حول إعادة عبد الفتاح باشا حاكم مقاطعتي درنة وباجلان إلى منصبه وقد رفض عبد الرحمن باشا ذلك الإلتماس أكثر من مرة. ولم يكتف الأمير الباباني بذلك، بل قام أعوانه بالإعتداء على المناطق القريبة من الإمارة البابانية كأربيل وكركوك.

إن هذه الأعمال التي قام بها عبد الرحمن باشا وأعوانه، قد أدت إلى تفاهم الطرفين المملوكي في بغداد، والفارسي في كرمنشاه، حول تجهيز حملة عسكرية مشتركة ضده وعزله من منصبه، وتعيين خالد باشا بابان - حاكم درنة وباجلان وقتذاك - بدلاً منه وكان والي بغداد قد اتفق مسبقاً مع خالد باشا بابان بشأن تحقيق ذلك الهدف.

---

[1] - لونكريك: المصدر السابق، ص 219.

وعلى هذا، فقد أرسل الشاهزادة محمد علي ميرزا قوة عسكرية تقدر بحوالي ستين ألف رجل نحو السليمانية، وأرسل والي بغداد من جانبه يبلغ خالد باشا باتخاذ ما يلزم من إجراءات ثم بعث بقوة عسكرية من بغداد لمساندة تلك القوات.

وبعد أن علم عبد الرحمن باشا بتلك الحشود العسكرية المتجهة ضده، إتخذ هو أيضاً الإستعدادات لمواجهتها، فأرسل قوة عسكرية بقيادة ابنه سليمان بك[1] إلى خالد باشا حاكم درنة وباجلان لمساندته في صد القوات المهاجمة، ظناً من عبد الرحمن باشا بأن خالد باشا لا يزال من حلفائه. لكن الإتفاق الذي تم بين الأطراف المذكورة (والي بغداد، والشاهزادة، وخالد باشا) أدى إلى خروج خالد باشا بابان - وبإيعاز من الوالي - لاستقبال القوة الفارسية. عندئذ أدرك عبد الرحمن باشا خطورة الموقف، فتحصن في قلعة كويسنجق مع أتباعه، بينما كانت قوات حاكم كرمنشاه تطبق على قواته وتضطره إلى التسليم.

وعند دخول القوات الفارسية إلى الأراضي العراقية، أدرك والي بغداد عبد الله باشا، أن ما ارتكبه من عمل يعد خطأً كبيراً، لأن إستيلاء القوات الفارسية - حسب إعتقاد الوالي - على هذا الجزء من العراق، يمكن أن يكون بداية لزحف القوات الفارسية للإستيلاء على أجزاء أكبر من الأراضي العراقية. وكان الوالي عبد الله باشا يعاني من ضعف في السيطرة على مقاليد الأمور في ولاية بغداد، بسبب كثرة الإضطرابات. لذلك، أصدر

[1] - يذكر رسول الكركوكلي: أن سليمان بك هذا، هو ابن خالد باشا، المصدر السابق ص 253.

منشوراً إلى سكان كردستان الجنوبية، يحثهم فيه على ضرورة مساعدة الأمير البابانى عبد الرحمن باشا ضد الغزو الفارسي.

ووقع هذا المنشور بيد عبد الرحمن باشا بابان فاستغله لإطلاع الشاهزادة محمد علي ميرزا على موقف والي بغداد. وعندئذ قرر الشاهزادة رفع الحصار المضروب على قلعة كويسنجق التي تحصن بها الأمير البابانى وأعوانه، وأمر قواته بالعودة إلى كرمنشاه، ثم أرسل إلى عبد الرحمن باشا يعرض عليه الصلح(١). ولم يلبث الشاهزادة أن أصدر أمراً من جانبه عام 1811م يقضي بتعيين خالد باشا بابان على الإمارة البابانية وعبد الرحمن باشا على حرير وكويسنجق. وقد وافق والي بغداد على ذلك، ولكن عبد الرحمن باشا، تحرك من كويسنجق بعد فترة قصيرة - وبمساعدة علي ميرزا - نحو السليمانية، فلم يستطع خالد باشا مقاومته، ففر إلى مندلي، وأخبر والي بغداد بما حل به، وكان عبد الرحمن باشا، المعروف بدهائه، قد تمكن من إرضاء الوالي عبد الله باشا عن طريق إرسال الهدايا إليه، فوافق الوالي على عودته إلى منصبه في الإمارة البابانية عام 1811م أي أن الأمير البابانى لم يغب كثيراً - هذه المرة - عن منصبه في ولاية البابان، وأصدر الوالي أمراً بتعيين خالد باشا على مندلي(٢).

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 252– 254. سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 43– 45.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 10، ص 103. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 255.

ومن هذا يتضح أن سياسة الحكومة الفارسية تجاه الأكراد كان هدفها الأول هو التدخل وبإستمرار في شئوون كردستان بوجه عام والإمارة البابانية بوجه خاص. أما تبديل الأشخاص فلم يكن يهمها في شئ، فهذا الشاهزادة محمد علي ميرزا الذي كان يؤيد ويحمي خالد باشا أصبح الآن يقدم العون والدعم لعبد الرحمن باشا[1]، وفي نفس الوقت، فأن سياسة التحالفات التي اتبعها ولاة بغداد من المماليك مع دولة أجنبية ضد حاكم من حكامها، كانت تدل على أمرين:

1: ضعف أولئك الولاة.

2: روح الإستقلالية التي يحاولون إتباعها بعيداً عن سلطة الباب العالي.

معركة كفري

بعد عودة عبد الرحمن باشا بابان لمنصبه للمرة الخامسة عام 1811م في السليمانية، وموافقة والي بغداد على العفو عنه وبالرغم من العهود التي قطعها الأمير الباباني على نفسه بعدم تكرار ما حدث منه من اللامبالاة والتمرد فأنه بعد أن ثبت في منصبه[٢] عاد إلى سيرته السابقة. وكان في عمله هذا مستندا على دعم ومساندة الحكومة الفارسية[٣].

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 129.

[2] – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 138.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 127.

والواقـع أن والي بغـداد قـد أدرك أن إسـتمرار تمـرد عبـد الرحمن باشا على أوامره، وإستمرار مساندة الحكومة الفارسية لأعمالـه تلـك، أمـران مـضران بمـصالح الدولـة العثمانيـة، ولهـذا قرر أن يعزل عبد الرحمن باشا من منصبه وأن يعيد خالد باشا بابـان إلى منـصب الإمـارة البابانيـة، وان يمـنح حكـم مقاطعـات كويسنجق وحرير إلى سليمان باشا بابـان[1]. وقـد اسـتعد الـوالي لتنفيذ خطته عام 1812م[2].

وبعد ورود الأنبـاء إلى الـسليمانية عـن تحـركات الـوالي عبـد الله باشـا ضـد الأمـير البابـاني عبـد الـرحمن باشـا بابـان، إتخـذ الأخـير الإحتياطـات اللازمـة لـصد الهجـوم المتوقـع عليـه، فأعـد جيشه البابـاني وأرسله إلى ناحية كفري جنوب مدينة السليمانية للتصدي لقوات والي بغداد، وعلى أثر وصول الجيشين إلى ذلـك المكـان، وقـع إشـتباك عنيـف بينـهما، وكـان النـصر بـادئ الأمـر للجيش البابـاني. لكن وقوف الـدفتردار ـ داود أفنـدي ـ الـذي كـان يقود مدفعية الجيش المملوكي وصموده في وجه الهجمـات الـتي يـشنها الجـيش البابـاني، قـد أبـادت الكـثير مـن أفـراد الجـيش الأخير حتى اضطر عبد الرحمن باشا، بعد فقدانه لمعظم جيشه أن ينجوا بنفسه من المعركة ويهرب إلى كرمنـشاه ـ كعادتـه ـ تـاركاً قتلاه الـذين جـاءوا للـذود عـن عرشـه[3]. وكـان المنتظـر مـن عبـد

1 – أحمـد جـودت: المـصدر الـسابق، ج 10، ص 103. رسـول الكركـوكلي: المـصدر السابق ص 256.

2 – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 115. لونكريك: المصدر السابق، 221.

3 – أحمـد جـودت: المـصدر الـسابق، ج10، ص 103– 104. رسـول الكركـوكلي: المصدر السابق، ص 256– 257.

الـرحمن باشـا كقائـد خـبر مثـل تلـك الحـروب، أن يـضـع خطـة يستطيع بها إنقاذ ما بقى من جيشه لا أن يتركهـم وقـوداً لمدفعيـة الجيش المملوكي.

ولقـد تعرضـت منطقـة شـهرزور مـن جـراء تلـك الهزيمـة لخسائر فادحة، فقد أتلفت المحاصيل الزراعية وقتل الكثير مـن النـاس الأبريـاء. كمـا أعطـى لجـوء عبـد الـرحمن باشـا بابـان إلى كرمنـشاه عـام 1812م[1] فرصـة جديـدة للـشاه فـتح علـي شـاه (1797- 1834م) للتدخل في شؤون كردستان[٢] وإيقـاع الخـلاف مـن جديد بين الأمـراء البابـانيين، حيـث أرسـل الـشاه فتح علـي شـاه إلى الـوالي عبـد الله باشـا في بغـداد طالبـاً منـه إعـادة عبـد الـرحمن باشـا لمنـصبه في الإمـارة البابانيـة. إلا أن الـوالي رفـض ذلك الطلب[٣].

وكان الشاه فتح علـي شـاه - في تلك الفـترة - متألماً مـن قيـام الحكومة العثمانية بمصالحة الحكومـة الروسـية عـام 1812م[٤]، الأمر الذي اعتبره الـشاه في غير صـالح الحكومـة الفارسـية وقـد يؤدي إلى نتائج خطيرة بالنسبة لها. ولهذا فقـد دفعـت المـصالحة العثمانية الروسية شاه فارس - وبناء علـى التمـاس عبـد الـرحمن باشـا بابـان - إلى تـسيير الجيـوش الفارسـية والقـوات البابانيـة، لمحاولة احتلال بغداد، غير أن هـروب سـعيد بك بن سليمان باشا

---

1 – أمين زكي: خلاصة تاريخ كرد وكردستان، ص 232.
2 – علاء الدين نورس: المصدر السابق، ص 84.
3 – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 47.
4 – تاريخ سلاطين آل عثمان، مصر بدون تاريخ، ص 125.

الكبير من بغداد إلى المنتفق، أجبر الوالي عبد الله باشا إلى تغيير سياسته مع البابانيين ومصالحة الفرس وعدم مواجهتهم في هذه الفترة الحرجة. ومن ثم فقد أصدر أوامره بعزل خالد باشا من منصب ولاية البابان، وسليمان باشا من حكم كويسنجق وحرير، وأناطهما بعبد الرحمن باشا، الذي عاد إلى منصب الإمارة البابانية عام 1813م[1]. وفضلاً عن ذلك، فقد أراد إبعاد الجيش الفارسي عن الأراضي العراقية، فقام بدفع مبلغ من المال إلى الشاهزادة كتعويض عن الخسائر التي لحقت بالجيش الفارسي. وبعد هذه التغييرات، عاد الشاهزادة إلى كرمنشاه وتسلم عبد الرحمن باشا منصبه للمرة السادسة[2]، ورجع كل من خالد باشا وسليمان باشا إلى بغداد، حيث أقاما فيها تحت رعاية والي بغداد، ثم توجهت قوات الوالي إلى المنتفق التي لجأ اليها سعيد بك[3].

وفاة عبد الرحمن باشا

تولى عبد الرحمن باشا منصب الإمارة عام 1813م، إلا أنه لم يستمر طويلاً في حكمها، بالرغم من فرض سيطرته هذه المرة على كل مقاطعات الإمارة وبدون منافسة أحد من آل بابان الذين كانوا يعيشون متفرقين في بغداد وكرمنشاه، إضافة إلى

---

1 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 10، ص 104. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 257.

2 – سليمان فايق: تاريخ بغداد ص 47– 48.

3 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 140.

مركز عاصمتهم السليمانية، وقد بدأ عبد الرحمن باشا عمله بهمة ونشاط لإعادة تنظيم الإمارة بعد الحروب التي شهدتها طوال عهده[1]، إلا أن المرض الذي ألمّ به لم يمهله طويلاً، فلم يمض عام على عودته إلى الإمارة حتى قضى نحبه[2].

وبعد وفاته، اتفق العلماء ورجال الدين والأعيان في كردستان على تعيين ابنه محمود بك خلفاً له لتفادي ما قد يقع من صراع بين الأمراء البابانيين[3].

1 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 130- 131.

2 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 261- 262.

3 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج 10، ص 122. رسول الكركوكلي: نفس المصدر، ص 261- 262.

الفصل الخامس

سقوط الإمارة البابانية

محمود باشا يتسلم منصب الإ مارة

بعد وفاة عبد الرحمن باشا بابان عام 1813م، وبالنظر لما كان يتمتع به هذا الأمير من قوة، وما قدمه من تضحيات في سبيل الحصول على استقلال للإمارة البابانية، فأن الأمراء والأعيان والمشايخ في كردستان، والذين كانوا يتمتعون بمكانة محترمة لدى الحكام والناس، أجمعوا على تعيين ابنه محمود بك أميراً في محله تفادياً لما قد يحصل من مشاكل بين الأمراء البابانيين حول تولي هذا المنصب[1]. ويبدو أن الإبن كان على شاكلة أبيه، فقد إنتهج هذا الأمير نهج والده عبد الرحمن باشا في ميله إلى الفرس مدة طويلة. وكان الفرس قد ساعدوا محمود باشا على تقلد منصب الإمارة البابانية[2].

وفي هذه الأثناء قتل الوالي عبد الله باشا في حملته على المنتفق، التي لجأ اليها سعيد بك بن سليمان باشا الكبير. وهو الذي تسلم منصب باشوية بغداد فيما بعد. وقد وافق سعيد باشا (1813- 1816م) على إصدار أمر بتعيين محمود باشا أميراً على البابان، وعهد إليه أيضاً بكويسنجق وحرير[3].

ونتيجة لقلة خبرة الوالي بشؤون الحكم والإدارة ووقوعه تحت تأثير شاب يدعى حمادي، فقد عمت الفوضى أرجاء البلاد واختل النظام الأمني بين العشائر العربية والكردية. ومما زاد الأمر خطورة، قيام الوالي بعزل محمود باشا بابان من

---

1 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 261- 262.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج 10، ص 122، ج 11، ص 22.

3 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها ص 134.

منصب الإمارة عام 1815م، وبدون مبرر، وذلك تحقيقاً لرغبة حمادي، ومن ثم أصدر أمراً بتعيين عبد الله باشا شقيق عبد الرحمن باشا الذي كان يقيم في بغداد[1]، أميراً على السليمانية، وأرسل معه قوة لتنفيذ الأمر. لكن إستنجاد محمود باشا بقوة من الحكومة الفارسية، أدى إلى رجوع عبد الله باشا مع قواته من حيث أتى[2].

وبهذا يكون حكم محمود باشا بداية لتدهور قوة الإمارة وتفكيرها في الإستقلال. فقد بدأ تدخل العثمانيين والفرس - كما كان في السابق وبشكل أكثر إلحاحاً - في شؤون الإمارة البابانية، مما أضعف من قوتها[3]، رغم الجهود التي بذلها محمود باشا من أجل وحدة وتماسك الأمراء البابانيين[4].

داود باشا في كردستان

وبسبب تردي الحالة في العراق عامة وبغداد خاصة في عهد الوالي سعيد باشا بن سليمان الكبير[5]، فقد غادر بغداد جماعة من المقربين للوالي إلى كرمنشاه[6]. وبتأثير حمادي، عزل داود

---

1 - كان أخوة عبد الرحمن باشا، وهم عبد الله بك وأحمد بك وعمر بك، قد تخلوا عن محمود باشا وأقاموا ببغداد تحت رعاية واليها.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 21- 22. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 263- 269.

3 - جليلي جليل: المصدر السابق، ص 62.

4 - ريج: المصدر السابق، ص 103.

5 - سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 53. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 270.

6 - لونكريك: المصدر السابق ص 224.

أفندي (داود باشا) من منصب الدفتردارية، وقبع في داره يترقب الأحداث، كما عزل أناس آخرون من مناصبهم[١].

وخلال وجود حالت أفندي في بغداد، الذي جاء للتحقيق مع سليمان باشا الصغير، تعرف عليه داود أفندي وقامت بينهما صداقة، وقد بدأ داود يراسله ويوضح له سوء الحالة في بغداد على عهد سعيد باشا[٢]، وسوء تدبيره في قضية البابانيين[٣]. وكان الوالي قد رتب خطة لقتل داود أفندي، فلما علم هذا بما يدبر ضده[٤]، أراد أن يسلك مسلك سعيد باشا حينما ذهب إلى المنتفق وأصبح والياً، فخرج مع أتباعه وبعض زعماء المماليك من بغداد[٥] متظاهراً بالرغبة في الصيد والقنص، ولكنه اتجه من هناك إلى كردستان[٦].

ومما يجب الإشارة إليه أن السياسة التي اتبعها سعيد باشا والي بغداد، والخاصة بتفضيل العرب على الأكراد كانت سياسة خاطئة، أدت إلى توسع الهوة بين العرب والأكراد وزادت من تفكك المجتمع العراقي، خصوصاً وأن الأكراد يتصفون بسرعة الميل نحو إيران التي تقف على استعداد دائم لتقديم العون للبابانيين[٧] وتحاول السيطرة على العراق الذي خرج من يدها

---

[1] – جعفر الخياط: المصدر السابق، ص 274.

[2] – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 148.

[3] – لونكريك: المصدر السابق، ص 223.

[4] – يوسف عز الدين: داود باشا ونهاية المماليك في العراق، بغداد 1967، ص 30.

[5] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11 ص 23. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 271.

[6] – سليمان فايق: تاريخ المماليك الكوله من، ص 25.

[7] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 61.

عام 1534م عندما احتل السلطان العثماني سليمان القانوني (1520- 1566م) بغداد[1].

وعلى أية حال، فأن داود أفندي إتجه نحو الشمال، حيث كان محمود باشا المناوئ القوي لسعيد باشا، والمستعد لدعم داود أفندي ضد والي بغداد. ولما علم محمود باشا بقدوم داود، أرسل يستدعيه إلى السليمانية، وأكد له أنه سيقطع كل علاقة مع الشاهزادة محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه، وأن القوات البابانية ستكون تحت إمرته. وقد خرج الأمير البابان والأشراف من آل بابان لاستقباله. وكان قد فر من قبل إلى إيران بعض البابانيين، مثل سليمان باشا بن إبراهيم باشا ومتسلما كركوك والبصرة خليل آغا ورستم آغا وآغا الإنكشارية سيد علوي، ولكن هؤلاء عادوا إلى السليمانية وانضموا إلى حلف داود أفندي. وقد إنضم إليه أيضاً أهالي كركوك الذين رفعوا طلباً إلى الباب العالي يطالبون فيه بتعيينه والياً على بغداد.

ومكث داود أفندي في السليمانية مدة أربعين يوماً ينتظر رد الأستانة، ثم تحرك إلى كركوك، وشرع يتخذ بعض الإجراءات وكأنه الوالي، فأرسل يستدعي خالد باشا بابان حاكم كويسنجق وحرير، إلا أنه رفض، فبعث داود باشا قوة عسكرية بقيادة عثمان بك بن محمود باشا إلى كويسنجق وحرير، فدخلها دون مقاومة. كما رفض عبد الله باشا، المعين من قبل سعيد باشا لمنصب الإمارة البابانية، الإنضمام إلى حلف داود باشا، لكن

---

1 - جيمس بكنغهام: رحلتي إلى العراق، ترجمة سليم طه التكريتي. بغداد 1970، ص 136-137.

عبد الله باشا لم يستطع تسلم منصبه بسبب مقاومة محمود باشا له، ومساندة إيران للأخير.

وقد أحس أخيراً سعيد باشا بما وصلت إليه الحال، فشرع يصلح ما أفسد من أمور، لكن بعد فوات الأوان، حيث تمكن داود من الحصول على فرمان من الأستانة بولاية بغداد والبصرة وشهرزور[١]. وقام سعيد باشا على الفور بإبعاد حمادي من منصب الخزندار، وعين بدله يحيى الميراخور، كما عين درويش آغا كتخدا، وكذلك أصدر سعيد باشا أوامر أخرى بتعيين بعض الشخصيات في مناصب الدولة، لعله يرضي أنصارهم الناقمين على أعماله وتأثير حمادي عليه[٢].

ومن ناحية أخرى، فقد إستعد سعيد باشا عسكرياً لمواجهة الموقف فدعا إليه حمود الثامر شيخ عشائر المنتفق، وكذلك وصل عبد الله باشا البابانى إلى بغداد على رأس قوة مؤلفة من الفي وخمسمائة مقاتل[٣]. وبالإضافة إلى تلك القوات، كانت هناك أيضاً قوة الإنكشارية المكلفة بالدفاع عن مدينة بغداد، إلا أن سعيد باشا لم يحسن إستخدام تلك القوات الكبيرة التي كانت بحاجة إلى قائد يوجهها[٤].

وبالرغم من تلك الإجراءات والإستعدادات التي إتخذها

---

[1] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 23– 27. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 270– 276. أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 135– 137.

[2] – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج 6، ص 233.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 138.

[4] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 69.

سعيد باشا، إلا أن دهاء وسياسة داود أفندي الناجحة، وكثرة الأعوان الذين التفوا حوله، مكنوه من السيطرة على الأوضاع في بغداد والقضاء على مناوئيه من أعوان سعيد باشا[1]. ومن أهم العوامل التي ساعدت على نجاح داود أفندي، إتفاقه مع محمود باشا البابانى، الذي كانت لديه قوة عسكرية كبيرة من الجيش البابانى. وقد جاء ذلك لصالح الطرفين (الدولة العثمانية، ومحمود باشا)، وكان دليلاً على ذكاء داود باشا ومحمود باشا. فقد تخلصت الدولة العثمانية، كنتيجة لإبقاء محمود باشا بابان في منصبه، من غارات الجيوش الفارسية على الأرض العراقية. أما البابانيون فأنهم احتفظوا بحكمهم الذاتي الذي كانوا يتمتعون به في ظل الحكم العثماني من قبل، وتخلصوا من دفع الأموال للشاه الفارسي وتعصبه الديني[2].

وبعد هذا النجاح، استتب الأمر لداود باشا في بغداد عام 1816م، وبدأ المعارضون السابقون من آل بابان يطلبون العفو منه. ولكسب المزيد من التأييد، فقد عفا داود باشا عن أهل كركوك الذين سبق وأن تمردوا ضده، كما عهد بحكم مقاطعتي كويسنجق وحرير إلى محمود باشا بابان، إضافة إلى إمارته[3].

---

1 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11 ص 26. عباس العزاوي: نفس المصدر، ج6 ص 238.

2 – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 67.

3 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 138.

محمود باشا ينقض العهد

ساءت العلاقات السياسية التي كانت تربط بين داود باشا ومحمود باشا، وانقلبت من صداقة مقسم عليها إلى إنشقاق علني. وكان من له علاقة حسنة بكل من داود ومحمود، يلوم الأخير على إنقلابه ضد صديقه وحليفه داود باشا[١]. وكان محمود باشا قد تعهد لداود باشا أثناء مكوث الأخير في كردستان، بأن الإمارة البابانية سوف تقطع كل علاقة لها مع الحكومة الفارسية. وبالفعل فقد التزم الأمير البابانى محمود باشا، بذلك التعهد فترة من الزمن، إلا أن تهديدات الشاهزادة محمد ميرزا حاكم كرمنشاه وضغطه على محمود باشا، وعدم ثقة الأخير بوالي بغداد والدولة العثمانية، اضطره إلى نقض ما تعهد به[٢].

ومن المعروف أن الحكومة الفارسية كانت تعمل وبإستمرار على أن يكون لها النفوذ القوي في منطقة شهرزور لتستطيع به التأثير على حكومة بغداد. ومن جانب آخر، كان حكام كرمنشاه وأعيانها يستفيدون من الأموال التي كان يقدمها لهم الأمراء البابانيون باسم الهدايا، كما كان حكام كرمنشاه يستوفون الرسوم من العشائر الكردية مقابل رعي مواشيهم في تلك المناطق[٣].

ولقد نجح الشاهزادة في مسعاه لاستمالة محمود باشا بابان إلى جانبه من جديد. وقد بدأ الأخير بإهمال ما يرد من بغداد من

---

1 - لونكريك: المصدر السابق، ص 231.

2 - أحمد جودت: المصدر السابق، ج11 ص 30. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 282.

3 - أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 138- 139.

أوامر. فأرسل له داود باشا كتخداه عناية الله آغا ينصحه من عاقبة تماديه هذا وميله نحو الفرس، إلا أن محمود باشا لم يستمع إلى تلك النصائح، بل إضافة إلى ذلك حاول إرسال شقيقه حسن بك كرهينة للشاهزادة للدلالة على تحالفه معه وعلى حسن نواياه مع الحكومة الفارسية[1].

ونتيجة لتلك الأعمال، فقد قرر الوالي داود باشا أن يضع حداً لذلك التمادي، وأن يضع حداً للتدخل الفارسي في شؤون كردستان وذلك باتباعه سياسة الحزم والشدة - في الوقت المناسب - وعدم التردد في إتخاذ ما يريد تحقيقه حتى لو استدعى ذلك إستخدام القوة التي كانت الأساس في إعادة الأمور الطبيعية إلى كردستان[2]. ولكن لما لم يكن في إستطاعته - في ذلك الوقت المبكر من حكمه - أن يتبع تلك السياسة ضد الأمير البابان، فانه اتبع الأسلوب القديم الذي سار عليه ولاة بغداد من قبل لمواجهة ثورات وتمردات الأكراد، والقائم على الأسلوب التالي:

1: تضييق الخناق على الأمير الكردي الحاكم، وذلك بالاستيلاء على بعض المواقع الكردية التابعة لسيطرته والمحيطة بالسليمانية مثل كويسنجق وأربيل وآلتون كوبري[3].

2: إستمالة أحد الأمراء البابانيين إلى جانب حكومة بغداد[4].

---

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 282– 283. أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 30.

[2] – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 225.

[3] – علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 225.

[4] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 30.

ومن الجدير بالذكر أن كلتا الخطتين العسكرية والسياسية كانت سهلة التحقيق، وذلك لأن قوة باشا كردستان مهما عظمت فهي مهددة بخطرين:

- قوة الجيش المملوكي في بغداد.
- خيانة أحد أعضاء الأسرة البابانية للباشا الباباني الحاكم[١].

وبعد عودة عناية الله آغا كتخدا داود باشا من السليمانية دون أن يقنع محمود باشا بابان بالرجوع إلى حضيرة الدولة العثمانية، قرر الوالي عزل محمود باشا عن مقاطعتي كويسنجق وحرير، ومن ثم أرسل قوة عسكرية كافية لتحقيق ذلك الغرض، وقد عهد بقيادة تلك القوة إلى الكتخدا، وكان حسن بك شقيق محمود باشا الرهينة المرتقبة للشاهزادة، ولما سمع بتلك القوى وهو في طريقه إلى كرمنشاه، عاد ومن معه إلى بغداد، حيث استقبله الوالي ومنحه لقب أمير الأمراء، وأناط حكم مقاطعتي كويسنجق وحرير بعهدته[٢].

أما محمود باشا، فانه بعد أن علم بتلك الإجراءات التي إتخذها داود باشا ضده، إستنجد بالحكومة الفارسية لتثبيته في منصبه وإعادة المقاطعات التي أُخذت منه، فاستجابت الحكومة الفارسية لندائه هذا وأرسلت له ثلاثة جيوش[٣]:

---

[1] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 124.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 30. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 282– 283.

[3] – رسول الكركوكلي: نفس المصدر ص 283.

1: جيش بقيادة محمد علي خان، سار نحو كردستان[1].

2: جيش من قوات لورستان سارت نحو مندلي بقيادة حسن خان فيلي.

3: جيش بقيادة علي خان كلهر[2] وكُلي علي خان ساروا نحو بدرة وجصان[3].

ونتيجة للتحركات العسكرية الفارسية على حدود العراق، فقد أخبر داود باشا والي بغداد السلطات العثمانية بذلك، وقام هو من جانبه بإتخاذ ما يلزم من الإجراءات لدرء الخطر القادم. فأرسل قواتاً من الجيش المملوكي باتجاه القوات الفارسية المتجهة إلى الأراضي العراقية، ولكن في هذا الوقت الحرج لوالي بغداد، حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد فر صادق بك شقيق سعيد باشا عام 1818م إلى عشيرة زبيد في جنوبي العراق في محاولة للحصول على مساعدتهم في طرد داود باشا من بغداد ليتسنى له تسلم باشوية بغداد، كما فعل شقيقه سعيد باشا من قبل. هذا الأمر أجبر دواد باشا على التريث في السير بقواته باتجاه الشمال للحاق بالقوات التي أرسلها من قبل، واتجه بدلاً من ذلك إلى الجنوب للقضاء على تمرد العشائر العربية التي تحاول مساندة صادق بك، وأرسل نيابة عنه قوات إضافية بقيادة عبد الله باشا بابان - عم محمود باشا - إلى الشمال.

---

1 – رسول الكركوكلي: نفس المصدر، ص 283.

2 – الكلهر عشائر كردية في إيران، وهي إحدى فروع الأكراد الأربعة.

3 – مقاطعات عراقية قريبة من الحدود الإيرانية.

إن تلــك الإســتعدادات الــتي اتخــذها داود باشــا، أهابــت بالـشاهزادة محمـد علـي مـيرزا، أن يتـولى قيـادة قواتـه بنفسه. وبعـد قـضاء الـوالي داود باشـا علـى تمـرد العـشائر العربيـة في الجنوب، اتجه بالقوات التي كانت معه إلى الشمال لمساندة قواته التي كان قد أرسلها من قبل، وكانت تلك القـوات قـد تمكنـت مـن صد القوات الفارسـية ومـن ثـم اسـتطاعت أن تـدحرها. وعنـدما علم الشاهزادة بهزيمـة قواتـه، وتقـدم داود باشـا نحـو كردسـتان، لم يجروء علـى التحـرك وركـن إلى الطـرق الـسلمية لحـل المشاكل المعلقة بينهما[1].

ومما يجـب الإشـارة إليـه أن الطـرفين كانـا راغـبين في الحـل السلمي لما كانا يعانيان من مشاكل داخلية وخارجيـة. فالحكومـة الفارسية كانت تعمل في ذلك الوقت على تكتـل العـالم الإسـلامي ضـد روسـيا الـتي كانـت تحـاول اسـتغلال الـصراع العثمـاني الفارسـي للتدخل في شـؤونهما، ولـذلك لم يقـف الـشاه فـتح علـي (1797- 1834م) إلى جانب الشاهزادة محمـد علـي مـيرزا حـاكم كرمنـشاه في تحركـه العـسكري ضـد العـراق[٢]. وكـان داود باشـا أيضاً يعـاني وضـعاً مـضطرباً بـسبب ثـورات العـشائر العربيـة في الجنوب، وخوفه أيضاً من تجمع القوات التي يرسـلها العثمـانيون إلى بغداد لمساعدته ضد الهجمات الفارسـية، وخوفـه كـذلك مـن تكرار حادثة عمر باشا والي بغداد (1764-1775م)، حين جاءت القـوات العثمانيـة لمـساعدته ضـد كـريم خـان الزنـد (1758-

---

[1] - رسـول الكركوكلي: المـصدر الـسابق، ص 283- 286. أحمـد جـودت: المـصدر السابق، ج 11، ص 30.

[2] - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد ص 169.

1775م)، الذي احتلت قواته مدينة البصرة عام 1776م، لكن القوات العثمانية تلك لم تقم بواجبها، بل تآمرت على الوالي عمر باشا، وخلعته من منصبه في ولاية بغداد، ولم تكتف بذلك بل قتلته بعد ذلك.

إن تلك المخاوف دفعت الوالي داود باشا إلى أن يكتب إلى الباب العالي، بأنه لم يعد في حاجة إلى قوات إضافية[1]، لأن المشاكل التي كانت السبب في تحرك الجيش الفارسي باتجاه الحدود العراقية قد زالت، وأن الأمور قد عادت إلى مجراها الطبيعي. وعلى هذا فقد تم الصلح ـ ولو بصورة مؤقتة ـ بين داود باشا والشاهزادة محمد علي ميرزا عام 1818م، وكانت شروط هذا الصلح:

1: أن يبقى محمود باشا أميراً على السليمانية، وأن تضم إليه مقاطعتي كويسنجق وحرير مرة أخرى، على أن يكون مطيعاً لأوامر بغداد.

2: أن يصدر الوالي داود باشا أمراً بالعفو عن الذين التجأوا إلى الأراضي الفارسية من آل بابان وغيرهم، ومن ثم إعادتهم إلى مناصبهم التي كانوا فيها.

3: إنسحاب القوات الفارسية من مندلي وبدرة وجصان[2].

ومع أن هذا الصلح تم بموافقة الطرفين، إلا أن الحكومة الفارسية ظلت ترعى سياسة إستمالة البابانيين نحوها كي تضمن وقوفهم ضد والي بغداد داود باشا، إذا اقتضى الأمر. ومن جانب

---

[1] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 32-33.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 286.

آخر، تم الصلح بين عبد الله باشا بابان وعمه محمود باشا بابان، وقد عهد للأول مقاطعتي كويسنجق وحرير بناء على توصية من الشاهزادة، الذي بعث بذلك إلى محمود باشا بابان[١].

محمود باشا يسعى لوحدة البابان

بعد أن سويت المشاكل التي وقعت بين داود باشا والي بغداد والأمير البابانـي محمود باشا[٢]، وبدأ الأخير بالعمل لوضع حد للنزاع الدموي المدمر بين أمراء البابانيين، وشعر بأن من واجبه توحيد كلمة الأسرة البابانية، وأن هذا العمل لا يأتي ثماره إلا عن طريق جمع شمل كبار الأسرة البابانية وتبصيرهم بالأخطار التي تحيط بهم وبالإمارة نتيجة ذلك النزاع، إضافة إلى تدخل الدولتين العثمانية والفارسية في شؤونهما[٣].

ولأن محمود باشا كان يعلم أن الشاهزادة لن ينفك عن مطالبته بالثلاثين ألف تومان التي كان يدفعها الأمراء البابانيين الذين كانوا يعودون إلى مناصبهم في الإمارة بمساعدة الحكومة الفارسية، وأن محمود باشا إذا رفض دفع ذلك المبلغ فإن الشاهزادة محمد علي ميرزا - لا شك - سيؤلب على محمود باشا أحد الأمراء البابانيين، فقد بدأ محمود باشا يعمل من أجل جمع شمل الأسرة، فأرسل والدته إلى بغداد لإحضار حسن بك[٤]

---

1 – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6 ص 255.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 138.

3 – ريج: المصدر السابق، ص 10.

4 – ريج المصدر السابق، ص 75.

الذي لجأ إلى بغداد بدلاً من كرمنشاه، كما استدعى محمود باشا أمراء البابانيين الذين كانوا يقيمون في كل من بغداد وكرمنشاه، فجاء عمه عبد الله باشا من بغداد وشقيقه عثمان بك من كرمنشاه، فاجتمع كل من محمود باشا وعبد الله باشا وعثمان بك وسليمان مع الشيخ خالد النقشبندي الذي كان يحظى باحترام وتقدير سكان السليمانية، وأقسم الجميع يمين الولاء أمام الشيخ على أن يقوم كل واحد منهم بتسليم الشيخ ما يريده من رسائل من كلا الجانبين البغدادي أو الفارسي - لعل هذه الطريقة تقضي على المؤامرات التي تدبر ضد الأمير الباباني الحاكم في السليمانية - على أن لا تفتح هذه الرسائل إلا في دار الشيخ وأمام الجميع.

ويبدو أن أول من أختبر في ذلك هو عثمان بك الذي تلقى كتاباً من الشاهزادة يدعوه إلى كرمنشاه ويعده بتسليم باشوية السليمانية. وكان عثمان قد أظهر هذا الكتاب أمام الجميع، كما تم الإتفاق على ذلك. غير أن عبد الله باشا تلقى كتاباً بنفس المعنى، ولكنه أخفاه إلا أن أمر ذلك الكتاب قد عرف بطريقة ما، فوضع محمود باشا عمه عبد الله باشا تحت المراقبة للتأكد من خيانته. وبالفعل، فقد قام خزندار عبد الله باشا بابلاغ محمود باشا الأمير الباباني بأن عمه يعد العدة للهرب إلى كرمنشاه، فألقى القبض عليه إلا أن محمود باشا سرعان ما أطلق سراحه ومن ثم أكرمه، وأخذ يستشيره بشؤون الإمارة وكان هدف محمود باشا من ذلك، هو الإبقاء على وحدة الأسرة.

وكان تفكير محمود باشا، أنه في حالة صفاء قلوب البابانيين، فإنه سيقوم بتوزيع المناصب على جميع الأمراء لكي يقضي على تلك المؤامرات المدمرة، بحيث يصبح كل أمير من الأمراء يحكم مقاطعة من المقاطعات التابعة للسليمانية العاصمة[١].

الحرب العثمانية الفارسية (1820-1821)

وأثرها على الإمارة

كان الصلح المنعقد بين داود باشا والي بغداد والشاهزادة محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه عام 1818م مؤقتاً[٢]، حيث كانت أسباب الإحتكاك والتصادم بينهما تعمل في الخفاء[٣]، فقد كان طمع شاهات فارس في الإستيلاء على العراق[٤] غاية من غاياتهم في العصر الحديث، مثلما كان في العصور الوسطى والقديمة. فكانت الحكومة الفارسية ترسل الجيش أثر الجيش اليها والدولة العثمانية تحث ولاتها على الدفاع عن حدود الدولة، وكانت تشحن المدن بالحاميات العسكرية وتدفعها لاجتياح الأراضي الفارسية. ورغم عنف ذلك الصراع، فقد عقدت الحكومتان بينهما عدة معاهدات بين سنتي 1639 و1847 لتسوية المشاكل ولتحديد الحدود بينهما، إلا أن عدم وضوح تلك الحدود كان باعثاً لإثارة ذلك الصراع[٥]. ومع أن تلك المعاهدات قد

---

1 – المصدر السابق، ص 103- 104.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 141.

3 – لونكريك: المصدر السابق، ص167.

4 – يوسف عز الدين: المصدر السابق، ص 44.

5 – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 159.

قسمت كردستان بينهما، إلا أنهما لم تستطيعا فرض سيطرتهما على أي من العشائر الكردية بصورة فعلية، وذلك بسبب تذبذب مواقف العشائر من الدولتين العثمانية والفارسية[١].

فأسباب الصدام المسلح بينهما إذن لم تكن فقط بسبب لجوء أمراء آل بابان للحكومة الفارسية لطلب مساعدتها في استرداد مناصبهم، بل أن هناك عدة عوامل اجتمعت فأدت إلى إشتعال نار الحرب: فقد كانت فارس تختلق الحجج ضد الدولة العثمانية وولاة بغداد لكي تتيح لها الفرصة للتدخل في شؤون العراق[٢]. فكانت مثلاً تتذرع بالمعاملة السيئة التي كان يلاقيها زوار العتبات المقدسة في النجف وكربلاء[٣]. ومن جهة أخرى، كان ولي العهد الفارسي وحاكم أذربيجان عباس ميرزا لا يبالي بحكومة الشاه فتح علي، أو بنود الصلح المعقود بين الدولتين، وكان الذي يدفعه إلى ذلك العمل القنصل الروسي في تبريز، فوجدت الحكومة الفارسية في التأييد الروسي تشجيعاً لها على أن تعوض ما خسرته من أراضي بعد عقد معاهدة كلستان[٤] مع روسيا [٥]، كما أن الشاهزادة محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه كان قد وجد خير حجة يشن بها هجوماً واسعاً على العراق، ذلك أن داود باشا والي بغداد قد امتنع عن تقديم التبريكات والتهاني المعتادة للشاه.

---

1 – خالفين: المصدر السابق، ص 13.

2 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 296.

3 – لونكريك: المصدر السابق، ص 167.

4 – عقدت هذه المعاهدة عام 1813م بين روسيا وإيران. وكانت المعاهدة كارثة على إيران إذ تخلت الأخيرة عن معظم أراضيها لروسيا. أنظر– زكي صالح: موجز تاريخ العراق، بغداد 1949، ص 118.

5 – عبد العزيز نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، القاهرة 1974، ص 26.

وكان المتعارف عليه بين الدولتين، أن يقدم ولاة بغداد في المناسبات والأعياد التهاني للشاه الفارسي، كما كان ولاة بغداد - قبل داود باشا - يحضرون الحفلات الرسمية التي كانت تقيمها المعتمدية الفارسية في بغداد. وقد امتنع داود باشا عن ذلك، فأرسلت الحكومة إحتجاجاً إلى الوالي جاء فيه: «إن الصداقة بين الدولتين التي أسسها الوالي المتوفى سليمان باشا قد جرت العادة بموجبها على أن يقدم ولاة بغداد في أيام الأعياد والمناسبات التهاني إلى الشاه، ولكن داود باشا منذ أن تولى الباشوية قد إنقطع عن تقديم مثل هذه التبريكات، ويطلب الشاه من الوالي إستمرار هذه العادة لأن قطعها يؤدي إلى الخصومة والنفرة بين الدولتين»[١].

ولم يلتفت داود باشا إلى هذا الاحتجاج[٢]، بل أرسل جوابه بيد المعتمد المبعوث من الحكومة الفارسية، كما أرسل في الوقت نفسه نسخة من ذلك الاحتجاج إلى استانبول مع نسخة من رده على الشاه، وانصرف داود باشا بعد ذلك إلى تقوية الحدود[٣].

وبعد رد الوالي في عام 1820م، تحولت السلطات الفارسية من سياسة الضغط على العراق إلى سياسة التوسع على حسابه، وفرضت فارس بذلك حرباً على العراق[٤]. ومن الجدير بالذكر إن كافة المحاولات التي قام بها باشوات بغداد الذين حكموا بعد سليمان باشا الكبير (1780- 1802م) لاستعادة

[1] – محمد عطا الله أفندي: تاريخ شاه زادة، ج3، استانبول 1284هـ ، ص 71- 72.

[2] – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 11، ص 32.

[3] – أحمد جودت: نفس المصدر، ج 11، ص 33.

[4] – عبد العزيز نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، ص 26.

سلطتهم في كردستان، كانت تصطدم بمقاومة القوات الفارسية التي تدعم وتساند الأمراء البابانيين الموالين لها، فقرر الوالي داود باشا وضع حد لتلك الحالة[1].

وكانت الظروف السياسية في كل من السليمانية وبغداد - هذه المرة - تقضي بتعاون محمود باشا بابان وداود باشا من جديد ضد الخطر الفارسي. فداود باشا لا يريد أن أن يرى نفوذه تنهار في كردستان، وكان الشاهزادة محمد علي ميرزا من جانبه يريد أن يجني ثمار نجاح حملته عام 1818م التي أبقت محمود باشا بابان في منصبه في الإمارة البابانية[2]، فأرسل الشاهزادة إلى محمود باشا يطلب الأموال التي يجب أن يدفعها الأمير الباباني مقابل بقائه في منصبه بمساعدة الحكومة الفارسية[3]، بالإضافة إلى طلب الشاهزادة الآخر الذي يقضي بمنح عبد الله باشا بابان - المقرب الآن للشاهزادة - حكم مقاطعة كويسنجق[4]. ولا شك أن عدم تلبية تلك المطالب وفرار عبد الله باشا إلى فارس، قد أدى إلى خلافات بين محمود باشا بابان والشاهزادة محمد علي ميرزا من جانب، وبالتالي أدى إلى تفاهم بين داود باشا والي بغداد ومحمود باشا الأمير الباباني من جانب آخر. فالأول كان بحاجة إلى عون ومساعدة الثاني

---

[1] - لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة الدكتورة عفيفة البستاني، موسكو 1971، ص 89.

[2] - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 124.

[3] - أرسل الشاهزادة محمد علي ميرزا مبعوثه المدعو باقرخان يطلب من محمود باشا بابان مبلغ ثلاثين ألف تومان، والتومان عملة إيرانية.

[4] - عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 255.

لتخليص المنطقة الشمالية من العراق من النفوذ الفارسي كما أن محمود باشا من جانبه لم ير سنداً آخر . في هذا الوقت الذي أصبح فيه بعيداً عن عون الفرس - غير داود باشا ليواجه الضغط الفارسي بقوة بغداد العسكرية المنظمة[1].

هذا وبينما كان داود باشا مشغولاً بتنظيم شؤون بلاده، وصلته الأخبار عن تحركات البابانيين الفارين والمتجمعين في كرمنشاه باتجاه الحدود العراقية، حيث قاموا بنهب القرى في طريقهم إلى خانقين[2]. كما أرسل الشاهزادة مع عبد الله باشا قوة إضافية تقدر بحوالي خمسة آلاف جندي إلى السليمانية. ولما علم أن هدف الشاهزادة من تلك التحركات هو طرد محمود باشا المدعم من حكومة بغداد، وتعيين عبد الله باشا بدلاً منه في باشوية السليمانية[3]، أرسل داود باشا من جانبه قوة عسكرية لمساعدة محمود باشا ضد ذلك الغزو. ولهذا لم يستطع عبد الله باشا احتلال السليمانية بالرغم من تلك القوة العسكرية التي كانت بصحبته، فأضطر إلى طلب نجدة أخرى من الشاهزادة، فأرسل الشاهزادة قوة أخرى لمساعدة عبد الله باشا، بالإضافة إلى تلك القوات، كما انضمت إلى الجيش الفارسي الذي يقوده عبد الله باشا قوات رئيس عشائر الجاف المسمى كيخسرو بك، والذي كان محمود باشا يعتبره القوة الإحتياطية للجيش الباباني. وبهذه القوات تمكن عبد الله باشا

---

[1] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 170– 171.

[2] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 295– 296.

[3] – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 130. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 296.

من احتلال مقاطعتي زهاو وزنكآباد(١).

أما الإستعدادات العسكرية التي اتخذها داود باشا لمواجهة الحشود العسكرية الفارسية على الحدود العراقية، فأنه بالإضافة إلى تلك القوة التي أرسلها لمساندة محمود باشا، استدعى اليه فتاح آغا، الذي كان الوالي قد أرسله لمحاربة عشيرة بني لام. وقام الوالي أيضاً بوضع قواته المتواجدة في بغداد على أهبة الإستعداد لمواجهة الموقف. ولما طلب محمود باشا نجدة إضافية من داود باشا بعد التحاق عشائر الجاف بالشاهزادة، أرسل الوالي داود باشا على أثر ذلك كتخداه محمد آغا على رأس قوة عسكرية لمساعدة محمود باشا، فوصل الكتخدا بتلك القوات إلى منطقة باريكة(٢) وعسكر فيها. وقد اطمئن محمود باشا لوجود تلك القوات لمقاومة زحف عبد الله باشا والقوات الفارسية المرافقة له(٣).

وبالرغم من تلك الإستعدادات والإجراءات التي اتخذها داود باشا لمواجهة الموقف، فأنه رأى أن من واجبه أن يعلم الدولة العثمانية بذلك، وعن تحركات القوات الفارسية باتجاه الحدود العراقية، وبقيام عباس ميرزا ولي العهد وحاكم اذربيجان باحتلال بعض الأقسام الشمالية من كردستان. وعلى ضوء تلك المعلومات، أصدر السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839م) أمراً بإعلان الحرب على الحكومة الفارسية، وفي نفس

---

[1] - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 297. أمين حسن المدني: نفس المصدر، ص 142.

[2] - باريكة: منطقة في كردستان، تقع شرق توزخورماتو من توابع مدينة السليمانية.

[3] - أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 171- 172.

الوقت أرسل السلطان نجدة لوالي بغداد تقدر بحوالي خمسة آلاف جندي ألباني. وقد عزز داود باشا تلك القوة بأن أرسل معها ثلاثين مدفعاً للدفاع عن حدود العراق(١).

وإضافة إلى كل ما سبق إعداده لمواجهة الموقف، قام داود باشا بإرسال شقيقه أحمد بك على رأس قوة عسكرية لمساندة الكتخدا محمد آغا، الذي كان قائداً عاماً لتلك القوات(٢). وقد حثّ الوالي قائد جيوشه على الصمود وعرقلة تقدم القوات الفارسية الغازية. ومما يذكر أن جميع قوات الدولة العثمانية قد تجمعت في منطقة باريكة، غير أن هذه المنطقة كانت قد اجتاحتها الأوبئة والأمراض، مما أصاب الجيش العثماني بأمراض وأفقده القدرة على الدخول في الحروب، علاوة على سوء الأحوال الجوية. ونتيجة لهذه الظروف غير طبيعية(٣)، لم تستطع القوات الباقية من الجيش العثماني مقاومة الجيش الفارسي المنظم والكثير العدد والمجهز بالأسلحة(٤)، فانتهز عبد الله باشا بابان فرصة ضعف الجيش العثماني وتقدم نحوه(٥).

أما الكتخدا محمد آغا، فرغم تحذيرات الوالي له بعدم إقحام جنوده المرضى في حرب مع قوات الشاهزادة، وطلب إليه المجيء إلى بغداد للتباحث معه في أمور مهمة، إلا أنه دخل في معركة مع القوات الفارسية الأكثر قوة وعدداً، فأدت تلك المعركة

---

[1] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 296. سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 67.
[2] – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 143.
[3] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 143.
[4] – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 74.
[5] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 297.

غير المتكافئة إلى إلحاق الهزيمة بقوات داود باشا وقوات محمود باشا بابان[١]. وتمكنت القوات الفارسية من دخول السليمانية ونصبت عبد الله باشا بابان أميراً على الإمارة البابانية[٢].

ومما يجب الإشارة إليه أن الكتخدا محمد آغا في أثناء اشتداد المعركة، ترك جيش داود باشا والتحق بقوات الشاهزادة مع بعض أتباعه وترك مدفعية الجيش ومعداته غنيمة للعدو[٣].

وقد اختلف المؤرخون في تعليل أسباب هزيمة جيش داود باشا، فعثمان بن سند يذكر أن هدف الكتخدا محمد آغا من دخوله الحرب ضد القوات الفارسية بجنوده المرضى والقليلي العدد، هو إبادة ما تبقى منهم ليضعف من قوة داود باشا، كي يستولي هو - أي محمد آغا - بعدها على بغداد (التي وعده بمنصبها الشاهزادة)، حيث كانت تجري بينهما إتصالات سرية أثناء وجود الكتخدا في باريكة[٤]. بينما يؤكد رسول الكركوكلي، أنه كان هناك إتصال بين الكتخدا والشاهزادة، وأن الأول قد أطلع الثاني على حالة الجيش البغدادي[٥].

أما مؤلف ناسخ التواريخ فيقول: «إن محمود باشا كان قد أرسل رسولاً إلى الشاهزادة يخبره بأنه في حالة العفو عنه فأنه سيلتحق به ويحارب معه قوات الكتخدا»[٦].

---

[1] – أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 143.

[2] – لونكريك: المصدر السابق، ص 233.

[3] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 298.

[4] – أمين حسن مدني: المصدر السابق، ص 143.

[5] – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 73، 75.

[6] – ناسخ التواريخ– قسم القاجارية: نقلاً عن عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 276- 277.

ومهما يكن الأمر، فأن نجاح القوات الفارسية في احتلال كردستان قد جعلها تحت سيطرة الحكومة الفارسية ولو بشكل مؤقت، وجعل أمراء كردستان يؤدون الضرائب إلى الشاه الفارسي خلال فترة وجودهم فيها، عدا ما كان يقدم من هدايا[1]. كما أن ذلك الإنتصار قد جعل الطريق مفتوحاً أمام الفرس للوصول إلى بغداد في محاولة للسيطرة عليها[2].

وبالفعل، فلم تمض سنة واحدة على تلك الحرب أي في عام 1821م، حتى بدأ محمد آغا الكتخدا الهارب إلى فارس يحث الشاهزادة محمد علي ميرزا على ضرورة الزحف على بغداد[3] للإستيلاء عليها كي يتسلم الكتخدا منصب ولاية بغداد كما وعده الشاهزادة بذلك[4]. وعلى أثر ذلك، بدأت القوات الفارسية بالتحرك من مناطق الحدود وباتجاه كركوك في محاولة لاحتلالها واتخاذها قاعدة للزحف منها على بغداد، غير أن صمود أهل كركوك في مواجهة تلك القوات، اضطرها إلى رفع الحصار الذي ضربته على المدينة، ومن ثم التوجه إلى بغداد عن طريق كفري[5]، حتى وصلت في سيرها إلى منطقة دلي عباس شمال بغداد حيث أقامت فيها[6].

---

1 – المنشيء البغدادي: المصدر السابق، ص 61.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 146.

3 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 298– 299.

4 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 146.

5 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 299. أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 145.

6 – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 77.

ونتيجة للموقف الجديد الناشيء عن تحرك القوات الفارسية نحو بغداد، فقد استعد داود باشا ـ هذه المرة ـ بكل ما يستطيع لمواجهة وصد تلك القوات الزاحفة، وفي نفس الوقت كتب إلى الصدارة العظمى يعلمها بما وصلت إليه الحال وما استجد من تغييرات ويطلب منها إمداده بقوات إضافية[1]، لكن الحكومة العثمانية لم تستطع إجابة طلبه بسبب حروبها المتعددة في كردستان الشمالية مع الفرس، وثورة المورة في اليونان، إضافة إلى تمردات باشواتها في مختلف ولايات الإمبراطورية.

وقد عم الذعر بين أهالي بغداد عند سماعهم بقرب وصول طلائع الجيش الفارسي إلى منطقة هبهب التي تبعد عن بغداد بحوالي ستة عشر كيلو متراً، وفر الكثير منهم إلى الحلة وكربلاء[2]. وقد بدأت تلك الطلائع بعمليات السلب والنهب في القرى والمناطق المحيطة ببغداد، إلا أن مجموعات مسلحة من العشائر العربية، قامت بالهجوم على تلك الطلائع وأوقعت فيها الكثير من الخسائر[3]. وفضلاً عن ذلك، فقد انتشر مرض الكوليرا بين جنود الجيش الفارسي حتى أن الشاهزادة محمد على ميرزا كان ضحية ذلك المرض. إنَّ المقاومة العنيفة التي جوبهت بها القوات الفارسية وانتشار المرض، أجبر الشاهزادة إلى طلب الصلح بين الجانبين العثماني والفارسي[4].

---

[1] – رسول الكركوكلي: نفس المصدر ص 299.

[2] – ريجارد كوك: المصدر السابق، ج2 ص 132.

[3] – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 299.

[4] – لونكريك: المصدر السابق، ص 232– 233.

وبعد أن وافق الطرفان على عقد الصلح، أرسل الشاهزادة من جانبه مبعوثه الخاص المدعو الشيخ موسى بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء[1]، وهو أحد علماء الشيعة، بينما أرسل داود باشا أحد المقربين إليه، وهو محمد ابن أبي دبس. وبعد المفاوضات، اتفق المبعوثان على شروط لعقد الصلح، أهمها ما يلي[٢]:

1: تعيين عبد الله باشا بابان أميراً على السليمانية ومحمد باشا بن خالد باشا على مقاطعتي كويسنجق وحرير.

2: جلاء القوات الفارسية عن الأراضي العراقية.

3: إرجاع بعض ما نهب من المناطق التي احتلتها القوات الإيرانية[٣].

إن موافقة داود باشا على بنود هذا الصلح على ما فيه من شروط ثقيلة، لاسيما تعيين عبد الله باشا، كان أمراً لابد منه. وذلك لأن بقاء القوات الفارسية في الأراضي العراقية وبالقرب من بغداد قد أحدث ذعراً بين السكان، كما أن إستمرار وجودها قد يؤدي إلى نتائج غير حميدة قد تفتك بالناس وتضعف سيطرة الوالي في بغداد[٤].

---

[1] - آل كاشف الخطاء، عائلة دينية كبيرة تسكن الآن مدينة النجف الأشرف في العراق.

[2] - تذكر بعض التواريخ الإيرانية نقلاً عن عباس العزاوي: إن الوالي داود باشا هو الذي أرسل يطلب الصلح. أما ما نراه فأن مرض الشاهزادة ورغبته في الرجوع إلى إيران كان سبباً لذلك الإنسحاب أنظر: عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج6، ص 281.

[3] - أمين حسن المدني: المصدر السابق، ص 146- 147. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 300.

[4] - علاء موسى نورس: المصدر السابق، ص 239.

وبعد عقد الصلح، اشتد المرض على الشاهزادة محمد علي ميرزا، وهو في منطقة دلي عباس. وعند وصوله إلى المكان المسمى مرجانية بالقرب من قزلرباط، قضى نحبه وأرسل إلى كرمنشاه[١].

إن المصادقة على هذا الصلح ووفاة الشاهزادة محمد علي ميرزا والإنسحاب الإيراني من الأراضي العراقية[٢]، كل ذلك لم يكن لينهي حالة الحرب بين الدولتين[٣]، فاستمرار عباس ميرزا ولي العهد الفارسي وحاكم أذربيجان في احتلال أراضي كردستان الشمالية، وقيام الشاه فتح علي بحشد قوات فارسية كبيرة في همدان، أدى إلى قيام الدولة العثمانية بمقابلة تلك الحشود والتحركات بالمثل، فقد طلب السلطان محمود الثاني من ولاة ديار بكر والموصل وبغداد اتخاذ ما يلزم لذلك[٤].

ولقد كان الوالي داود باشا في مقدمة الولاة العثمانيين استعداداً لمواجهة حشود الجانب الفارسي، فقام بتسيير حملة عسكرية كبيرة أناط قيادتها بالكتخدا الجديد طالب آغا، وأرسلها إلى الحدود لغزو الأراضي الفارسية. غير أن محمد حسين ميرزا بن محمد علي ميرزا ـ الذي جاء بعد والده في حكم كرمنشاه ـ كان أكثر استعداداً من داود باشا وبقية الولاة العثمانيين، وأكثر رغبة أيضاً من والده في احتلال العراق وفرض

---

1 – رسول الكركوكلي: نفس المصدر، ص 300.

2 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 147.

3 – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 94. أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 175.

4 – رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 301.

السيطرة الفارسية عليه. وعلى هذا، فقد جهز الشاهزادة محمد حسين ميرزا قوة مؤلفة من أربعين ألف جندي اخترق بها حدود العراق من عدة أماكن حتى وصل إلى شهريان من توابع ديالى. وعندما شعر الكتخدا طالب آغا قائد جيش داود باشا، بقوة الشاهزادة، تحاشى الاصطدام معه وقرر الإنسحاب إلى بغداد[1]. وعلى هذا، لم يحدث الصدام المسلح بين الطرفين.

ومن الجدير بالذكر أن الفرس قد فشلوا وللمرة الثانية في محاولتهم هذه للسيطرة على العراق. وللمرة الثانية أيضاً لم تختبر قوة داود باشا الدفاعية[2]، فقد تعاونت العشائر العربية ومرض الكوليرا في صد الجيوش الفارسية الزاحفة باتجاه بغداد[3]. وقد أرغمت تلك العوائق الجانب الفارسي على طلب عقد معاهدة تنهي الصراع الدموي المدمر بينهما[4] وقد وافق الباب العالي على ذلك الطلب، واتفق الطرفان على عقد المعاهدة وقد أختيرت ولاية أرضروم مكاناً لعقد المعاهدة وذلك عام 1823م وسميت بمعاهدة أرضروم الأولى[5].

غير أن التوقيع هذه المعاهدة لم يحل النزاع على الممتلكات

---

1 – لونكريك: المصدر السابق، ص 233– 234. أمين زكي: تاريخ السليمانية، ص 147.

2 – لونكريك: نفس المصدر، ص 234.

3 – أحمد الصوفي: المصدر السابق، ص 175– 176. علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 95.

4 – شاكر صابر: المصدر السابق، ص 58.

5 – أحمد جودت: المصدر السابق، ج 12، ص 12–13. وللمزيد من الإطلاع على نصوص المعاهدة، يراجع شاكر صابر: المصدر السابق، ص 56– 60. محمد سعد الله الورى: المصدر السابق، ص 36– 101.

بين الدولة العثمانية وفارس، بل استمر النزاع إلى أن عقدت معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م[1]. ومما يجب الإشارة إليه أن المعاهدة الأولى قد أفادت الوالي داود باشا، حيث جعلته في مأمن - ولو بصورة مؤقتة - من غارات الجيوش الفارسية، فأنصرف في تنظيم شؤون ولايته والقضاء على ما كان يعكر صفوة الهدوء فيها[2].

محمود باشا والصراع على الإمارة

إن وفاة الشاهزادة محمد علي ميرزا[3] ومجيء ابنه محمد حسين ميرزا لحكم كرمنشاه، وفشل الأخير في تحقيق هدفه في السيطرة على بغداد في حملته تلك[4]، لم ينه الصراع الأسَري بين الأمراء البابانيين[5] المعتمدين على مساندة القوتين الكبيرتين العثمانية والفارسية لتولي منصب الإمارة في السليمانية[6].

وعلى هذا، فقد قام محمود باشا بابان عام 1822م وبمساندة من الوالي داود باشا وبمعونة علي باشا والي ديار بكر، بالهجوم على السليمانية لاستعادة منصبه، وكان يتولى السلطة فيها عبد الله باشا منذ عام 1820م، بعد اتفاق الطرفين العثماني والفارسي على ذلك التعيين[7]. لكن عبد الله

---

1 - خالفين: المصدر السابق، ص 39.

2 - ريجارد كوك: المصدر السابق، ج2، ص 133.

3 - رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص 300.

4 - لونكريك: المصدر السابق، ص 234.

5 - أدموندز: المصدر السابق، ص 57. فريزر: المصدر السابق، ص 30.

6 - جعفر خياط: المصدر السابق، ص 165.

7 - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 95.

باشا الذي علم بقدوم هذه القوات استعد لمواجهتها وتمكن بعد ذلك من دحرها، وأرجع محمود باشا فاشلاً من حيث أتى، إلا أن الأخير كرر الهجوم ثانية وتمكن هذه المرة من طرد عبد الله باشا من السليمانية، فأضطر الأخير اللجوء إلى الأراضي الفارسية، ثم دخل محمود باشا السليمانية وتسلم مقاليد السلطة في عاصمة الإمارة[1]. ومع ذلك، فأنه لم يهنأ كثيراً بالحكم، فبعد سنة واحدة إنتشر مرض الطاعون في المدينة فقضى على حياة الكثير من السكان، وأضطر الباقون على قيد الحياة إلى الهجرة خارج المدينة وإلى قمم الجبال، وهذا بطبيعة الحال أدى إلى ضعف القوة التي كان يعتمد عليها محمود باشا في إدارة الإمارة البابانية[2].

وقد أُتيحت لعبد الله باشا بابان الفرصة للعودة من جديد إلى حكم السليمانية بعد الكارثة التي حلت بها، فجاء على رأس جيش فارسي لغزو السليمانية وطرد محمود باشا منها. ولما لم يكن الأخير يستطيع المقاومة والدفاع عن المدينة، فقد أضطر إلى مغادرتها فدخل عبد الله باشا عاصمة الإمارة وتسلم الحكم فيها. ومما يجب الإشارة إليه، أن داود باشا والي بغداد كان مشغولاً في هذه الفترة بتنظيم ولايته والقضاء على ثورات وتمردات العشائر العربية، لذلك لم يتمكن من تقديم العون والمساندة لحليفه - في هذه الفترة - من آل بابان محمود باشا. وعلى هذا رضخ الوالي داود باشا للأمر الواقع ووافق على حكم عبد الله باشا للإمارة البابانية.

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 148.

[2] – ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 48، 50.

ولما يئس محمود باشا من العودة إلى منصبه في الإمارة البابانية، إتجه إلى الأستانة، وبينما هو في طريقه إليها أرسل له والي مصر محمد علي باشا ينصحه بضرورة العودة إلى كردستان والإتجاه إلى طلب العون من ولي العهد الفارسي عباس ميرزا الموجود في مدينة تبريز. فعاد محمود بالفعل وأرسل شقيقه عثمان بك إلى تبريز يستنجد بولي العهد، وقد رحب الأخير به وقدم له مساعدات عسكرية من الجيش الفارسي، أسند قيادتها إلى إبراهيم خان المكري، أحد القادة العسكريين الفرس، فتمكن محمود باشا والجيش الفارسي من طرد عبد الله باشا من السليمانية، فلجأ الأخير إلى تبريز، لكن الشاهزادة عباس ميرزا، لم يقدم له المساعدة، بل طلب منه الإقامة في المدينة[1].

إن بقاء السليمانية تحكم تارة من محمود باشا ،وأخرى من عبد الله باشا، قد عرضها بطبيعة الحال، إلى ضيق إقتصادي وتدهور في مختلف نواحيها فعلى الرغم من إتفاق الدولتين العثمانية والفارسية على عقد معاهدة أرضروم الأولى عام 1823م[2]، وإتفاقهما على تعيين الأمراء البابانيين على مختلف مقاطعات الإمارة[3]، إلا أن محمود باشا إستمر في صراعه من أجل تولي منصب الإمارة البابانية، إلى ما قبل سقوطها بفترة قصيرة، مستعيناً مرة بقوة من بغداد وأخرى من كرمنشاه، وكان في صراعه ذلك بين المد والجزر. فلم يكد يستقر في منصبه

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 148– 149.
[2] – لونكريك: المصدر السابق، ص 236.
[3] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 95.

مدة إلا ويطرد منه، من قبل أخوته أو أبناء أخوته، وبطبيعة الحال، بعون إحدى القوتين[1].

وبينما كان الأمراء البابانيين مشغولين بالصراع من أجل تولي منصب الإمارة البابانية، كانت الإمارة السورانية في راوندوز تتوسع على حساب مقاطعات الإمارة البابانية، فاستولت على حرير التي كان يحكمها البابانيون منذ زمن طويل، ولم يستطع محمود باشا مقاومة هذه القوة الجديدة[2]. وقد استغل داود باشا ضعف الإمارة البابانية وإنشغال أمرائها بصراعاتهم، فأخذ يشجع الأمير السوراني محمد باشا على غزو الأراضي البابانية في محاولة منه لكسر شوكة البابانيين، الذين كثيراً ما وضعوا كردستان تحت السيطرة الفارسية[3].

ونتيجة لمساندة داود باشا للأمير السوراني، فقد بعث محمود باشا يطلب عون الجيش الفارسي لمواجهة تهديدات الأمير السوراني، فأدت مساعدة الفرس لمحمود باشا إلى توتر العلاقات بين العثمانيين والفرس من جديد. فأرسلت الأستانة مبعوثها من جديد إلى بغداد، وهو سعد أفندي، للتأكد من قيام داود باشا بذلك العمل. وقد طلب المبعوث من محمود باشا الحضور إلى بغداد لإجراء التحقيق، لكنه رفض خوفاً من غدر داود باشا به[4].

---

1 – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 139– 140.

2 – حسين حزني المكرياني: المصدر السابق، ص 46.

3 – زبير بلال إسماعيل: المصدر السابق، ص 321. عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 130.

4 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 151.

وقد دخل محمود باشا في معارك مع المحيطين به من رؤساء العشائر الكردية، لكي يثبت مركزه في الإمارة البابانية، ولكن كان مصيره الفشل أيضاً . فقد إندحر عام 1826م أمام قوة عشيرة الذري الكردية التي كان داود باشا قد خصص له من قبل جباية ضريبتها، لكنها رفضت أن تدفعها له، كما فشل في إسترداد حرير من الأمير السوراني محمد باشا عام 1827م. وقد استغل شقيق محمود باشا، وهو سليمان بك، إنشغال أخيه بهذه المعارك، فجاء على رأس قوة عسكرية من أردلان غزا بها مدينة السليمانية واحتلها . وعلى أثر ذلك، دخل الأخوان في صراع طاحن إلى أن استقر الأمر لسليمان بك، بعد أن قدم له والي بغداد داود باشا المساعدات العسكرية اللازمة، إضافة إلى قوة الجيش الفارسي، فأضطر محمود باشا إلى الهرب باتجاه الأراضي الفارسية، وإلى مدينة تبريز التي يبدو أنها أصبحت ملجأ الفارين من آل بابان، بدلاً من كرمنشاه. وقد طلب محمود باشا مساعدة أخرى من ولي العهد عباس ميرزا الذي رحب بدوره بتقديم المساعدة له، فتمكن بفضلها من استعادة حكم الإمارة البابانية عام 1831م بعد معركة جرح فيها محمود باشا[1].

ونتيجة لإستمرار الصراع في كردستان بين الأمراء البابانيين، فقد أرسل داود باشا تقريره السنوي إلى الباب العالي، موضحاً فيه الحالة العامة في العراق واستتباب الأمن والإستقرار فيها، عدا المنطقة الشمالية التي لم يستقر لها حال بسبب تلك الصراعات، وتدخل الحكومة الفارسية فيها، ومساندتها للأمراء البابانيين مادياً عن طريق إرسال الجيوش مع من يلجأ إليها من

---

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 152 /154 /155.

آل بابان. وطلب داود باشا، في تقريره، الباب العالي دراسة الموقف واتخاذ القرار المناسب لمعالجة الأمور[1].

وغني عن القول إن عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) قد شهد حركة إصلاحية واسعة شملت مرافق الدولة العثمانية، كما شهد ضرب مراكز القوى التي كانت تعيق الإصلاح كالإنكشارية والبكتاشية[2]. وصاحب حركة الإصلاح إتجاه الدولة نحو إعادة الحكم المباشر إلى مختلف الولايات[3].

وكانت ولاية بغداد تعتبر أهم ولايات الدولة العثمانية من جهة مواردها. وبسبب اللامبالاة التي ظهرت في تصرفات الوالي داود باشا - آخر حكام المماليك في العراق - تجاه الأستانة وعدم تقديمه الخدمات التي كانت تأملها منه الدولة العثمانية، خاصة الأموال التي كانت بحاجة شديدة لها لمواجهة تكاليف الحروب التي كانت تقوم بها ولا سيما في حربها ضد روسيا، إضافة إلى إضطراب الأحوال في باشوية بغداد نفسها خلال فترة حكم داود باشا وعدم إستقرار الأوضاع في كردستان[4]، فقد قررت الحكومة العثمانية إزاحة حكم المماليك نهائياً عن العراق وإعادته إلى السلطة المركزية.

وقد وقع اختيار الحكومة العثمانية لتحقيق هذه المهمة الخطيرة على والي حلب علي رضا باشا عام 1831م. وكان

---

[1] - سجلات الأرشيف العثماني، وثيقة رقم 36617ب.

[2] - محمد عبد اللطيف البحراوي: حركة الإصلاح في عصر السلطان محمود الثاني 1808- 1839م، القاهرة 1978، ص 169.

[3] - عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 32- 33.

[4] - أحمد لطفي: تاريخ لطفي، ج13، أستانبول 1290هـ، ص 117.

اختيارها للأخير يعود لمعرفته بأحوال العراق أولاً وعلاقته ثانياً مع بعض الشخصيات العراقية التي كان لها تأثير في بغداد[1].

وبينما كانت الإستعدادات العسكرية تجري في الأستانة لأرسال تلك الحملة إلى بغداد، بعث محمود باشا بابان، الذي كان يتولى الإمارة في هذه الفترة، برسالة إلى والي الموصل يبدي فيها إستعداده لمساندة علي رضا باشا في حملته على داود باشا والي بغداد[2]، ويبدو أن موقف محمود باشا، هذا، يرجع إلى مواقف والي بغداد السلبية منه في تولي منصب باشوية السليمانية.

غير أن محمود باشا لم يتمكن من البقاء في حكم السليمانية، فقد جاء شقيقه سليمان باشا على رأس قوة عسكرية من فارس إستطاع بها أن يطرده من السليمانية، فأضطر محمود باشا ـ كعادته ـ إلى الإلتجاء إلى تبريز. لكنه هذه المرة لم يحصل على مساعدة الشاهزادة عباس ميرزا، فتوجه عام 1834م إلى الأستانة، ولم يعد إلى السليمانية إلا على عهد ابن أخيه أحمد باشا بن سليمان باشا[3].

وفي الوقت الذي كان فيه النزاع بين الأمراء البابانيين على أشده حول منصب الإمارة، ظهر عام 1836م شخص من رؤساء عشيرة الهماوند يدعى «حمة شريف» الهماوندي[4]، وطالب بأحقيته في وراثة الإمارة البابانية من بعد عبد الرحمن باشا، مدعياً أنه ابنه من إمرأة سمها «رندانة» كان عبد الرحمن باشا

---

[1] – عباس العزاوي: العراق بين احتلالين، ج 6، ص 309.

[2] – سجلات الأرشيف العثماني، وثيقة رقم 24913.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 155- 158.

[4] – أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 242.

قد تزوجها. لكن نتيجة عدم إستقراره مدة طويلة في منصب الإمارة، فقد تركته وتزوجت من آخر. وكانت عندما تزوجت ثانية حاملة به. لذا فهو يعد نفسه الآن وريثاً شرعياً لمنصب الإمارة البابانية.

ولما كان حمة شريف يرأس أحد فروع عشيرة الهماوند التي تتصف بالشجاعة، فقد دخل من أجل تحقيق هدفه في معركة بالقرب من السليمانية. وقد قيل أنه استبسل في القتال إلى أن أصابته طلقة في رأسه أردته قتيلاً[1].

علامات تدهور الإ مارة البابانية

رغم المظهر الذي يوحي بأن الإمارة البابانية قد بلغت درجة كبيرة من القدرة على توجيه أمور كردستان، إلا أنها كانت تتدهور، خاصة بعد أن تولى محمود باشا حكم الإمارة في السليمانية عام 1813م[2]، حيث بدأ النزاع بين الأخوة والأقارب من آل بابان على تولي السلطة[3]، وقد أدى ذلك الصراع - بطبيعة الحال - إلى إنهاك وانحلال قوة الإمارة[4].

وبعد أن استتب الأمر في ولاية البابان للأمير سليمان باشا بن عبد الرحمن باشا بابان في أوآخر عام 1831م[5]، بدأت تظهر خلافات مع والي بغداد علي رضا باشا (1831- 1842م)،

1 – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 157.
2 – عبد العزيز نوار: الريخ العراق الحديث، ص 113- 114.
3 – لونكريك: المصدر السابق، ص 273.
4 – أمين زكي: المصدر السابق، ص 153- 154.
5 – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 95- 96.

الـذي حـاول عزلـه مـن منـصبه في الـسليمانية، إلا أن علاقتـه الجيدة مع الفرس حالت دون ذلك[١].

وقـد قـضى سـليمان باشـا بابـان أواخـر أيامـه حاكمـاً لولايـة السليمانية بدون منازع[٢]، وعمل من جانبه على تحسين علاقته مع والي بغداد علي رضا باشا[٣]، وكان الأخير قد تعهد للأمير البابانـي الحاكم بعدم الاستجابة لطلبات الفرس في إعادة محمود باشا بابان لمنصب الإمارة في السليمانية إذا استمر سليمان باشا بابان مطيعاً لأوامـر بغـداد. وبالفعـل، رفـض الـوالي طلـب الحكومـة الفارسـية في إعادة محمود باشا لمنصبه، فقامت فارس بإرسال جيش مـع محمـود باشـا كـي يـستعيد ولايتـه[٤]، إلا أنـه لم يـستطع دخـول الـسليمانية لمقاومة سليمان باشا بابان الشديدة لتلك القوات، فاستمرت القـوات الفارسـية تحاصـر الـسليمانية حتـى وفـاة الـشاه فـتح علـي عـام 1834م[٥]، حيث وقـع نـزاع بـين أمرائها علـى تـولي الحكم في الـبلاد الفارسية إلى أن اسـتقر الأمـر لمحمـود شـاه (1834- 1848م)، فقـام هذا باستدعاء القوات الفارسية من السليمانية[٦].

ويعد وفاة سليمان باشا بابان عـام 1838م، تـولى أمـر ولايـة البابـان في الـسليمانية أكـبر أنجالـه أحمـد بـك[٧]. ويعتـبر تـولي

---

[1] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 114- 115.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 157.

[3] – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 139.

[4] – عبد العزيز نوار: نفس المصدر، ص 15.

[5] – لونكريك: المصدر السابق، ص 274.

[6] – سليمان فايق: تاريخ بغداد ص 139.

[7] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 159.

الأخير للإمارة البابانية بداية جديدة لانتعاشها، وعودة لسطوتها وسيطرتها على كردستان الجنوبية[١]، بعد أن دب الضعف فيها. وقد عمل أحمد باشا على تكوين جيش منظم ومجهز بأحدث الأسلحة، وقام بإنشاء معسكر لذلك الجيش وجعل مقره خارج مدينة السليمانية[٢].

غير أن عودة عمه محمود باشا بن عبد الرحمن باشا بابان عام 1841م، ومحاولاته الحصول على مساعدة الحكومة الفارسية للوصول إلى السلطة في السليمانية من جديد، قد أحبطت مساعي أحمد باشا الجدية في استعادة الإمارة البابانية لمكانتها السابقة[٣]. وفي هذا الوقت الحرج الذي كان يمر به الأمير البابانى أحمد باشا، ظهر منافس جديد في السليمانية يدعى علي بن محمود بن عبد الرحمن باشا مطالباً بمنصب ولاية البابان. وكان هذا قد اعتنق المذهب الشيعي لكون أمه فارسية، فطلب من الفرس مساعدات عسكرية لكي يستولي على السليمانية[٤]، ويحكم الإمارة نيابة عن الشاه الفارسي[٥].

وكان من نتيجة تلك المعارضة التي واجهها أحمد باشا، أن ابتعد عن الحكم لمدة سنة واحدة (1841- 1842م)، حيث تولى عمه محمود باشا حكم السليمانية. وبعد إنسحاب القوات الفارسية من السليمانية عاد أحمد باشا بقواته البابانية التي

---

[1] – لونكريك: نفس المصدر، ص 273.

[2] – أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص 422.

[3] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 158.

[4] – عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج 7، ص48.

[5] – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 115.

كان قد نظمها من قبل، فتمكن من طرد عمه محمود باشا، واستعادة منصبه من جديد[١]. وقد حاول محمود باشا الحصول على مساعدة أخرى من الفرس لاستعادة منصبه، إلا أنهم لم يقدموا له هذه المرة أية مساعدات، بعد أن يئسوا من إعادة سيطرتهم على كردستان[٢].

ومن الجدير بالذكر أن أحمد باشا بابان بعد أن استعاد منصبه في السليمانية عام 1842م، قام بعمليات عسكرية ضد المتمردين على حكمه في المناطق القريبة من الحدود الفارسية، مما أحرج موقف الباب العالي أمام الاحتجاجات الفارسية[٣]. وكانت الظروف الدولية تتطلب توطيد الأمن والهدوء على طول الحدود العثمانية الفارسية، لتتمكن لجنة الحدود الرباعية[٤] من إتمام عملها[٥].

ونتيجة لما قام به أحمد باشا بابان من أعمال، فقد استدعاه

---

1 – أمين زكي: المصدر السابق، ص 157- 158.

2 – سليمان فايق: تاريخ بغداد، ص 140.

3 – عبد العزيز نوار: العلاقات العراقية الإيرانية، ص 84. لجنة الحدود الرباعية.

4 – رغم عقد معاهدة أرضروم الأولى عان 1823 بين الدولتين الفارسية والعثمانية إلا أنها لم تحل جميع المشاكل المعلقة بينهما. لذلك كادت الحرب تنشب بينهما من جديد. لكن خوف روسيا وإنكلترا على مصالحهما دفعهما إلى عرض وساطتهما على الحكومتين الفارسية والعثمانية. وتحت ضغط الحكومتين الروسية والإنكليزية، فقد وافقت الدولتان العثمانية والفارسية على قبول الوساطة. فاختيرت أرضروم مكاناً لعقد المعاهدة. فقدم ممثلوا الدول الأربعة الفارسية والتركية والروسية والإنكليزية إلى أرضروم. فسميت الأطراف تلك باللجنة الرباعية، وتم عقد معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م بين الحكومتين الفارسية والعثمانية. أنظر خالفين: الصراع على كردستان، ص 57- 73.

5 – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 116.

والي بغداد نجيب باشا (1842- 1847م) عام 1845م إلى بغداد، تمهيداً لعزله من منصب الإمارة البابانية، على أن يخلفه في حكم السليمانية قادر بك حفيد إبراهيم باشا بابان. غير أن عبد الله بك شقيق أحمد باشا بابان (والذي كان يتولى قيادة الجيش الباباني الجديد) تمكن خلال فترة غياب شقيقه عن الإمارة، من صد الجيش البغدادي المرسل مع قادر بك، وكذلك جيش كرمنشاه الذي جاء لإعادة محمود باشا. وقد استمر عبد الله بك يحكم نيابة عن أخيه في السليمانية إلى حين عودته من بغداد.

وكان أحمد باشا، الذي حضر إلى بغداد بناء على طلب الوالي، قد تمكن من إقناعه بضرورة بقائه في حكم السليمانية. فوافق الوالي على طلبه، شريطة أن يطيع أوامر بغداد. لكن محاولات أحمد باشا في حصول الإمارة البابانية على الإستقلال قد أدت إلى قيام الوالي باتباع سياسة الولاة السابقين، ضد الأكراد، والقائمة على ضرب أمير بآخر. وقد تمكن الوالي من إستمالة عبد الله بك إلى جانبه، فأصدر أمراً بولاية البابان إليه[1]، فأضطر أحمد باشا إلى اللجوء إلى بلاد فارس بعد أن ضايقته جيوش بغداد. لكن عبد الله بك، أصبح كموظف عثماني لا كحاكم مستقل كما كان الأمراء البابانيون من قبل[2].

وقد فشلت المحاولات التي قام بها أحمد باشا بابان عام (1845- 1846م) لاستعادة حكم السليمانية، على الرغم من المساعدات العسكرية التي قدمتها له الحكومة الفارسية،

---

[1] - لونكريك: المصدر السابق، ص 273- 274.

[2] - أدموندز: المصدر السابق، ص 57.

واحتجت الحكومة العثمانية على تلك المساعدات واعتبرتها غزواً فارسياً لأراضيها، وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة العثمانية تعمل من أجل استعادة السلطة المركزية على معظم أنحاء العراق[١]. وبعد هذا الفشل اتجه أحمد باشا إلى القنصل البريطاني العام في بغداد السير راولنسون، طالباً تدخله لدى والي بغداد نجيب باشا كي يعيده إلى منصب الإمارة البابانية، كما فعل غيره من القناصل من قبل في وساطتهم لدى السلطان العثماني في تعيين الولاة على بغداد. ولما كان راولنسون يميل إلى أحمد باشا بابان، فقد أرسل إلى حكومته مطالباً باستخدام نفوذها لدى السلطان كي يعفو عن أحمد باشا ويعيده إلى منصبه في السليمانية[٢]. وعندما لاحظت الحكومة الفارسية تدخل القنصل البريطاني، طالبت بضم السليمانية إلى أراضيها، وذلك أثناء المفاوضات التي كانت جارية لعقد معاهدة أرضروم الثانية، وكانت تقدم الأدلة على تبعية مدينة السليمانية اليها[٣].

ومما يجب الإشارة اليه أن راولنسون كان ميالاً لأن تكون كردستان بعيدة عن سيطرة العثمانيين والفرس، وذلك عن طريق تثبيت الأسرة البابانية في الحكم وتقوية قبضتها، حتى تستطيع أن تحافظ على سلطتها المستقلة من تدخل الدولتين[٤]. وكان القنصل البريطاني يقول: «لو نجح أحمد باشا

---

1 – توماس بوا: لمحة عن الأكراد، ترجمة محمد شريف عثمان، النجف الأشرف 1969، ص 14. أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص 118.

2 – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 118.

3 – محمد سعد الله الورى: المصدر السابق، ص 39.

4 – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 118.

في استرداد حكم مدينة السليمانية، فستنشب ثورة كردية عامة تنتهي باستقلال كردستان عن الدولة العثمانية، وفي عودة أحمد باشا بابان إلى الحكم خدمة كبيرة للمصالح البريطانية»[1]. وقد ظل راولنسون معلقاً الآمال على ذلك، ودعا حكومته إلى احتلال العراق، إذا ما حدث واتفقت الدول الكبرى على تقسيم الإمبراطورية العثمانية. وفي هذه الحالة تصبح الإمارة البابانية وعلى رأسها أحمد باشا ـ صديق القنصل ـ هي الحد الشمالي لهذه المستعمرة البريطانية الجديدة[2].

ولكن عقد معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م بين الحكومة العثمانية والحكومة الفارسية، وإن لم يحل جميع المنازعات على الممتلكات بينهما[3]، إلا أنه قضى على آمال راولنسون في تحقيق ما سعى اليه في تثبيت حكم الأسرة البابانية في السليمانية[4]، بعدما تخلت فارس عن إدعاءاتها بشأنها[5]، فتمكنت الدولة العثمانية بعد ذلك من تشتيت شمل الأسرة البابانية[6] وتوزيع أفرادها على مختلف نواحي الإمبراطورية[7].

---

1 – محمود الدرة: المصدر السابق، ص 70.

2 – عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث، ص 118

3 – خالفين: المصدر السابق، ص 39.

4 – محمود الدرة: المصدر السابق، ص 70.

5 – لوتسكي: المصدر السابق، ص 171. خالفين: المصدر السابق، ص 63.

6 – المس بيل: المصدر السابق، ص 181.

7 – محمد ثريا: المصدر السابق، ج1– ص 444، ج 3– ص 98.

إلغاء الإمارة البابانية

وكان والي بغداد نجيب باشا، قد اشترط على عبد الله بك البابانى، بعد توليه منصب الإمارة البابانية في السليمانية عام 1845م أن يوافق على وجود حامية عسكرية عثمانية في مدينة السليمانية، وأن يزيد الخراج الذي كان يدفعه أمراء البابان لخزينة الدولة العثمانية عن طريق بغداد[١]. وكان هدف نجيب باشا من ذلك أن يكون الأمير البابانى الجديد تحت سيطرته.

وقد سعت الحكومة العثمانية إلى القضاء على العصبيات المحلية، التي كانت نفوذها كثيراً ما يطغى على نفوذ الحكومة المركزية. ولذا فان مجيء السلطان محمود الثاني (1808-1839م) إلى السلطة، كان إيذاناً ببدء ذلك العمل.

وفي الواقع لقد كان القضاء على حكومة المماليك في بغداد عام 1831م على يد الوالي علي رضا باشا، هو بداية القضاء على الإمارات الكردية في شمال العراق[٢]، خاصة الإمارة البابانية، التي كانت مهيأة، بسبب ضعفها، لأن تسقط سريعاً بيد العثمانيين. لكن مناعة الجبال المحيطة بالعاصمة البابانية من جهة، واضطراب العلاقات العثمانية الفارسية من جهة أخرى، أجل تلك العملية فترة من الزمن[٣]. وكان تولي الأمير

---

[1] - علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 96.

[2] - أحمد عزت عبد الكريم وآخرون: تاريخ العالم العربي في العصر الحديث، القاهرة بدون تاريخ ص 12.

[3] - عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 161- 132.

الباباني عبد الله بك، ولاية السليمانية[١]، البداية الحقيقية للتداعي السياسي والعسكري للإمارة[٢].

إن تأجيل القضاء على حكم الإمارة البابانية، لا يعني تراجع محاولات العثمانيين، بل على العكس، فقد اشتدت تلك المحاولات أكثر مما كانت في السابق[٣]، خاصة بعد أن شخصوا أسس المشكلة[٤]. وعلى هذا فقد تعاون العثمانيون مع الفرس في القضاء على الإمارة البابانية ليكونوا بعيدين عن العقبات التي تعترضهم، أثناء قيام اللجنة الرباعية لتحديد الحدود بعملها. وبعد ذلك التعاون لم يستطع البابانيون العودة إلى التجربة السابقة في الميل نحو فارس لطلب مساعدتهم في استعادة منصب الإمارة. ومن ناحية أخرى، فقد عملت الحكومة العثمانية على استمالة رؤساء عشائر الجاف، التي كان يعتمد عليهم الأمراء البابانيون، حيث منح السلطان العثماني رؤساء تلك العشائر الألقاب، حتى شعر هؤلاء بأنه أصبحت لهم مكانة محترمة لدى الحكومة المركزية في الأستانة، ولذلك لم يعيروا إي اهتمام لنداءات الأمراء البابانيين لمساعدتهم ضد السلطة المركزية بعد ذلك[٥].

والواقع أنه كان للتعاون العثماني الفارسي[٦]، وتخلي عشيرة الجاف عن مساعدة الأمراء البابانيين[١]، أثرهما في أن يقرر

[1] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 161– 162.

[2] – عماد عبد السلام: الموصل في العهد العثماني، ص 182.

[3] – شاكر خصباك: الكرد والمسألة الكردية، بغداد 1959، ص 24.

[4] – المس بيل: المصدر السابق، ص 181.

[5] – عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، ج2، ص 38– 39.

[6] – عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، ص 131.

الوالي نامق باشا (1849- 1851م) إلغاء الإمارة البابانية. ففي عام 1851م استدعي أحمد باشا، آخر أمراء آل بابان، إلى بغداد، وقام بالقبض عليه وإرساله مقيداً بالأغلال إلى الأستانة. وفي نفس هذا العام عين أمير اللواء العثماني إسماعيل باشا حاكم على السليمانية بدلاً عن أحمد باشا البابانيي[٢].

وبهذا التاريخ يكون قد أسدل الستار على أقوى وأكبر إمارة كردية في شمال العراق، والتي كان لها دور كبير في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية على الحدود العراقية الفارسية.

ولقد وصف الكثير من الشعراء الأكراد الذين عاصروا حكم الإمارة البابانية، وإلى ما بعد سقوطها، حالتها بعد وقوعها في قبضة الحكومة العثمانية، وصفاً يعبر عن الألم والحسرة على ما كانت عليه الإمارة العظيمة، وما آلت إليه - آنذاك - أحوال الأمراء البابانيين المقيمين في السليمانية - بعد سقوطها - من بؤس وحرمان[٣].

ولم يكن سقوط الإمارة البابانية أمراً عابراً، بل نتيجة عدة عوامل اجتمعت، فأدت إلى ذلك. وقد تمثلت تلك العوامل في النظام الإقطاعي الكردي الذي كان سائداً آنذاك في كردستان، والذي عمل على عرقلة توحيد الشعب الكردي، وجمع شمل

---

[1] - أمين زكي: مشاهير الكرد وكردستان، ج 1، ص 88.

[2] - أمين زكي: تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص 422.

[3] - رفيق حلمي: الشعر والأدب الكردي، بغداد 1956، ص 52 و 86. روش بدرخان: صفحات من الأدب الكردي، بيروت 1954، ص 18. عز الدين مصطفى رسول: علي بدشاني حياته ونتاجه- مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد 16 سنة 1973، ص 33.

الإمارات الكردية، تحت لواء دولة كردية واحدة قادرة على الدفاع عن نفسها وصد الهجمات الأجنبية، أو إبعاد الوطن الكردي ـ على الأقل ـ عن خطر ودمار الحرب التي كانت قائمة بين الدولتين العثمانية والفارسية. وذلك لأن توحيد الشعب الكردي، في ظل سلطة واحدة، كان معناه القضاء على سلطة أولئك الرؤساء، الذين كانوا يتولون زعامة العشائر الكردية ويملكون الأراضي الزراعية الواسعة التي كانت تدر عليهم الأموال. كما أن الشعور القومي الكردي بمفهومه الحديث، لم يكن موجوداً بين الشعب الكردي ليوحد مختلف فئات الشعب الكردي، بل العكس من ذلك، كان الشعور الديني المذهبي طاغياً بين صفوفهم، مما سهل على حكام كلا الدولتين العثمانية والفارسية إستمالة الأكراد إلى جانبهما(١).

ومن ناحية أخرى، كان التنافس الدائم بين الأمراء البابانيين، ولجوئهم لبغداد تارة، وأخرى لفارس، وجلبهم الجيوش إلى السليمانية لاستعادة مناصبهم، قد سبب الخراب والدمار للإمارة(٢).

ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى ما جاء على ألسنة الأكراد أنفسهم حينما سألهم المستر ريج عن أوضاعهم خلال المجلس الذي عقده في السليمانية عام 1820م. فقد قال أحدهم: «إنَّ تحاسد أمرائنا والدمار الذي ألحقه بنا حروبهم، سبب لنا الفناء، فلم ينجح العثمانيون والفرس في إيذائنا إلا باستغلالهم

[1] – جلال الطلباني: كردستان والحركة القومية الكردية، بغداد 1970، ص 33– 34.

[2] – أمين زكي: تاريخ السليمانية وأنحائها، ص 162.

إنشقاقنا والمنافسة العائلية القائمة بين رؤسائنا. إننا نعلم هذا وبالرغم من ذلك نجح العثمانيون على الدوام بطريقة أو بأخرى في التغلب علينا». وقال آخر: «إننا نشّيد البيوت العامرة أو نرممها ونحن غير موقنين من أننا سننعم بالهدوء والاستقرار في أيام حياتنا، وكذلك هو حال أبناؤنا. يذهب باشا ويخلفه آخر، من العائلة ذاتها، فيأتي هذا بأصدقائه والمقربين إليه ويطردوننا من بيوتنا ومقاطعاتنا. إن سر خراب هذه البلاد، هو إنعدام ما تتطلبه من استقرار ومن دوام حكامها». وقال ثالث: «إنَّ افتقارنا للأمن في ممتلكاتنا هو أصل دمار المملكة. ونحن أبناء العشائر إذا لم نتأكد من تملكنا مقاطعتنا، لا نكرس أنفسنا مطلقاً للزراعة ولا يكون للمملكة نصيب من الإزدهار. ومثال ذلك، لم أبذر هذا الموسم وأنا غير متأكد من أن رئيسي سيبقى في منصبه وأني مالك مقاطعتي حتى موسم الحصاد على الأقل».[1]

وعلاوة على ذلك كله، فأن مرض الطاعون الذي اجتاح المنطقة الكردية عدة مرات، قد حصد أعداداً كبيرة من السكان، مما أنهك قوة الإمارة من الناحية البشرية والعسكرية والإقتصادية[2].

ومن العوامل الأخرى التي ساعدت على سقوط الإمارة البابانية هو ظهور عائلة دينية كردية أيضاً في كردستان، نافست البابانيين السلطة في مدينة السليمانية في الأيام الأخيرة من حكمهم، وهذه الأسرة هي البرزنجية الكردية[3]. وكانت الجهود

[1] – ريج: المصدر السابق، ص 63- 67.

[2] – ياسين العمري: غرائب الأثر، ص 48.

[3] – علي سيدو كوراني: المصدر السابق، ص 97.

التي بذلتها الحكومة العثمانية في فرض السيطرة المركزية من جديد على جميع مقاطعاتها، من أبرز تلك العوامل[1].

وبالرغم من سقوط الإمارة البابانية عام 1851م، فأن سمعة البابانيين بين الأكراد، قد بلغت حداً جعل الإنكليز يحاولون في سنوات الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م) إثارة مواقف هذه الإمارة ضد العثمانيين وبشكل مؤثر لجذب عطف الأكراد وإثارتهم ضد العثمانيين في حملتهم الدعائية الواسعة، والتي إنعكست بشكل خاص على صفحات الجريدة التي أصدروها باللغة الكردية باسم (فهم الحقيقة) في بغداد، بعد احتلالهم إياها عام 1917م[2].

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى حاول الدبلوماسي التركي شريف باشا الذي كان كردياً ينتسب إلى آل بابان في السليمانية ـ وكان قد قضى سنوات الحرب في فرنسا، لأنه كان يعمل ضد جمعية الإتحاد والترقي التركية التي حكمت تركيا خلال الحرب ـ حاول أن يقيم علاقات مع بعض رؤساء الأكراد في العراق وإيران لكي يجدد فكرة إنشاء كردستان مستقلة. وكانت فكرته هذه تتفق ومبادىء ولسن الاثني عشر، والتي تدعو إلى حصول الأقليات داخل الإمبراطورية العثمانية على حقوقها، إلا أن اتصالاته تلك لم تثمر عن نتيجة إيجابية[3].

---

1 – شاكر خصباك: الكرد والمسألة الكردية، ص 25. توماس بوا: المصدر السابق، ص 14.

2 – د. كمال مظهر أحمد: فهم الحقيقة وموقعها من الصحافة الكردية، بغداد 1978، ص 121.

3 – Arfa, H.: Op. Cit. P. 122.

الخاتمة

تميز تاريخ العراق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بالإضطراب والفوضى اللذين شملا مختلف نواحيه. وقد أدت حالة عدم الإستقرار هذه إلى بروز أسر قوية إستطاع رؤساؤها تكوين حكومات محلية شبه مستقلة عن السلطة المركزية في بغداد. وقد إعتمدت تلك الأسر في حماية نفسها، من الأخطار، على قوة أفرادها القادرين على حمل السلاح، ومستغلة - في نفس الوقت - إنشغال ولاة بغداد - العاصمة ومركز ثقل العراق - بالصراعات الجانبية تاركين أجزاء العراق الأخرى تنمو فيها تلك الأسر. وكان عدم تمكن الولاة فرض سيطرتهم على معظم أطراف العراق، يعود كما يبدو إلى إهمال الدولة العثمانية نفسها لشؤون ولاياتها، بسبب إنشغالها في حروبها في أوروبا، إضافة إلى المشاكل الداخلية التي تعاني منها، وعلى هذا فقد تركت إدارة ولاياتها بيد ولاتها الذين أعتبروا أنفسهم مستقلين عن سلطة الباب العالي، والذين إنحصرت جهودهم في الحصول على منصب ولاية بغداد فقط دون الإهتمام بنواحيها الأخرى.

إن حالة الفوضى تلك، قد شجعت - بطبيعة الحال - الحكام المحليين في مناطق العراق الأخرى على الإتجاه إلى طلب المساعدة من الحكومة الفارسية للوقوف ضد الضغط الذي يتعرضون له من الجيش البغدادي. وقد كان ذلك المنحى خطيراً وأثر تأثيراً كبيراً على مجرى الأحداث السياسية والعسكرية بين الدولتين العثمانية والفارسية. والمعروف أن الدولة الأخيرة كانت طامعة في السيطرة على الأراضي العراقية.

وكان من أبرز تلك الأسر التي نشأت في شمالي العراق، الأسرة البابانية، التي تمكنت من تكوين إمارة قوية وكبيرة إستطاعت أن تفرض سيطرتها على المنطقة الكردية، كما استقطبت العشائر الكردية الساكنة في كردستان الجنوبية، وجعلتها تحت سيطرتها، حيث كانت تلك العشائر بمثابة القوة الإحتياطية للإمارة البابانية.

وقد تمكن آل بابان من إيجاد قاعدة قوية لمركز سلطتهم ببنائهم مدينة السليمانية عام 1784م، التي أعتبرت عاصمة الإمارة. وكانت أكبر مدينة في كردستان. وقد أعتبر إنشائها من أهم الأحداث العمرانية في الفترة التي حكم فيها المماليك العراق (1749- 1831م)، حيث كانت الحركة العمرانية في العراق راكدة، إن لم تكن معدومة، وذلك بسبب إنشغال المماليك بصراعهم من أجل السلطة، وقيام الثورات المحلية ضد السلطة المركزية. وكان بناء السليمانية بداية شعر فيها البابانيون بكيانهم الخاص، فعملوا على الحصول على الإستقلال عن ولاية بغداد والإتصال مباشرة بالباب العالي في الأستانة.

ومما يجب الإشارة إليه أن حكم الأسرة البابانية، قبل وبعد بناء مدينة السليمانية، قد تميز بعدم إستقرار الأمير الباباني الحاكم في السلطة فترة طويلة من الزمن، ويرجع السبب في ذلك إلى التنافس بين الأمراء البابانيين أنفسهم من أجل تولي السلطة، وخوف السلطة المركزية في بغداد من أن إستمرار الأمير الباباني في الحكم، فترة طويلة، قد يؤدي إلى إستقلال الإمارة

عن سلطة بغداد. وكان الأمراء البابانيون فعلاً عازمين على تحقيق الإستقلال وتكوين الدولة الكردية المستقلة.

إن عدم الإستقرار، في ولاية البابان، قد أثر بلا شك على علاقتها مع الإمارات الكردية المجاورة. ففي الوقت الذي يحاول فيه الأمير الباباني تثبيت مركزه في حكم الإمارة، كان يعمل أيضاً على فرض سيطرته على مناطق أخرى مجاورة له كي يزيد المساحة التي يحكمها. وأحياناً أخرى يكون الأمير الباباني عوناً وسنداً للأمير اللاجيء إليه من إحدى الإمارات الكردية كالإمارة السورانية أو البهدينانية، وهذا ما جعل الإمارة البابانية تلعب نفس الدور الذي لعبته إمارة أردلان في بلاد فارس بالنسبة للبابانيين، فكانت أردلان وعاصمتها سنة ملجأ أميناً لآل بابان الهاربين من السليمانية أو المطالبين بإمارتها.

وقد دخلت كردستان مرحلة خطيرة بظهور عبد الرحمن باشا بابان على المسرح السياسي والعسكري. فبعد تسلمه منصب الإمارة عام 1789م، بدأ التخطيط لمستقبل الإمارة البابانية أولاً، ومستقبل الأمة الكردية ثانياً. ولتحقيق هدفه، هذا، عمل على تحسين علاقته مع حكام الفرس ـ الذين كانوا السند الدائم للأمراء البابانيين ـ كي يقفوا إلى جانبه في حالة تعرض إمارته ومنصبه إلى مضايقة الجيش البغدادي المملوكي. وفعلاً فقد استجاب حكام الفرس لمعظم طلبات الأمراء البابانيين، فقدموا لهم العون والمساندة العسكرية. وعمل الفرس، هذا، كان هدفه التدخل في شؤون كردستان.

والجدير بالذكر إن الإمارة البابانية وصلت إلى أوج قوتها وتوسعها في عهد عبد الرحمن باشا، الذي حاول الحصول على منصب باشوية بغداد، بعد أن أصبح شاغراً بوفاة واليها المملوكي، إلا أنه فشل. ومن ثم فقد عمل على أن تكون له كلمة في تسيير شؤون ولاية بغداد، فتوسط لتعيين أحد المماليك، اللاجئين إليه، وهو عبد الله باشا. وفعلاً بعد أن تسلم عبد الله باشا منصبه، بدأ عبد الرحمن باشا يتصرف وكأنه الوالي. وكان عبد الرحمن باشا قد دخل في عدة معارك وقام بثورات، كانت كلها من أجل حصول كردستان على الإستقلال. غير أنه فشل في تحقيق ما سعى إليه، بسبب العوائق التي وقفت في طريقه، وأهمها الداء الذي ابتليت به الإمارة البابانية، وهو خيانة أحد أعضاء الأسرة البابانية للأمير الباباني الحاكم، ووقوفه إلى جانب حكومة بغداد أو كرمنشاه، كما أن عبد الرحمن باشا قسا على بعض الأشخاص رغم تعاونهم معه، بالإضافة إلى غروره وكبريائه، وهذان الأمران أوقعاه في مشاكل مع أقرب مساعديه، وهو الشاهزادة محمد علي ميرزا حاكم كرمنشاه. وقد وضعت وفاة عبد الرحمن باشا حداً للتطورات التي شهدتها كردستان في عهده.

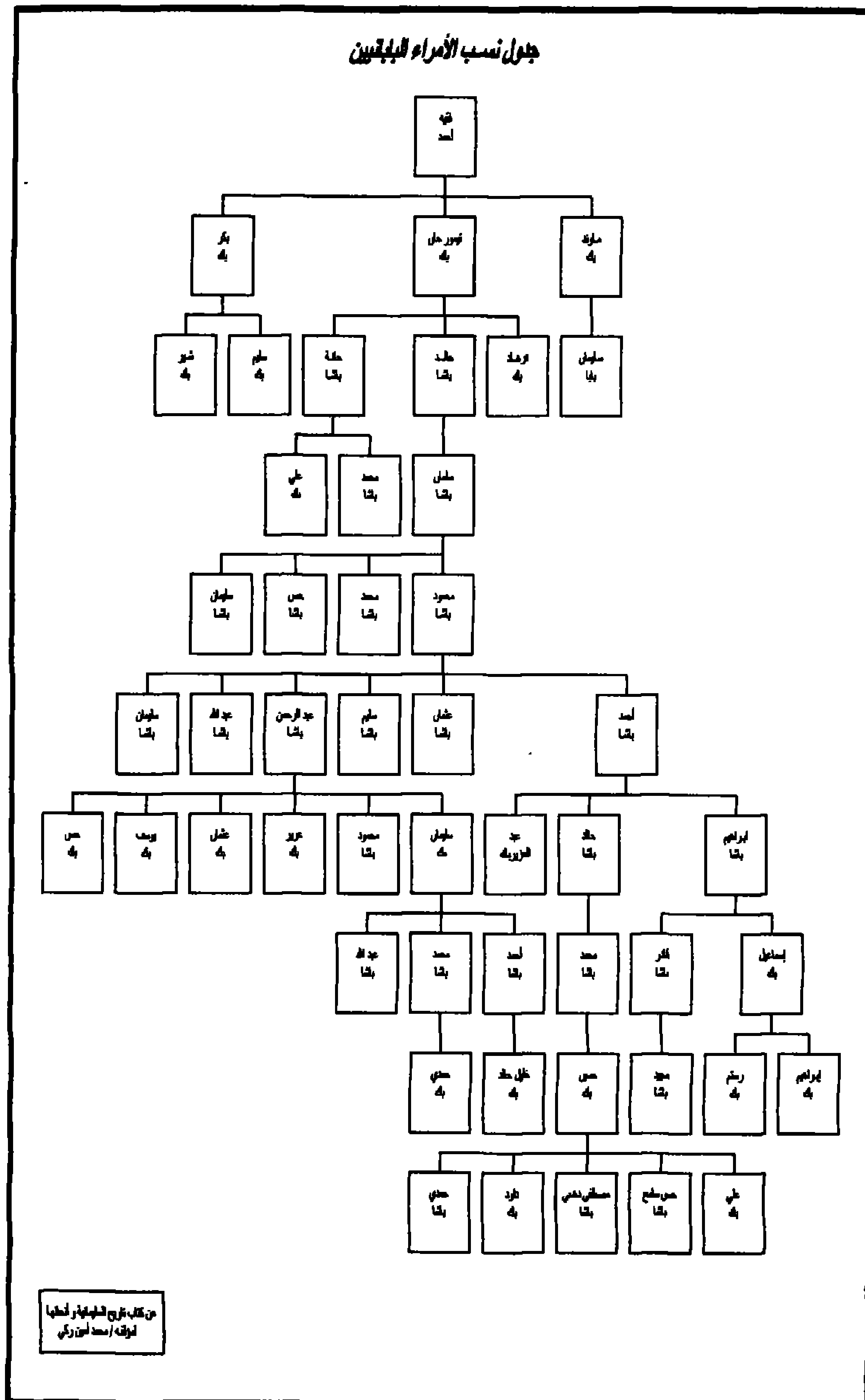
وقد حاول عدد من الأمراء البابانيين، توحيد الأسرة في محاولة للقضاء على الدسائس والمؤامرات التي تدبر في كل من بغداد أو كرمنشاه ضد الأمير الباباني، كما حاول بعضهم استعادة ما كان للإمارة من قوة وسيطرة، إلا أن تلك المحاولات لم تثمر عن نتيجة إيجابية.

وبالرغم مما أصاب الإمارة البابانية من خراب وتدمير، نتيجة لما شهدته من حروب متوالية، بين أفراد الأسرة البابانية أنفسهم، أو بين الإمارة ومن حولها، إلا أن الأمراء البابانيين كان لهم جانب مشرق يتمثل في مساهمتهم في البناء الحضاري والثقافي. فقد قاموا بأعمال جليلة لخدمة العلماء ورجال الدين وعوضوا إمارتهم عما أصابها في الحروب، بأن أنفقوا أموالاً كثيرة في بناء المدارس والمساجد والإنفاق عليهما وإصلاح مما أصابهما، فضلاً عن أن بعضهم أوقف على المدارس، والمساجد، كثيراً من الأراضي والضياع، من ممتلكاته الخاصة، للإنفاق على تلك المدارس وعلى الأسر الدينية. وأصبحت قلعة جوالان عاصمة الإمارة البابانية، قبل بناء مدينة السليمانية، مدينة العلم والعلماء، وكان يقصدها الطلاب من مختلف نواحي كردستان. كما ساهم البعض من سكان الإمارة في الإنفاق على المؤسسات العلمية.

وبالرغم من الجهود التي بذلها بعض الأمراء البابانيين في الحفاظ على إستمرار حكم أسرتهم، إلا أن علامات تدهور هذه الأسرة كانت تسير متوازية مع حكمها. فصراع الأمراء، على تولي منصب الإمارة، قد أنهك قواها وجعلها عاجزة عن الدفاع عن نفسها، في الوقت الذي كانت فيه الإمارة السورانية تنمو وتتسع وتحاول فرض سيطرتها على كردستان. كما تخلت بعض العشائر الكردية، خاصة عشيرة الجاف، عن مساعدة الأمراء البابانيين، بعد أن وجدت هذه العشائر أن الدولة العثمانية بدأت

تعيرها اهتماماً. فقد كانت تلك العشائر بالنسبة للبابانيين كالجيش الإحتياطي لمقاومة الحملات العسكرية الموجه من بغداد أو كرمنشاه ضد الإمارة البابانية. إضافة إلى ذلك فأن الحكومة العثمانية قد اتبعت سياسة جديدة، كانت ترمي إلى تصفية القوى والحكومات المحلية في أنحاء الإمبراطورية، بهدف بناء نظام عثماني مركزي شامل، وأكثر العوامل تأثيراً في سقوط الإمارة البابانية، هو تخلي الحكومة الفارسية عن مساعدة الأمراء البابانيين، خاصة بعد عقد معاهدة أرضروم الثانية عام 1847م بين الحكومتين العثمانية والفارسية لتحديد الحدود وتسوية المشاكل المعلقة بينهما، حيث كان الفرس العامل الأساسي في إستمرار الحكم الباباني في السليمانية.

جدول نسب الأمراء البابانيين



المصادر

وثائق غير منشورة

١ : أرشيف رئاسة الوزراء التركي في استانبول، تصنيف الخط الهمايوني. أرقامها كما يلي:

٣٧٠٧ ، ٤١١٦ ، ٦٧٠٣ ج ، ٦٧٠٣ أ ، ٦٧٠٣ ب ، ٦٧٠٣ هـ ، ٦٦٦٧، ٦٦٧١ ب، ٦٦٧١ ج ، ٦٦٨١ د ، ٦٧١٨ ، ٦٧٢٨ ، ٢٣٩١٣، ٣٦٦١٧ ب

وهذه عبارة عن مراسلات جرت بين أطراف النزاع العثماني الفارسي، وهي في معظمها رسائل من ولاة بغداد إلى الباب العالي في الأستانة يشكون فيها من تدخل الحكومة الفارسية في شؤون كردستان لمساعدة الأمراء البابانيين.

المخطوطات

١ : إبراهيم فصيح الصفوي البغدادي: عنوان المجد في أحوال بغداد وبصرة ونجد . محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٨٧٠٦.

٢ : أبو الثناء شهاب الدين الألوسي: غرائب الإغتراب في الذهاب والإقامة والإياب محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٨٩٧٣.

٣: جبرائيل اصفر حنوشي: مختصر المستفاد في تاريخ بغداد أو منتج المرتاد في تاريخ بغداد . محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١١٠٤ .

٤ : عبد الرحمن السويدي: تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء. محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٢٢٧ .

٥ : عبد القادر الشهراني: شعراء بغداد وكتابها أيام المرحوم داود باشا والي بغداد . محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٦٧٩ .

٦ : مجهول: حوادث البصرة من تاريخ بنائها إلى حوادث سنة ١٢٤٣هـ . محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٩٦٧٣ .

٧: ياسين العمري: الآثار الجلية في الحوادث الأرضية. محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٦٥١٢ .

٨: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر. محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٣٢٩ .

٩ : غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام. محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٦٢٩٥.

المخطوطات المترجمة

١ : سليمان فايق: حروب الإيرانيين في العراق. ترجمة محمد صفاء خلوصي الناصري. محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٩٥٢ .

٢ : سليمان فايق: تاريخ المماليك الكوله في بغداد . ترجمة محمد نجيب أرمنازي سنة ١٩٢١ . محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ١٢٢٧ .

المخطوطات التركية

١ : محمد سعد الله الوري: المخابرات السياسية بين الدولة العثمانية وإيران أو (معاهدات نامة). محفوظ في مكتبة المتحف العراقي رقم ٩٢٩١ .

المصادر التركية

١ : أحمد جودت: تاريخ جودت، ١٢ جزء، أستانبول ١٣٠٢ هـ.

٢ : أحمد راسم: رسملي وخريطةلي عثمانلي تاريخي. أربعة أجزاء، أستانبول ١٣٢٩– ١٣٣٥هـ.

٣: أحمد رشيد : خريطةلي ورسملي مكمل تاريخ عثماني. جزئين، أستانبول ١٣٢٧ هـ.

٤ : أحمد لطفي: تاريخ لطفي. أستانبول ١٢٩٠ هـ.

٥ : سليمان عزي: تاريخ عزي، جزئين، القسطنطينية ١١٩٩هـ.

٦ : طه عمر فاروق: تاريخ أبو فاروق. أربعة أجزاء، أستانبول ١٣٢٨هـ.

٧: فريج: كردلر، ١٣٣٤ هـ.

٨: محمد ثريا : سجل عثماني أو تذكرة مشاهير عثمانية. أربعة أجزاء، أستانبول ١٣٠٨– ١٣١١هـ .

٩ : محمد سعيد المدرس: كلشن معارف، جزئين، أستانبول ١٢٠٢– ١٢٥٢ هـ .

١٠ : محمد عطا الله أفندي: تاريخ شأني زادة، استانبول ١٢٨٤هـ .

المصادر الفارسية

١ : عبد الله الرازي: تاريخ إيران المفصل، طهران ١٣٣٥ هـ .

٢ : محمد مردوخ الكروستاني: تاريخ مردوخ، جزئين، طهران، بدون تاريخ.

المصادر الكردية

١ : توفيق قفطان: تاريخ حكام بابان في قلاجوالان حتى بناء مدينة السليمانية. بغداد ١٩٦٩ .

٢ : ديوان الشيخ رضا الطالباني: بغداد ١٩٤٦ .

٣: ديوان نالي ومعجم الشاعر: دراسة وتحقيق الدكتور معروف خزندار، بغداد ١٩٧٧ .

٤ : رفيق حلمي: الشعر والأدب الكردي. بغداد ١٩٥٦ .

٥: كمال مظهر أحمد : فهم الحقيقة وموقعها من الصحافة الكردية، بغداد ١٩٨٧ .

رسائل جامعية غير منشورة

١ : خالد رشيد السعدون: تحليل العوامل التي ترسم خط الحدود بين العراق وإيران. رسالة ماجستير، بغداد ١٩٧٠ .

٢ : فرج محمد فرج: العلاقات الخارجية لدولة المماليك في العراق ١٧٤٩- ١٨٣١م، رسالة ماجستير، القاهرة ١٩٦٥ .

الحياة الإجتماعية والاقتصادية والثقافية لدولة المماليك في العراق ١٧٤٩-١٨٣١م، رسالة دكتوراه، القاهرة، بدون تاريخ.

٣: عماد عبد السلام رؤوف: الحياة الاجتماعية في العراق أبان عهد المماليك ١٧٤٩- ١٨٣١م، رسالة دكتوراه، القاهرة ١٩٧٦ .

المصادر العربية

١ : ابن غلمـلاس: ولاة البصرة ومتسلموها من تأسيسها إلى نهاية الحكم العثماني، بغداد ١٩٦٢ .

٢ : أحمد عزت عبد الكريم: «العلاقات بين الشرق العربي وأوروبا بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر»، بحث ضمن كتاب دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ.

٣: أحمد عزت وآخرون: تاريخ العالم العربي الحديث، القاهرة، بدون تاريخ.

٤ : أحمد علي الصوفي : المماليك في العراق، الموصل ١٩٥٢ .

٥ : أمين حسن المدني : خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨ - ١٢٤٢ هـ ، وهو مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود، لعثمان ابن سند البصري الوائلي، القاهرة، ١٣٧١هـ .

٦: أمين سامي الغمراوي: قصة الأكراد في شمال العراق، القاهرة ١٩٦٧ .

٧: أمين سعيد : أيام بغداد، مصر ١٩٣٤ .

٨: أنور المائي: الأكراد في بهدينان، الموصل ١٩٦٠ .

٩: بلـهج شيركوه: القضية الكردية، ماضي الكرد وحاضرهم، مصر ١٩٣٠ .

١٠ :تقرير درويش: لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، بغداد ١٩٥٣ . وهو تقرير قدمه رئيس لجنة الحدود سنة ١٨٥٣م.

١١ :جعفر الخياط: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، بيروت ١٩٧١ .

١٢ :جلال الطالباني: كردستان والحركة القومية الكردية، بغداد١٩٧٠ .

١٣ :جمال بابان: أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد ١٩٧٦ .

: السليمانية من نواحيها المختلفة، بغداد، ١٩٧٨ .

١٤ : زبير بلال إسماعيل: أربيل في أدوارها التاريخية، النجف الأشرف، ١٩٧٠ .

١٥ : زكي صالح: موجز تاريخ العراق (منشأ النفوذ البريطاني في بلاد الرافدين)، بغداد ١٩٤٩ .

بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ . بغداد ١٩٦٨ .

١٦ : شاكر الخصباك: الكرد والمسألة الكردية، بغداد ١٩٥٩ .

: الأكراد دراسة جغرافية اثنوغرافية بغداد ١٩٧٢ .

١٧ : شاكر صابر الضابط: العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، بغداد ١٩٦٦ .

١٨ : صديق الدملوجي: إمارة بهدينان أو إمارة العمادية، الموصل١٩٥٢ .

١٩ : عباس العزاوي: عشائر العراق الكردية، الجزء الثاني، بغداد ١٩٤٧ .

: تاريخ العراق بين احتلالين، ثمانية أجزاء، بغداد ١٩٥٣- ١٩٥٦ .

: تاريخ النقود العراقية، بغداد ١٩٣٠ .

٢٠ : عبد الرزاق الحسني: موجز تاريخ البلدان العراقية، بغداد ١٩٣٠ .

: العراق قديماً وحديثاً، صيدا ١٩٤٨ .

٢١ : عبد الرزاق عباس حسن: نشأة مدن العراق وتطورها، بغداد ١٩٧٧ .

٢٢ : عبد العزيز نوار: داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٨ .

: تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٨ .

: العلاقات العراقية الإيرانية، القاهرة ١٩٧٤ .

٢٣: عبـد المجيـد حـسن: دليـل تاريـخ مـشاهير الألويـة العراقيـة، جزئين، بغداد ١٩٤٧.

٢٤: عـلاء موسـى كـاظم نـورس: حـكم المـماليك في العـراق، ١٧٥٠-١٨٣١م، بغداد ١٩٧٥.

٢٥: علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول، بغداد ١٩٣٩.

٢٦: علـي سـيدو كـوراني: مـن عمـان إلى العماديـة أو جولـة في كردستان الجنوبية، مصر ١٩٣٩.

٢٧: علي ظريف الأعظمي: مختصر تاريخ بغداد، بغداد ١٩٢٦.

: مختصر تاريخ البصرة، بغداد ١٩٢٧.

: تاريخ الدولة الفارسية في العراق، بغداد ١٩٢٧.

٢٨: عبـد عبـد الـسلام رؤوف: ولايـة الموصـل في العهـد العثمـاني، النجف الأشرف ١٩٧٥.

٢٩: فلاح شاكر الأسود: الحدود العراقية الإيرانية، بغداد ١٩٧٠.

٣٠: كاظم حيدر: الأكراد من هم وإلى أين، الموصل، ١٩٦٩.

٣١: محفوظ العباسي: إمارة بهدينان العباسية، الموصل ١٩٦٩.

٣٢: محمد الخال: الشيخ معروف النودهي، بغداد ١٩٦١.

٣٣: محمـد القزلجـي: التعريـف بمـساجد الـسليمانية ومدارسـها الدينية، بغداد ١٩٣٨.

٣٤: محمـد رشـيد سـعدي: قـرة العـين في تاريـخ الجزيـرة والعـراق والنهرين، بومبي ١٣٣٥هـ.

٣٥: محمـد عبـد اللطيـف البحـراوي: حركـة الإصـلاح العثمـاني في عصر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩)، القاهرة ١٩٧٨.

٣٦: محمـد فريـد: الدولـة العليـة العثمانيـة، مـصر ١٨٩٦، الطبعـة الثانية.

٣٧: محمود الدرة: القضيـة الكرديـة، بيروت ١٩٦٦.

٣٨: محمود شكري الألوسي: تاريخ مساجد بغداد وآثارها، بغداد ١٣٤٦هـ .

٣٩: يحي الخشاب: الكرد وكردستان، القاهرة ١٩٥٨ .

٤٠: يعقوب سركيس: مباحث عراقية، جزئين، بغداد ١٩٤٨ .

٤١: يوسف آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مصر، بدون تاريخ.

٤٢: يوسف عزالدين: داود باشا ونهاية حكم المماليك، بغداد ١٩٦٧ .

مصادر معربة

١: أحمد الشنتناوي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ٧، القاهرة.

٢: أدموندز: كرد وترك وعرب، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١ .

٣: المس غيرترودبيل: فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، بغداد ١٩٧١ .

٤: المنشىء البغدادي: السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني: رحلة المنشىء البغدادي، ترجمة عباس البغدادي، بغداد ١٩٤٨ .

٥: باسيل نيكتين: الأكراد، ترجمة طائفة من الكتاب، بيروت ١٩٥٨ .

٦: توماس بوا: لمحة عن الأكراد، ترجمة محمد شريف عثمان، النجف الأشرف ١٩٦٩ .

٧: جيمس بكنغهام: رحلتي إلى العراق، الجزء الثاني، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٠ .

٨: حسين حزني المكرياني: موجز تاريخ أمراء سوران، ترجمة محمد الملا كريم، بغداد بدون تاريخ

٩: خالفين: الصراع على كردستان، ترجمة أحمد عثمان أبو بكر، بغداد ١٩٦٩ .

١٠: رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت ١٩٦٣ .

١١: ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام الجزء الثاني، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، بيروت ١٩٤٩ .

١٢: ستيفن هيمسلي لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بيروت ١٩٤٩ .

١٣: ستين لويد: موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس، بغداد ١٩٤٣ .

١٤: سليمان فايق: تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢ .

١٥: ميجرسون: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، جزئين، ترجمة فؤاد جميل، بغداد ١٩٧١ .

١٦: شرفخان البدليسي: الشرفنامة، جزئين، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة ١٩٤٨ .

١٧: فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، موسكو ١٩٧١ .

١٨: محمد أمين زكي: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة محمد علي عوني، مصر ١٩٣٩ .

١٩: مشاهير الكرد وكردستان، جزئين، ترجمة كريمته، بغداد ١٩٤٥، ومصر ١٩٤٧ .

٢٠: تاريخ السليمانية وأنحائها، ترجمة محمد جميل الروزبياني، بغداد ١٩٥١ .

٢١: مرزا أبو طالب خان: رحلة أبي طالب إلى العراق وأوروبا سنة ١٢١٣هـ ١٧٩٩م، ترجمة مصطفى جواد، بغداد ١٩٧٠ .

٢٢ : مينورسكي فلاديمير فيدورفيتش: الأكراد ملاحظات وانطباعات، ترجمة معروف خزندار، بغداد ١٩٦٨ .

٢٣ : نظمي زاد مرتضى: كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد بدون تاريخ.

٢٤ : هاملتون جب، هارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر ١٩٧١ .

أبحاث باللغة الكردية

١ . عز الدين مصطفى رسول: علي بردشاني حياته ونتاجه. مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ١٦ سنة ١٩٧٣ .

٢ . كاووس قفطان: ملاحظات حول الإمارة البابانية، كلية الآداب جامعة بغداد، العدد ١٩ سنة ١٩٧٦ .

عبد الرحمن باشا في الميزان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العددين ٢٠-٢١ سنة ١٩٧٧ .

مصادر باللغة الإنكليزية

1: Arfa H.: The Kurds, A Historical and Political study, Tehran 1965

2: Alexander Constance.: Baghdad in Bygone days, London 1928.

3: Barth F.: Principals of Social Organization in Southern Kurdistan, Oslo 1953.

4: Bois Th.: The Kurds. Beirut 1966.

5: Bullard R.: Britain and Middle East, London 1951.

6: Dicksen B.: The Geographical Journal. April 1910, London (Journeys in Kurdistan).

7: Fowler G.: Three years in Persia with traveling adventures in Kurdistan. 2 Volumes, London 1841.

8: Kheshbak sh.: The trend of population of Sulaimania Liwa, Baghdad 1959.

9: Layard A. H.: Nineveh and its Remains with an account of a visit to the chalden Christian of Kurdistan and Yazidis. Volume 1, London 1849.

10: Notes on the tribes of Southern Kurdistan between the greater Zab and the Dialah. (on Kurdistan Iraq), Baghdad 1919.

11:Sykes M.: The Caliph's last heritage, a short story of the Turkish Empire. London 1915.

12: Sykes P.: A History of Persia, London 1969.

13: The Royal Anthropological Institute: Kurdistan and the Kurds, London 1908.

14: Waheed Sh. A.: The Kurds and their country, Rawalpindi 1955.

مصادر باللغة الروسية

١ . أداموف: العراق العربي، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، بطرسبورج ١٩١٢ .

٢ . جليلي جليل: أكراد الإمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، موسكو ١٩٧٣ .

تاريخ الإمارة البابانية

يتناول الكتاب بالبحث العميق تاريخ نشوء الإمارة البابانية الكردية بين ١٧٨٤- ١٨٥١ م، والمراحل التي مرت بها بناء عاصمتها وانتقالها من موقع إلى آخر حتى استقرت في مدينة السليمانية الحالية في كردستان العراق.

ومثلما كان نشوئها شبيهاً بنشوء كل الإمارات والدول الكردية التي ظهرت في العهد الإسلامي نتيجة تطور الحالة العشائرية - الإقطاعية في المجتمع الكردي، من جهة، وبروز الشخصية ذات الكاريزما القيادية، إلى جانب توفر الظروف الإقليمية المناسبة، فإن أسباب زوالها كان أيضاً شبيهاً بالأسباب والمصير الذي آلت إليه سائر الدول والإمارات الكردية الأخرى، وفي المقدمة الصراعات التناحرية داخل الأسرة الحاكمة، أو بينها وبين الإمارات الكردية الأخرى، وتوافق القوى الإقليمية على التخلص منها وإنهائها عندما كانت مصالحهم وأوضاعهم الداخلية تقتضي الركون إلى السلم وطي صفحة الحروب، التي كانت وجود تلك الإمارات سبباً في اندلاعها بينهم أحياناً كثيرة.

هل كانت المحاولة التي قام ... الد
النقشبندي لرأب الصدع داخل أس... نه
لتغيير قواعد هذه اللعبة نح... يت
الداخلي و الإمساك بقرار المصير ...





دار الزمان
للطباعة والنشر والتوزيع